مبادئ الحرب

تأليف: نابليون بونابرت

أول كتاب مترجم لنابليون باللغة العربية



ترجمة وتقديم
هشام البطل

مكتبة النافذة

مبادئ الحرب
لنابليون بونابرت

ترجمة وتقديم

هشام البطل

الناشر

مكتبة النافذة

مبادئ الحرب لنابليون بونابرت

هشام البطل

الطبعة الأولى 2011

رقم الإيداع: 10815 /2010

الترقيم الدولي: 1 _ 299 _ 436 _ 977 _ 978

الطباعة:

مطبعة طيبة

الناشر

مكتبة النافذة

ا شارع المستشار حسن دياب برج مكة 3

المنشية -ميدان الساعة

-الطالبية -فيصل -الجيزة

تليفون :37241803 –فاكس 37241565

محمول :01223595973 –01007265885

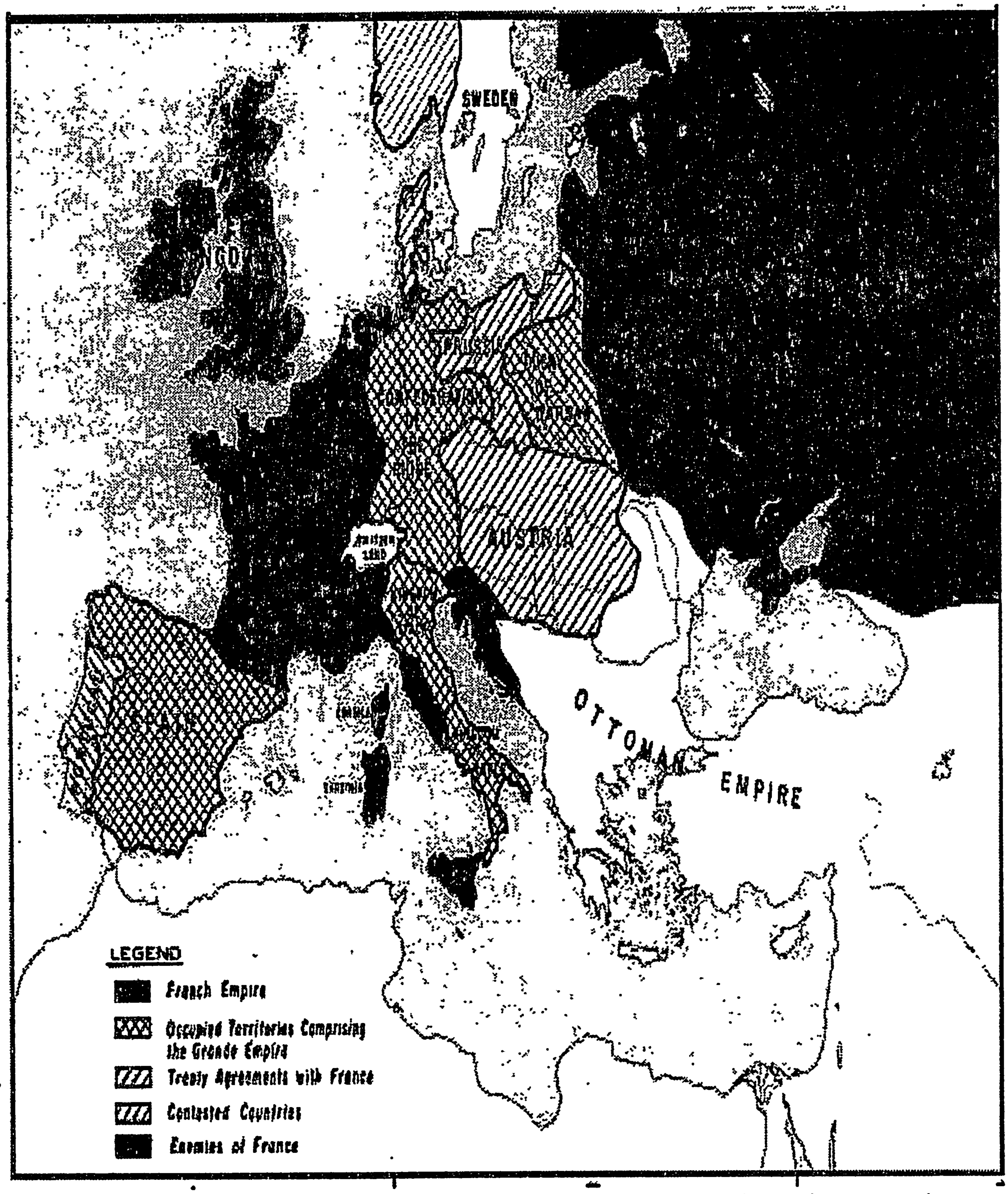
Email:alnafezah @hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، يعتبر نابوليون بونابرت من أكثر الشخصيات التاريخية إثارة للجدل فقد عاش حياة حافلة، وصعد فى وقت قصير من مجرد ضابط فقير لا يجد أحيانا ما يسد جوعه إلى إمبراطور يحكم دولة قوية تبسط سيطرتها على معظم دول أوربا، وكانت حياة نابوليون الأولى مثالاً للفقر والجوع، شاب قصير القامة لا تلتفت إليه العين يتوارى عن زملائه ويحرص على تجنب الصداقات، ويعكف على قراءة كتب التاريخ، مجرد ضابط صغير مغمور كورسيكى الأصل، يعمل والده فى المحاماة وتعمل أمه فى الحياكة لإطعام أولادها والإنفاق على تعليم ابنها فى باريس، كان واحدا من أولئك الذين يلقاهم المرء فلا يتذكرهم ينتقل من فشل إلى آخر ومن مأساة إلى أخرى، كانت السنوات الأولى من عمره سلسلة لا تنتهى من المآسى والمصائب والفشل على جميع المستويات، كانت فترة حياته الأولى قبل أن يعلو شأنه أشبه برواية من روايات بلزاك الدرامية، ظل الفقر رفيقه لسنوات وسنوات وكان الجوع وشظف العيش والمرض من زواره الدائمين، ولكنه دائما كان يحتفظ خلف قامته القصيرة وملابسه الفقيرة بعقل من ألمع العقول فى عصره وبإصرار كبير على أن يصبح شخصا مرموقا فى المستقبل وأن يصنع مجده الشخصى، كانت حياة نابوليون أشبه بمقامرة أراد أن يثبت فيها أنه من الممكن أن ينجح، وعلى الصعيد الإنسانى فقد صنعت منه فترة حياته الأولى شخصا قاسيا ماكيافيلليا يقتلع فى طريقه كل شىء من أجل مجده الشخصى، ولكنه قبل كل ذلك كان يتمتع بتفوق هائل

على أقرانه من جنرالات عصره فى الفكر العسكرى، وقد نبغ نابوليون كتكتيكى، وإستراتيجى ممتاز، كان نابوليون ضابط مدفعية صغير وجد فرصته أخيرا عند الاستيلاء على مدينة تولوز وانتزاعها من قبضة الموالين للملك السابق، حيث كان قائد الكتيبة المكلفة بمهاجمة المدينة المحصنة مريضا، فاستلم هو مكانه وقام بالمهمة التى كان هذا القائد قد عجز عن إتمامها، وبدأ إسمه يلمع شيئًا فشيئًا حتى خاض معركة ميلانو ضد جيوش النمسا وانتصر فيها، فقال قولته المشهورة "لقد وضعت بصمتى على فرنسا" وتمت ترقيته إلى رتبة الجنرال فى سن صغيرة وبدأ فى الصعود، وعلى الرغم مما يثيره إضراره وكفاحه هذا من إعجاب إلا أنه كان عديم الرحمة لا تعنيه الأخلاق ولا المبادئ؛ ففى حملته على مصر ادعى الإسلام وأنه جاء لينقذ الناس من قبضة المماليك المستغلين فى منشور دعائى وصفه هو نفسه فيما بعد بأنه كان قطعة من الدجل على مستوى رفيع، ثم فى ثورة القاهرة الأولى أحرق قرى كاملة وأعدم المئات وهاجم الجامع الأزهر بالمدفعية وحوله إلى اصطبل لخيوله، وفى حيفا أمر فى يوم واحد بقتل ثلاثة آلاف من الأسرى الذين استماتوا فى الدفاع عن المدينة، واستمر صعود نابوليون وارتفاعه حتى وصل به الأمر إلى المنفى فى سانت هيلانة، لقد صعد شأنه فى فترة قصيرة فقد بدأ حملته على مصر وعمره تسعة وعشرون عاما، ثم أصبح مصدر إزعاج لكل أوربا وعلى رأسها بريطانيا حتى هزمه التحالف السابع فى معركة واترلو الشهيرة، وفى منفاه فى سانت هيلانة كتب كتابه هذا مبادئ الحرب، وهو من أقيم الكتب العسكرية وأظن أنه لم يترجم للعربية حديثا، وقد قمت بترجمته والتعليق على بعضه بالأمثلة مع التوضيح بالخرائط.

هشام البطل



الأراضى الأوربية التى أخضعها نابليون لسلطة فرنسا حتى عام ١٨١٠

المبدأ العسكرى ١

إن حدود الدول هى إما أنهار كبيرة أو سلاسل من الجبال أو صحراوات. ومن بين كل تلك الموانع التى تعرقل سير الجيش فالصحراء هى الأصعب فى التغلب عليها ثم تأتى من بعدها الجبال وتحتل الأنهار الكبيرة المكانة الثالثة فحسب.

يتحدث نابوليون هنا عن الموانع الطبيعية التى تعيق سير الجيوش فى الأراضى المختلفة وكيف أن الصحراء هى أصعب عائق يمكن اجتيازه، وتتضمن تلك الفقرة عددا من المواضيع العسكرية المختلفة، وخاصة فى مجال اللوجيستيات Logistics أو الإمداد والتموين إضافة إلى الطوبوغرافيا وتحريك الجيوش والصحراء هى أصعب الموانع التى تعترض سير جيش فالجيش يحتاج إلى الماء والطعام والوقود والمهمات والذخيرة، وعلى رأس هذه الاحتياجات يحتل الماء المركز الأول، فبدون الماء يعطش الجيش ويموت أفراده وتفشل الحملة، ومسألة توفير الماء فى الصحراء هى أمر شديد الدقة حيث إن الصحراوات تمتد فى الغالب على مساحات شاسعة، وتخلو من الماء تقريبًا إلا من آبار قليلة لا يعرف أماكنها إلا البدو من سكان الصحراء، وهو أمر قد يعرض الجيش للهلاك، فجندى المشاة العادى يستهلك لترين ونصف من المياه يوميا وقد عانى جيش نابوليون من نقص الماء عند زحفه من الإسكندرية على دمنهور، وكاد الجيش أن يهلك، وتوفير الماء للجيش ليس فقط مسألة حياة الجيش أو موته بل إن نقص الماء فى مراحله الأولى يؤثر على المعنويات بشكل كبير،

وتصور مذكرات ضباط الحملة الأهوال التى لاقاها الجيش الفرنسى، وكيف تساقطوا وألقى بعضهم بأسلحته يأسًا من الحصول على الماء، حتى إن بعضهم فضل الوقوع فى الأسر أو القتل على أن يسير مع الجيش وانتحر البعض الآخر.

وعبر التاريخ كان نقص الماء أحد أهم الأسباب العسكرية فى هزيمة جيش ما، ففى غزوة بدر الكبرى أمر النبى عليه الصلاة والسلام بردم الآبار حتى لا يشرب منها المشركون، واحتفظ ببئر واحدة ليستخدمها المسلمون فى الشرب، فيشربون ويحرمون الكفار من الماء، وكان لهذا الأمر أثر مهم فى تدمير معنويات جيش الكفار.

وفى معركة حطين[1] وضع صلاح الدين خطته لتدمير جيش الصليبيين

[1] كانت خطة صلاح الدين كالتالي؛ أولاً: عدم السماح للعدو بالوصول إلى المياه. وثانيًا: إفقاد المشاة الصليبية الدعم الذي توفره لها الخيالة بفصلهما عن بعضهما، وقام بشن سلسلة من الإغارات العنيفة على الحاميات الصليبية بالقوات المتوفرة معه قبل اكتمال تعبئة جيشه، وكان الغرض من شن تلك الغارات هو إزعاج الصليبيين ودفعهم إلى المواجهة التي أخذ يعد لها بصبر، ولكن تلك الإغارات لم تنجح بشكل كامل في اجتذاب الصليبيين، لذا قرر صلاح الدين شن هجوم بكل جيشه لإغراء الصليبيين على الخروج إليه، وإبعادهم عن مصادر الماء حتى تتم هزيمتهم، وكان الصليبيون يعسكرون في صفورية، ولاجتذابهم خارجها قام صلاح الدين بنفسه بضرب حصار على قلعة طبرية بقسم من جيشه، وسقطت القلعة في نفس اليوم، واجتاحت قوات صلاح الدين المدينة، والتقم الصليبيون الطعم وكان قرار جي Guy بالخروج من صفورية لملاقاة صلاح الدين قد اتخذه مجلس الحرب الذي عقد في الليلة السابقة على المعركة، وتقدم بجيشه فى اتجاه قوات صلاح الدين في طبرية، وكان صلاح الدين قدر لذلك خطة مسبقة، حيث كان يقدر أنه بإمكانه هزيمة الصليبيين في معركة تدور في أرض مفتوحة بدلاً من ضرب حصار على المدن وتضييع الوقت والجهد، وكان قد استطلع الأرض التي اختارها للقتال من قبل، ووضع خطته على الأسس التالية؛ أولاً: حرمان العدو من المياه، وعدم السماح له بالوصول اليها، ثانيًا: عزل فرسان الصليبيين عن بعضهم البعض لإفقاد المشاة الدعم الذى يمكن أن تقدمه تشكيلات الفرسان، ثم

على أساسين: أولهما: حرمانهم من الماء، وحتى على مستوى الجيوش الحديثة كان عبور الصحراء يمثل مشكلة لوجيستية حتى أن الجنرال شوارتسكوبف Schwartzkopf قائد قوات التحالف قد واجهته هذه

مهاجمة كل منهما على حدة، بعد أن يكون العطش قد أنهك جنود الصليبيين، فيقوم المسلمون بتدمير الجيش الصليبي مع عدم السماح لأي منهم بالهرب، والغرض من ذلك ألا تتجمع تلك الفلول بعد ذلك، وتربك الخطط التي كان صلاح الدين يعدها لاستعادة بيت المقدس، حيث كان يتوقع حصار المدينة ولم يكن يرغب في وجود قوات تدافع عنها فتطيل أمد الحصار، وبدأ صلاح الدين في تنفيذ تلك الخطة فور خروج الجيش الصليبي من صفورية، فما أن خرجوا حتى كانت تعترضهم إغارات ومناوشات من الفرسان المسلمين وتصحبهم طول الطريق من صفورية إلى طبرية مرورًا بنبع الماء الذي تجمعوا عنده في موقع يدعى طوران ليشربوا قبل يوم ونصف تقريبًا من المعركة، وبمجرد أن غادر الصليبيون الموقع بدأ المسلمون في الهجوم الفعلي، فأرسل صلاح الدين جناحي جيشه لاحتلال نبع الماء في طوران، وبذلك سد الطريق على أية محاولة للانسحاب قد يفكر بها الصليبيون، وعمد المسلمون إلى مهاجمة مؤخرة القوات الصليبية بشكل مستمر وبلا توقف أثناء سيرهم، مما نتج عنه تحييدها تمامًا وإفقادها لفاعليتها، وهكذا توقف الجيش كله، وأجبروا بتلك الطريقة على أن يعسكروا في منطقة خالية من الماء محاطين بجنود المسلمين بلا أمل في الحصول حتى على الإمدادات، وفي الصباح أعمى الدخان المنبعث من النيران التي أوقدها جيش صلاح الدين عيون الصليبيين، وأثناء ذلك أطلق الفرسان المسلمون عليهم أربع مائة موجة من السهام، ونصح رينو جي باتخاذ تشكيل قتالي والقيام بالهجوم، وبدأت القوات الصليبية في هجومها بروح معنوية مدمرة يسيطر عليها العطش الشديد متجهين صوب منابع المياه في حطين، وقابلهم جيش صلاح الدين وسد عليهم الطريق إلى المياه، فقاموا بهجومين تم صدهما، وفي الهجوم الثاني بدأ جنود المشاة في الهرب بلا نظام وخصوصًا بعد أن سد جيش المسلمين عليهم طريق الانسحاب، وحاول جي أن ينصب ثلاثة الخيام لمنع تشكيلات فرسان المسلمين من التقدم، ولكن لم يكن لديه أمل حيث لاذ معظم مشاته بالفرار، وبقي الفرسان بلا حماية، وأجبر الفرسان الصليبيون على القتال على أقدامهم، فنالت منهم سهام الرماة المسلمين، وانسحبوا هم بدورهم وأصبح الصليبيون محاصرين من كل الجهات، وخسر الصليبيون جيشهم كله تقريبًا، وأسر جي وباقي القادة الصليبيون.

المشكلة عند التخطيط لهجومه على العراق عام ١٩٩١، وتتشابه تلك الفقرة مع الفقرة العاشرة من الفصل التاسع من كتاب فن الحرب لسون تزو Sun Tzu والتى يشرح قبلها طبيعة الأرض وكيفية نصب معسكرات الجيش وفقا لطبيعة الأرض المختلفة وكذلك يتناول الأنواع المختلفة من الموانع الطبيعية وكيفية تحريك الجيوش بها، سواء كانت مستنقعات أو أنهار أو مرتفعات، ويشرح كل ذلك فى تسع نقاط تفصيلية، ثم يجملها فيما بعد قائلا فى الفقرة العاشرة:

"تلك هى الفروع الأربعة المفيدة للمعرفة العسكرية والتى مكنت الإمبراطور الأصفر من إخضاع أربعة حكام مختلفين"

كذلك تتناول الفقرة الأولى فى مبادئ الحرب بشكل ضمنى التجهيزات الهندسية التى تمهد لعمليات عبور الموانع مثل الأنهار وربما يكون من المناسب هنا أن نذكر ثلاثة من أهم الأمثلة التاريخية على اجتياز قوات دولة ما لأراضى صعبة، وهى على الترتيب: اجتياز خالد بن الوليد رضى الله عنه لصحراء السماوة فى شمال العراق وصولاً إلى الشام قبل معركة اليرموك الفاصلة، ثم عبور هانيبال بجيشه لجبال الألب فى حوالى ستة عشر يومًا منذ حوالى ألفى ومائتى عام، وأخيرا عبور القوات الرومانية لنهر الراين بقيادة يوليوس قيصر فى عام ٤٠٦ قبل الميلاد.

خالد بن الوليد

يعتبر اجتياز خالد بن الوليد للصحراء بين العراق والشام[2] قبيل معركة اليرموك مثالاً لم يتكرر عبر التاريخ من الناحية اللوجيستية، ومن ناحية أخرى من حيث صعوبة الأرض التى تحرك فيها، حيث تحرك بجيشه ولأول مرة فى التاريخ عبر أرض صعبة، ولا تكمن صعوبتها فى كونها

[2] ورد ذكر هذا المثال بشكل موجز فى التعليق على كتاب فن الحرب لسون تزو. طبع بإشراف دار النافذة.

صحراء بل إن الصعوبة كانت تكمن فى ارتباط طبيعة الأرض المقفرة بانعدام الماء تقريبا، مما كان يؤثر بشكل كبير على إعاشة الجيش، حيث نقل جيشه عبر صحراء قاحلة لم يجتزها جيش من قبله ولا من بعده، ووجد حلاً عبقريًا لمشكلة إمداد الجيش بالمياه، وفاجأ الروم فى الشام بقدومه من طريق لم يكن يخطر على بالهم، وقد بدأت القصة عندما كان خالد بن الوليد رضى الله عنه فى الحيرة بأرض العراق يستكمل فتح العراق ومواجهاته مع آخر جيوش فارس، عندما وصله كتاب خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى بكر الصديق رضى الله عنه ونصه:-

"إذا جاءك كتابي هذا، فدع العراق وخَلِّفْ أهله فيه الذين قدمت عليهم وهم فيه، ثم امض مخففًا في أهل القوة من أصحابنا الذين قدموا معك العراق من اليمامة وصحبوك من الطريق، وقدموا عليك من الحجاز حتى تأتي الشام، فتلقى أبا عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين، فإذا التقيتم فأنت أمير الجماعة. والسلام عليك ورحمة الله".

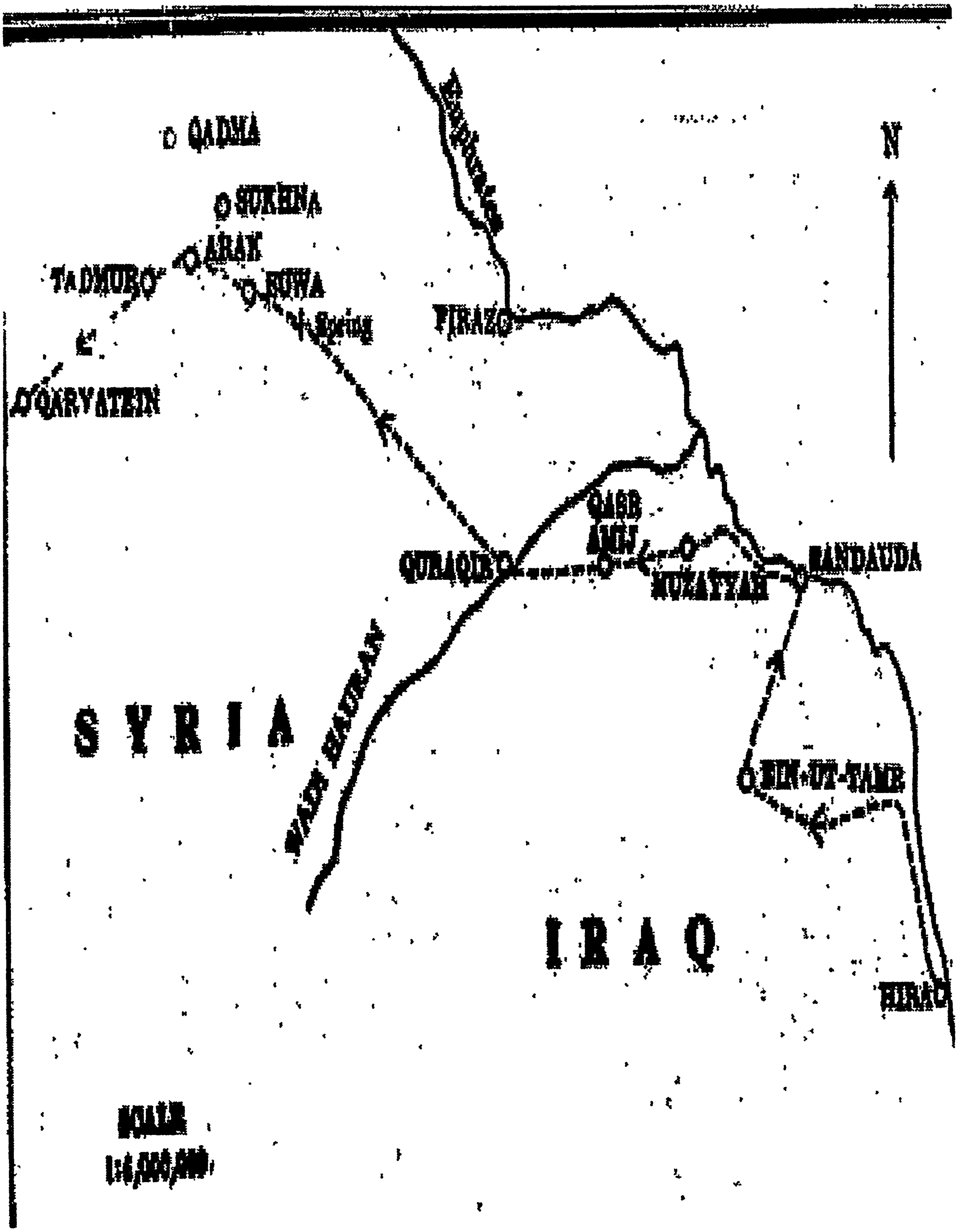
وهكذا بدأ خالد فى التجهيز للمسير وتقاسم المسئوليات والجيش مع المثنى بن حارثة رضى الله عنه استعدادًا للانطلاق إلى الشام، وكان هناك طريقان يمكن لخالد أن يتخذهما؛ كان الطريق الأول هو الطريق الجنوبى الذى يمر عبر دومة الجندل، وكان ذلك هو الطريق الأيسر، وكان ذلك الطريق جيدًا من الحيث القدرة على إمداد الجيش بالماء، ولكن كان يعيبه طوله الذى سيفوت على الجيش الهدف الأساسى من التحرك، وهو سرعة الوصول إلى الشام، وكان الخليفة أبو بكر الصديق رضى الله عنه قد أكد على عامل السرعة حيث كان موقف الجيش الإسلامى فى الشام يدعو إلى القلق، ولذا طرح خالد التفكير فى هذا الطريق كحل للوصول إلى الشام، أما الطريق الآخر فكان الطريق الشمالى والذى يسير بمحاذاة نهر الفرات ويصل العراق بشمال شرق سوريا، وكان طريقًا معروفًا للكافة، ولكن كان

يعيبه أنه سيبعد خالد عن جيوش المسلمين فى الشام كما أنه سيجبره على مواجهة الحامية الرومانية التى ستسد ذلك الطريق عليه مما سيعطل خالد عن اللحاق بالجيوش فى الشام حتى ولو تغلب على الحامية الرومانية، وكذلك ستصل قوات خالد إلى سوريا منهكة، إضافة إلى ذلك سيكشف الرومان نية المسلمين فى تعزيز قواتهم فى سوريا، ويفوت عليهم فرصة المباغتة، ولذا تم التخلى عن فكرة سلوك ذلك الطريق وأصبح خالد أمام مشكلة كبيرة تستدعى حلها بسرعة، فاستدعى قواده وشرح لهم الموقف باستفاضة ووجه إليهم سؤالاً وهو كيف يمكننا إيجاد طريق يتجه إلى سوريا بدون أن ندخل فى مواجهة مع الرومان، فهم قطعا سيحاولون منعنا من الوصول إلى هناك، وكان بذلك يشير إلى الحاميات الرومانية القابعة على طول الطريق الشمالى، فأجابه ضباطه بأنهم لا يعرفون طريقًا ولكن خالدًا كان مصممًا على أنه لا بد من أن هناك طريقًا آخر يمكن اجتيازه، فرد عليه أحد ضباطه ويدعى رافع بن عميرة شارحًا بأن هناك بالفعل طريقا آخر يمر عبر السماوة، ويمكن للجيش ان يتقدم من الحيرة إلى قراقر عبر عين التمر ومزية، وأن الطريق فى تلك المرحلة سيكون سهلاً حيث إن قراقر واحة وافرة الماء فى غرب العراق، ومن هناك إلى سوة كان ثمة طريق مجهول يقود إلى صحراء جرداء قاحلة عديمة المياه، وفى سوة كانت هناك مياه وفيرة وعلى مسافة يوم واحد من سوة كانت هناك عين يعرفها ستوفر لهم الماء الكافى للجيش، وكان أخطر جزء فى تلك المسيرة هو المسافة من قراقر إلى ذلك النبع، وكانت المسافة تقدر بحوالى مائة وثلاثة وتسعين كيلو مترا، وأخذ رافع يرجوه ويحذره من خطورة اتخاذ مثل ذلك الطريق مخبرا إياه بأنه حتى المسافر الوحيد قد لا يأمن على حياته فيه فما بالك بجيش، واتفق معه الضباط الحاضرون على موقفه هذا، ولكن خالدًا بهدوء أقنعهم بحتمية اتخاذ ذلك الطريق، وبأن عون الله

سيصحبهم فيه، واختار خالد بن الوليد المجازفة، وانطلق خالد بجيشه فى أوائل ربيع الآخر من السنة الثالثة عشرة للهجرة تقريبا فى أوائل يونيو من عام ٦٣٤ ميلادية بتسعة آلاف من الرجال بينهم عدد من صحابة رسول الله إلى قراقر عبر عين التمر، وعسكروا ليلتهم هناك وأمر الجيش بتجهيز المياه، وملأ الجنود قرب الماء، وأمر باشباع الجمال بالماء حتى يمكن ذبحها أثناء السير بعد أن كان قد عطشهم واستخراج الماء من بطونها من أجل سقاية الجنود، وهو حل عبقرى فى تلك الأيام فقد استطاع بذلك التغلب على أهم الصعوبات اللوجيستية التى تتمثل فى إمداد الجيش بالماء، وذلك عن طريق تخزين المياه فى جوف الإبل ليكفى الرجال والجياد لمدة خمسة أيام من السير، ووصل الجيش بعد خمسة أيام من السير[3] على طريق ملىء بالأهوال ليلقى الروم بعد ذلك ويطردهم نهائيًا من الشام.

---

[3] يختلف هذا الاستعداد وتلك البراعة بالطبع عن التخبط اللوجيستى الذى شاب حملة نابوليون بونابرت على مصر حين أتم احتلال مدينة الاسكندرية التى كانت خالية من الدفاعات تقريبًا بعد مقاومة بسيطة، ثم قرر بعدها الاستعجال قبل أن يتحرك المماليك وإرسال فرقة بقيادة الجنرال ديزيه Desaix باتجاه دمنهور، ولم يكن الجيش معدا كما يقول نابوليون بونابرت، ولم يهتم نابوليون بإرسال الإمدادات على الرغم من الإلحاح المتكرر لقائد الفرقة، وكان النقص فى الماء خطيرا للدرجة التى جعلت بعض الجنود يموتون وهم يتقاتلون على بعض الماء الآسن القليل الذى وجدوه فى أحد الآبار التى كانت فى طريقهم بل إن احد الضباط الفرنسيين يقول عن ذلك الموقف فى مذكراته: إنهم خلفوا وراءهم شريطا من القتلى، فيما يقول نابوليون فى مذكراته عن الحملة التى كتبها من منفاه فى سانت هيلانة Saint Helena: "لم يكن الجيش معدا للزحف فى منطقة كهذه، وقد عانى الأمرين من حرارة الشمس وقلة الظل والماء".



الطريق الذى سلكه خالد بن الوليد رضى الله عنه للوصول إلى الشام

هانيبال وجبال الألب

من الأمثلة التاريخية المهمة على عبور الموانع والتحرك بالجيوش عبر أراضي صعبة، يعتبر عبور هانيبال لجبال الألب Alps[4] أثناء الحرب البونية الثانية Second Punic War مثالاً ممتازًا، فقد بدأ هانيبال بعبور نهر الرون Rhone حتى وصل إلى سفح جبال الألب ليبدأ اجتيازه من هناك، وتتضح صعوبة الأمر عندما نعلم أنه كان عليه أن ينقل ضمن قواته ثلاثة وسبعين فيلاً بالإضافة إلى ستة وأربعين ألفًا من الرجال عندما انطلق بقواته من آيبريا Iberia (أسبانيا الحالية) ليبدأ فى عبور جبال الألب ليصل إلى شمال إيطاليا وقد فقد من تلك الأفيال عددًا كبيرا قبل أن يصل إلى وجهته، ويقول ليفيوس تيتوس Livius Titus المؤرخ الروماني الشهير المعروف لدى الأوربيين باسم ليفى Livy فى كتابه تاريخ روما واصفًا اجتياز هانيبال للألب ما نصه:

---

[4] كذلك عبر نابوليون بونابرت جبال الألب فى حملة عسكرية بعد ذلك التاريخ بحوالى الفى عام تقريبًا مقتفيًا فى ذلك طريق هانيبال فعندما خرج من مصر بعد أن أجبرته الهزائم المتوالية على العودة اكتشف أن القوات النمساوية قد استعادت إيطاليا ولإعادة الوضع إلى ما كان عليه خطط لشن هجوم مباغت على الجيش النمساوى المتمركز فيما كان يعرف بجمهورية وادى الألب Cisalpine Republic وذلك على أساس افتراض أن النمساويين لن يتوقعوا أبدًا أن يكون نابوليون قادرا على عبور الألب بقوات كبيرة، واختار أقصر الطرق للعبور وهو الطريق المسمى بممر القديس برنار العظيم Great St Bernard Pass والذى يمكنه من الوصول إلى وجهته بأسرع ما يمكن، وفى الخامس عشر من مايو من عام ١٨٠٠ بدأ نابوليون وجيشه الذى كان يتكون من أربعين ألفا من الجنود غير مدفعية الميدان وقوافل المؤن (٣٥ الف مدفعية خفيفة ومشاة وخمسة آلاف من الخيالة) فى رحلة محمومة لاجتياز الممر، ونجحوا فى اجتيازه فى خمسة أيام واستهلك جيش نابوليون فى تلك الرحلة ٢٢ الف زجاجة خمر وأكثر من طن ونصف من الجبن وحوالى ثمان مائة كيلو جرام من اللحم، ثم تمكن من الانتصار فيما بعد على النمساويين فى معركة مارنجو Marengo فى الرابع عشر من يوليو، مما أدى فى نهاية الأمر إلى تخلى النمسا عن إيطاليا وإخلائها لها.

"عندما بدأ رأس الطابور فى الصعود من أقرب المنحدرات أطل السكان المحليون من المرتفعات، وكان من الممكن أن تحدث كارثة وسفك للدماء، وأن يسببوا ذعرا كبيرا لقوات هانيبال إذا كان هؤلاء قد اختبأوا فى الأودية المحيطة واندفعوا إلى الأسفل باتجاه قوات هانيبال، فطلب هانيبال من قواته أن تتوقف وأرسل بعض الغال الذين كانوا قد انضموا إلى جيشه فى مرحلة سابقة لاستطلاع الأرض، وعندما عادوا إليه يخبرونه أن التقدم مستحيل فى ذلك الإتجاه أمر القوات بنصب المعسكر على أوسع مكان من الوادى، وكان المكان حول الوادى متكسرا وشديد التحدر، وتكلم الغال الذين أرسلوا للاستطلاع مع المحليين حيث لم يكن هناك فرق فى عاداتهم أو لهجتهم وعادوا ليخبروا هانيبال بأن المكان يتم احتلاله فى الصباح، وعندما يحل الليل يتفرق المحليون كل إلى بيته، وطبقا لذلك وعند الفجر بدأ هانيبال فى الصعود حيث كان قد قرر اجتياز الممر فى وضح النهار، وقضى النهار فى حركة قصد بها إخفاء نواياه الحقيقية وكذا لتحصين معسكره فى النقطة التى توقف عندها، وبمجرد أن لاحظ أن المحليين قد تركوا مواقعهم فى المرتفعات، وأنهم لا يلاحظون تحركاته، أصدر الأمر بإشعال نيران كثيرة وذلك حتى يخدع العدو أكبر مما يمكن لمن بقى فى المعسكر أن يشعلوه وتحرك هو بنفسه مع عدد قليل من قواته الخفيفة تاركا الأمتعة مع سلاح الفرسان وتاركا معظم مشاته فى المعسكر وصعد لاحتلال الممر الجبلى الذى كان المحليون يشغلونه وفى اليوم التالى انطلق الجيش مغادرا المعسكر فى الغسق وبدأ السير، وعندما شرع المحليون فى التجمع لاتخاذ مواقعهم المعتادة وجدوا أن هانيبال وقواته قد احتلوا تلك المواقع وأصبحوا فوق رءوسهم بينما كان الآخرون يتقدمون على الممر الواقع بأسفلهم وفى البداية جعلهم ذلك المشهد يظلون تقريبا بلا حراك إلا أن رؤية الفرسان تتخبط بلا نظام عندما جفلت الجياد قد جعلتهم يعيدون النظر، ويفكرون بأن زيادة الذعر والارتباك قد يمكنهم من تدمير جيش

هانيبال، ونظرا لأنهم كانوا يحفظون الأرض هناك عن ظهر قلب فقد بدأوا فى الهجوم من صخرة إلى أخرى غير عابئين وكان على القرطاجيين أن يواجهوا ذلك الهجوم فى نفس الوقت الذى يكافحون فيه صعوبات الطريق وساد الارتباك صفوف قوات هانيبال، وأضحوا يقاتلون بعضهم البعض فى أغلب الأحيان بدلا من مواجهة الهجوم ولعبت الجياد الدور الأكبر فى إثارة الارتباك حيث جفلت بشدة من الصيحات التى كان المهاجمون يطلقونها، والتى كان صداها يتردد فى الغابات والأودية المحيطة فتضخمها كذلك لما كان يتصادف أن تضرب الجياد أو تجرح، كانت تسبب فوضى رهيبة بين الرجال والدواب التى تحمل الأمتعة وكان الطريق محاطا بوهدات شديدة التحدر على الجانبين ووسط الزحام والفوضى سقط العديد من القرطاجيين صرعى من على حافة الطريق، وكان من بينهم العديد من الجنود والدواب المحملة بالأمتعة وكان هانيبال يشاهد هذا المنظر من أعلى ويمسك عن الهجوم خوفا من زيادة الاضطراب فى صفوف قواته إلا أنه لما رأى تلك الفوضى التى نتجت عن الهجوم لم يسعه إلا أن ينقض بمن معه من الرجال ليبعثر القوة المهاجمة خشية فقد الأمتعة كلها وبذلك يكون قد أودى برجاله وتتعرض الحملة كلها للفشل ونتج عن ذلك الهجوم المزيد من الفوضى ولكن الأمر سرعان ما هدأ وأضحى الممر خاليا بعد ما ارتد المهاجمون وبعد وقت قصير كان الجيش قد اجتاز الممر بدون إزعاج وفى صمت، ثم استولى الجيش على قرية محصنة وكانت تعتبر المركز الرئيسى للمقاطعة، وكذلك على بعض القرى الصغيرة المحيطة بها وتمكن بذلك من تأمين الطعام لجيشه لمدة ثلاثة أيام باستيلائه على الماشية والطعام الموجود بتلك القرى وحيث لم يعد المحليون لمهاجمة جيش هانيبال بعد هزيمتهم الأولى فإن المسيرة أصبحت آمنة نوعا بينما تمثلت الصعوبة الأساسية فى التقدم على الطريق خلال تلك الأيام الثلاثة وبعد ذلك عبر الجيش إلى جوار مقاطعة جبلية كثيفة السكان واستطاع بصعوبة أن يتلافى

خطر التدمير حيث أتى إليه بعض رؤساء العشائر يعرضون عليه السلام والصداقة والمؤن ولكسب ثقته أعطوه بعض الرهائن فرد عليهم وأبدى لهم النوايا الحسنة ولكنه مع ذلك لم يثق بهم ثقة عمياء بل تحسب لأى بادرة غدر تصدر منهم وسار جيشه مع أدلة منهم وكان هانيبال يضع الأفيال[5] والفرسان فى الأمام بينما يتبعهم هو وقوات مشاته وكان يراقب كل الاتجاهات فى تحفز وعندما وصل الجيش فى مسيره إلى جزء ضيق من الممر ويطل عليه من أحد جانبيه حائط عالٍ من الصخور قفز عليهم رجال من تلك العشائر المحلية، كانوا يكمنون لهم وقاموا بمهاجمتهم من الأمام والخلف وكذلك عن طريق إسقاط الصخور الضخمة عليهم وكان أشد هجوم هو الذى قاموا به على المؤخرة، وعندما التفتت مشاة المؤخرة لملاقاة الهجوم اتضح أنه إذا لم تكن مشاة المؤخرة قد اختيرت بعناية من بين أفضل قوات هانيبال لكانت وقعت كارثة مروعة لجيش هانيبال فى ذلك الممر حيث كانت قواته على وشك الهزيمة الكاملة حيث إنه بينما كان هانيبال مترددا فى إرسال مشاته عبر الجزء الضيق من الممر حيث وبالرغم من أن قوات المشاة تلك كانت تحمى مؤخرة الفرسان إلا أنها لم تكن تمتلك الاحتياطيات لحماية مؤخرتها وعندما هاجم سكان الجبل

---

[5] ظهرت الأفيال كسلاح يستخدم فى الحروب منذ حوالى ثلاثة آلاف عام فى كل من الهند والصين القديمة، وعادة ما كان يتم استخدام إناث الأفيال وكانت تستخدم فى مجموعات صغيرة أو فى كتائب كبيرة، ويتم توظيفها لإحداث صدمة تكتيكية فى ميدان القتال حيث كانت تثير الذعر والارتباك بين صفوف الخيالة والمشاة كذلك، كانت الأفيال تستخدم كقواعد للرمى بالنبال، حيث كان ارتفاعها وتأثيرها النفسى على القوات المعادية يجعلها فى مأمن نوعا ما، كذلك فى بعض الأحيان كانت تستخدم كمراكز قيادة وسيطرة ميدانية حيث يمكن للقائد استيعاب ميدان القتال بنظرة بانورامية، وعليه يقوم بتوجيه قواته وإصدار الأوامر لها إلا أن الاستخدام الأساسى للأفيال كان من أجل بث الرعب والارتباك بين صفوف الأعداء وسرعان ما تطورت أساليب وتكتيكات مواجهة الأفيال.

المحليون قوات هانيبال، هاجموها من الأجناب واندفعوا إلى منتصف الطابور وتمسكوا بالممر ولذا كان على هانيبال أن يقضى تلك الليلة بدون فرسان أو أمتعة، وفى اليوم التالى هاجم المحليون مجددا ولكن بشكل أضعف فأغلق الرجال الطابور وتم التغلب على المهاجمين ولكن بخسائر وكانت الخسائر أكثر فى الدواب التى تحمل الأمتعة ومنذ ذلك الوقت بدا المحليون يهاجمون بشكل أضعف وبأعداد أقل وبطريقة أقرب إلى طريقة قطاع الطرق من جيش منظم، فكانوا يهاجمون المؤخرة أو المقدمة كلما سنحت لهم الفرصة وكلما مكنتهم طبيعة الأرض من ذلك وكلما كانت أوضاع تقدم الطابور تمنحهم القدرة على المفاجأة وساهمت الأفيال فى تعطيل المسيرة بشكل كبير نظرا لصعوبة اقتيادها عبر الأماكن الضيقة أو المنحدرة، ومن ناحية أخرى كان ذلك يمثل تأمينًا للطابور من الهجوم من ذلك الجانب، حيث لم يكن هؤلاء المحليون معتادين على رؤية الأفيال وكانت رؤيتها تسبب ذعرا كبيرا وبعد تسعة أيام من بدء صعودها وصلت قوات هانيبال إلى أعلى قمة فى الألب وبعد عبور مساحة خالية وبلا طرق تقريبا كان الجيش فيها يضل طريقه بشكل متكرر سواء عن طريق خيانة الأدلة لهم أو من خلال أخطائهم أثناء محاولتهم تبين الطريق بأنفسهم، وعلى ذلك ظلوا على القمة لمدة يومين وبينما نعم الجنود بقسط من الراحة من عناء السير وشدة القتال أخذت الدواب المحملة بالمؤن والتى كانت تتبع الطابور فى سيره تترى على المعسكر وزاد من شقائهم أن أخذ الثلج يهطل بشدة، بعد ذلك استأنف الجيش رحلته فى صباح اليوم الثالث سائرًا على أرض مغطاة بالثلوج ورأى هانيبال على وجوه رجاله تعبيرا ينم عن القنوط والفتور، فأسرع بجواده إلى مكان عالٍ وأوقف رجاله وأشار إليهم بيده إلى أرض إيطاليا أسفل الجبل والى وادى بو Po الخصيب الذى يقع عند السفح وقال لهم:

" انكم الآن لا تعبرون الحدود التى تفصلكم عن إيطاليا فحسب بل عن روما نفسها، من الآن فصاعدا سيسير كل شىء على ما يرام ومن خلال معركة أو معركتين ستكونون سادة إيطاليا ومعقلها الحصين "

ثم استأنف الجيش تقدمه بعد ذلك بدون إزعاج ما خلا بعض المحاولات العرضية وكان ما لقوه من المشقة فى سيرهم بعد ذلك أكبر مما عانوه عند صعودهم للألب حيث كانت المسافة إلى السهول الإيطالية أقصر ومن ثم كان الانحدار أكبر وكان معظم الطريق تقريبا شديد الانحدار والضيق علاوة على أنه كان زلقا بحيث كان من الصعوبة بمكان أن يحتفظوا بثبات أقدامهم وإذا انزلقوا فلن يعودوا سالمين وظلوا يتدحرجون على بعضهم البعض وظلت الدواب التى تحمل المؤن تقع على سائقيها ثم أتوا على ممر أكثر ضيقا ينتهى بجرف حاد يصعب حتى على جندى مسلح بشكل خفيف أن ينزلق عبره حتى ولو تمسك بالجذور والفروع البارزة وأبعدت الانهيارات الصخرية الطريق لمسافة حوالى ألف قدم وتوقفت هنالك الفرسان كما لو كانت قد وصلت إلى نهاية المطاف فى رحلتها بينما كان هانيبال يتساءل ما الذى عساه قد سبب ذلك التأخير حتى أخبروه بأنه ليس هناك مخرج، فتقدم إلى الأمام لمعاينة المكان ولم يجد بدًّا من اقتياد جيشه عبر طريق آخر دائرى طويل غير مطروق معبد بالجليد ولكن ذلك أيضا سرعان ما أثبت عدم قابليته للتطبيق فقد تغطى الجليد القديم بطبقة هشة من الثلوج وثبتت الطليعة أقدامها عليه ولكن بعد وصول الآخرين علاوة على الجياد والدواب الأخرى ذابت مواطئ أقدامهم ولم يكن هنالك ما يمكن السير عليه إلا الجليد المغطى بالأوحال، وتحولت محاولة التقدم إلى كفاح لا يتوقف، فالثلج الناعم لم يكن يسمح لهم بالتقدم، وكذلك كلما ازداد انحدار الطريق كلما ضعفت قدرتهم على التحكم بثبات أقدامهم ولم تكن هناك بقايا جذور ليتشبثوا بها أو يستعينوا بها فى تثبيت أقدامهم فكانوا يتدحرجون بلا حيلة على الجليد الزلق والثلوج الموحلة وأصبحت الدواب التى تحمل

المؤن تكدح لتشق طريقها على طبقة الثلج السفلى، وعندما كانت تتعثر كانت تضرب بحوافرها لاستعادة توازنها فتكسر الجليد بالأسفل حيث كانت تعمل حفرًا تعلق فيها معظمها وفى نهاية الأمر عندما بلغ الإنهاك مبلغه من الرجال والدواب على حد سواء تم نصب معسكر على القمة بعد أن تمت إزالة الثلوج بصعوبة بالغة والخطوة التالية كانت تسوية الصخور بحيث تصنع فيما بينها طريقا صالحا للمرور وصدرت الأوامر للجنود أن يقطعوها فبنوا فى قبالتها كومة عظيمة من الأشجار السامقة التى قطعوها وشذبوها وعندما اشتد الريح بشكل يكفى لاشعال النيران، قاموا بإشعال النار فى تلك الكومة وعندما أصبحت الصخرة شديدة الاحمرار بفعل الحرارة كانوا يصبون عليها الخل لتفتيتها، وبعد معاملتها بالنيران استخدموا أدواتهم ومعاولهم لحفر طريق بها بعد أن بدأت تلين وخففوا من انحدارها عن طريق تشكيل مسارات معتدلة الانحدار بها بحيث يمكن اقتياد الدواب والأفيال أيضا عبرها وتم قضاء أربعة أيام على تلك الصخرة وتضورت الدواب جوعا إلى درجة الموت حيث إن تلك المرتفعات كانت عارية تماما من أية مزروعات أما الأعشاب فمدفونة تحت الثلوج وفى الأسفل كانت ثمة وديان مشمسة وجداول صافية وعندما بلغوا تلك البقاع تركت الدواب ترعى بحرية وتم السماح للقوات بالراحة التامة بعد المشقة التى تكبدوها فى شق الطريق وبعد ثلاثة أيام أخرى وصلوا إلى السهول المفتوحة وانتهت بذلك أيام المشقة التى عانوها فوق الألب.

وفيما يخص عبور الأنهار فإن كلاوزفيتس قد خصص لها جزءا من الفصل السابع فى كتابه "فى الحرب" Vom Kriege ويتناول فيها بشكل مفصل مسألة عبور الأنهار ولكنه يتكلم عن عبور الأنهار من وجهة نظر المدافع ويسهب فى الحديث عن إقامة الدفاعات حول النهر وتحويله إلى مانع أقوى فيقول :

"عادة ما تكون عملية عبور نهر واسع أمرا مرهقا لمن يقوم بالهجوم

لأنه عندما يعبره فإن ذلك يكون مقصورا على نقطة عبور واحدة وبناءا على ذلك فإن ظل قريبا من النهر فإنه يصبح مقيد الحركة إلى حد كبير فسواء كان ينتوى الهجوم والدخول فى معركة أو أن ينتظر العدو ليهاجمه فإنه يعرض نفسه لخطر كبير ولذا فإن القوات التى تعبر النهر عليها أن تتمتع بالتفوق سواء من حيث العدد أو من حيث ارتفاع الروح المعنوية فإذا لم يتوفر هذان الشرطان فلا ينبغى على القائد العسكرى أن يضع نفسه فى تلك المخاطرة ومن ناحية أخرى فانه بالإمكان استغلال نهر ما فى الدفاع إذا ما افترضنا أن هذا الدفاع ليس هو الصورة الوحيدة المتاحة من التأمين ولكن استخدامه فى الدفاع يتم بطريقة تسمح بوجود خط دفاعى آخر قرب النهر إذا ما فشل النهر فمايزال بالإمكان الوقوف خلف النهر وسيجب على المهاجم عند اجراء حساباته أن يضيف هذه المقاومة التى قد يواجهها فى هجومه وكل تلك المزايا التى ذكرناها هى فى جانب المدافع عن النهر والنتيجة هى أن نرى الجنرالات يعملون حسابا للنهر إذا ما كان مدافع عنه بصورة جيدة قبل الهجوم عليه وكما ذكرنا آنفا فإن الدفاع عن النهر يبشر بنتائج طيبة " وفى موضع آخر يقول: " ولنفترض على سبيل المثال هجوما محدودا ولا يتم تنفيذه باندفاع كبير فقد يمكننا أن نكون متأكدين من أن عددا من العوائق والحوادث التى لا يمكن حسابها بشكل نظرى ستقف فى وجه المهاجم لأنه هو من سيبدأ الصدام مع مثل تلك الموانع "

يعتبر عبور الجيش الرومانى لنهر الراين فى عام ٤٠٦ قبل الميلاد عملاً عسكريًا ممتازًا إذا ما نظرنا للأمر من ناحية سرعة المياه وعمق النهر واتساعه، ويعتبر الجسر الذى أقامه يوليوس قيصر على النهر إنجازا هندسيا ممتاز فقد تم إنجاز هذا العمل فى عشرة أيام فقط وهو معدل ممتاز بالنسبة لذلك العصر.

يوليوس قيصر ونهر الراين

بعد انتهاء الحرب مع الألمان اعتبر قيصر لأسباب كثيرة أنه لا بد من عبور نهر الراين، وكان أكثر هذه الأسباب أهمية هو أنه رأى السهولة التى يمكن بها تحريض الألمان على التسلل إلى بلاد الغال، كذلك رأى أن عبور الراين يمثل الإنذار المناسب للألمان بعد ما رأوا هزيمة جيشهم فى معركة سابقة كذلك كانت قوات الفرسان التى تتبع السوافيين Suevi[6] والتى عادة ما تعبر نهر موز Meuse بغرض النهب و]مع الطعام قد نأت بنفسها عن الدخول فى قتال مع يوليوس قيصر إلا أنها انضمت لقبائل السيجامبرى Sigambri[7] بعد ما عبرت نهر نهر الراين، وعندما أرسل إليهم قيصر السفراء مطالبا إياهم بتسليم من شنوا الحرب عليه وعلى حلفائه ردوا عليهم بأن نهر الراين هو حدود الإمبراطورية الرومانية، وإذا لم يكن يعتبر من العدل أن يعبر الألمان نهر الراين فلما إذن يدعى وجود أية سلطة للرومان خلف النهر، وكان على قيصر أن يعبر نهر الراين ليقوم بتأمين حلفائه وبدون الدخول فى معركة مقدرا أن عبور جيشه لنهر الراين واستعراضه لقوته هو أمر كاف لدعم حلفائه خلف الراين من الأوبيين[8] وللتخلص من الإزعاج الذى يسببه الألمان لحلفائه فى بلاد الغال حيث سيعرفون وقتها أن الرومان قادرون على عبور النهر والاشتباك معهم وأن

---

[6] السوافيون Suevi هم أحد شعوب ألمانيا القديمة وكانوا أقوى شعوبها وأكثرهم اشتهارا بإجادة الفنون الحربية، وكانوا يسيطرون على أكبر أجزاء ألمانيا من الراين إلى البه Elbe ولكنهم بعد ذلك تحولوا إلى المناطق الشمالية واستقروا هناك قرب نهر الدانوب وسار بعضهم باتجاه أسبانيا حيث كونوا مملكة قوية هناك.

[7] السيجامبرى Sigambri هم من شعوب ألمانيا القديمة وكانوا يسكنون المنطقة الواقعة بين نهرى ميز والراين فى الموقع الذى يشغله إقليم كودرلاند Cuderland حاليا

[8] الأوبيون Ubii هم شعب من الشعوب القديمة فى ألمانيا، وكانوا يقطنون المنطقة المعروفة حاليا بكولن ودوقية جوليبه وكانوا حلفاء ليوليوس قيصر.

النهر لا يحميهم من هجمات الجيش الرومانى حيث كان الجيش الرومانى يتمتع بسمعة جيدة حتى فى المناطق البعيدة وخصوصاً بعد هزيمة أريوفيستوس Ariovistus فى المعركة الأخيرة مع الجيش الرومانى خصوصا وأن حلفاء قيصر من القبائل الألمانية قد وعدوه بتوفير سفن لنقل الجيش، لكل هذه الأسباب قرر قيصر عبور النهر، ولكنه لم يكن يعتبر عبور النهر بالسفن عملا آمنًا كذلك لم يعتبر ذلك عملا يليق بالجيش الرومانى وعلى هذا الأساس قرر أن أنسب طريقة يظهر بها قوة جيشه هى إقامة جسر عبر النهر على الرغم من صعوبة ذلك بسبب سرعة التيار فى النهر وعمقه واتساعه ووضع خطته لإقامة الجسر فأصدر أوامره بربط دعامتين من الخشب بينهما مسافة معينة ويبلغ سمك كل واحدة منهما قدم ونصف القدم وتتناسبان فى الطول مع عمق النهر وطوله ثم بعد أن تم تغطيس هاتين الدعامتين وتثبيتهما فى قاع النهر ودقهما بشكل جيد ولكن ليس بشكل عمودى كالوتد بل مائلة إلى الأمام ومنحدرة مع اتجاه الماء فى النهر، قام بعد ذلك بتثبيت دعامتين مماثلتين فى مقابلهما على مسافة أربعين قدما وتم تثبيتهما معا بنفس الأسلوب ولكن تم توجيههما ضد تيار النهر وعلاوة على ذلك تم الحفاظ عليهما بعيدتين عن بعضهما البعض عن طريق عوارض خشبية سمك كل واحدة منها قدم واحد (وهو الفراغ الذى كانت تشغله تلك الدعامات الخشبية المنحنية) وتم ربط حمالتين على كل طرف من أطرافهما ونظرا لقوة تثبيتهما فكلما اندفعت المياه نحوهما كلما زادت من تثبيتهما حيث كانتا مرتبطتان كل منهما فى الاتجاه المعاكس للأخرى وتم ربط هذه العوارض عن طريق قطع من الخشب فوقها باتجاه طول النهر ثم تتغطيتها بألواح من الخشب وبسياج من الحبال وإضافة إلى ذلك تم دفع دعامات إلى المياه بشكل مائل عند الجانب الأسفل من الجسر وكانت تلك الأخيرة تعمل ككتف أو دعامة وتم ربطها مع كل أجزاء الجسر لتحتوى قوة التيار وكان هناك دعامات أخرى أيضا فوق الجسر على

مسافة معقولة بحيث إذا ما فكر الألمان فى تعويم جذوع أشجار أو سفن بغرض تدمير الجسر فيمكن لهذه الدفاعات أن تقلل من تأثير هذه الأشياء فلا تؤذى الجسر وقد تم إنجاز هذه العمل بعد عشرة أيام من إتمام جمع الأخشاب اللازمة وعبر الجيش كله على الجسر مجتازا نهر الراين وترك قيصر حراسة قوية على كل من طرفى الجسر وسار إلى أراضى السيجامبرى وسارعت قبائل كثيرة بإيفاد مبعوثين لها إلى قيصر طلبا للسلام والتحالف معه وبقى قيصر بقواته هناك عدة أيام فأحرق كل قراهم وبيوتهم ودمر محصولهم ثم سار بجيشه باتجاه الأوبيين حلفائه ووعدهم بمساعدتهم فى حالة تعرضهم للهجوم من السوافيين.

المبدأ العسكرى ٢

يجب أن تتوقع خطة الحملة كل شىء يمكن للعدو فعله وأن تشتمل بذاتها على وسائل دفعه، وقد يتم تعديل خطط الحملات بشكل لا نهائى وفقا للظروف وعبقرية القائد ونوعية القوات وطوبوغرافيا مسرح العمليات الحربية.

وتشبه تلك الفقرة كتاب فن الحرب وكاتبه فنجده يسهب فى تفصيل أحد النقاط المحورية التى تناولها سون تزو فى الفصل الأول من كتابه وعنوانه وضع الخطط حيث يقول فى الفقرة الخامسة عشرة من الفصل ما نصه:

" طبقا للظروف المواتية يجب على المرء تعديل خططه "

و دائما ما يحلو للمعلقين على العملين أن يوردوا الواقعة[9] التى جرت

---

[9] وتتلخص تلك الواقعة فى أنه فى عشية معركة واترلو الشهيرة ذهب اللورد

أحداثها قبيل معركة واترلو Waterloo الشهيرة من سؤال قائد الفرسان Uxbridge عن الخطة التي سيتبعها، ورد الدوق ولينجتون Wellington عليه، ولكن ذلك لا يمنع بالطبع من أن يكون لدى القائد خطة جاهزة للتنفيذ بناء على ردود أفعال العدو التي خبرها في معارك سالفة، كما تعود مثلا خالد بن الوليد أن يفعل في معارك كثيرة مع الروم، فعلى سبيل المثال ضحى خالد بن الوليد بخمس مائة من الفرسان في معركة اليرموك، كان من الممكن استخدامهم أثناء المعركة إلا أنه قدر أن الفرسان التي كانت تحت إمرته كانت كافية لإحداث التأثير المطلوب وبدلا من ذلك وظفهم في غلق الطريق الذي سيهرب منه الرومان كما قضت بذلك حساباته قبل المعركة، وبالفعل حدث ما توقعه وكان لتلك المفرزة أثرا كبيرا في القضاء على من تبقى منهم، وعليه فإن وضع القائد لخطة تنبني على تحركات العدو وردود أفعاله وتنفيذها على أرض الواقع ليس مما يعيب ولكن قد تطرأ ظروف جديدة على المعركة تحتم تعديل الخطة شكل أو بآخر ويخضع ذلك بشكل كبير لتقدير القائد الذي يقيم الموقف ويعدل في الخطة بناءًا على ما يستجد من أمور وما تفرضه عليه المعركة

و في كتاب " عن الحرب " Vom Kriege يقول فون كلاوزفيتس Von Clausewitz في الفصل الثالث عشر الخاص باستخدام الاحتياطي:

أوكسبريدج Uxbridge الذي كان يقود الخيالة إلى الدوق ولينجتون Wellington ليعرف خططه وحساباته لهجوم الغد لأنه وكما شرح فيما بعد قد يجد نفسه قائدا عاما ولن يستطيع بلورة إطار لخطة في اللحظات الحرجة للمعركة فأصغى له دوق ولينجتون ثم قال من سيهاجم أولا في الغد ؟ أنا أم بونابارت ؟ فرد عليه أوكسبريدج قائلا بونابارت فقال الدوق حسنا لم يعطني بونابارت أية فكرة عن مشاريعه فكيف تتوقع مني أن أخبرك بخطتي إذا كانت خطتي ستعتمد على ما سيقوم به وقد وردت تلك الواقعة حرفيا في التعليق على كتاب فن الحرب في الطبعة الإنجليزية.

" ولكن ضرورة وجود قوة مستعدة للأحداث التى لا يمكن التنبؤ بها يمكن أيضا أن يحدث فى الإستراتيجية (ويعنى بذلك الخطة) وبالتالى يمكن أيضا أن يكون هناك احتياطى إستراتيجى ولكن ذلك يكون فقط حيث يمكن أن تكون هناك أحداث لا يمكن التنبؤ بها وفى التكتيك وعندما يتم التأكد أولا من الاجراءات التى يتخذها العدو بالنظر (الاستطلاع المباشر) وحيث يمكن إخفاءها فى الغابات وكل ثنية متموجة من الأرض، فإن علينا بطبيعة الحال أن نكون على قدر من الوعى لمواجهة احتمال حدوث ما لا نتوقعه، بحيث نقوم بتقوية تلك النقاط التى تبدو ضعيفة بل وأن نعدل بشكل عام أوضاع قواتنا بحيث تتمكن من مواجهة ترتيبات العدو بشكل أفضل، وينطبق هذا أيضا على الإستراتيجية لأن الأعمال الإستراتيجية ترتبط بشكل مباشر بالأعمال التكتيكية، وفى الإستراتيجية فإن هناك الكثير من الإجراءات التى يتم اتخاذها على ما نراه بالفعل أو بناءا على تقارير غير مؤكدة تصل إلينا من يوم إلى آخر ومن ساعة إلى أخرى وأخيرًا من النتائج الفعلية للمعركة ".

الأمثلة التاريخية كثيرة على وجوب تغيير التكتيكات والخطط لتتناسب مع أوضاع القوات المعادية وقوتها ودرجة تسليحها وما يطرأ على المعركة من مستجدات بل وكذلك لتغطية نقاط ضعف يكتشفها القائد فى قواته أو تسليحه أثناء القتال وليس أدل على ذلك من الخسائر التى تكبدتها القوات البريطانية فى معركة السوم Somme عام ١٩١٦ على الرغم من التمهيد النيرانى الكبير الذى قامت به المدفعية البريطانية لمدة سبعة أيام متواصلة بلا هوادة حيث كانت الخطة ببساطة هى قصف عنيف ومتوالى للمواقع الألمانية فى السوم يليه تقدم المشاة عبر الأرض الفاصلة بين القوات لاحتلال الخنادق الألمانية والاستيلاء على المواقع المحددة فى الخطة وكانت المدة الأصلية للقصف كما تحددت فى الخطة هى ستة أيام ثم رأت القيادة البريطانية بعد ذلك زيادة المدة إلى سبعة أيام وكان

الغرض[10] من ذلك هو قطع الأسلاك الشائكة الألمانية التى كانت تمثل مانعا شديد التعقيد أمام تقدم المشاة الغير الغير مدعومة بوحدات مدرعة حيث لم تكن الدبابات قد استخدمت فى المعارك فى ذلك الوقت، وكانت الأسلاك الشائكة الألمانية تمثل قمة ما بلغته التكنولوجيا العسكرية الألمانية حينئذ حيث كانت تعمل فى أجساد الجنود كالسيوف وفى تلك الأيام السبعة أطلقت المدفعية البريطانية أكثر من مليون ونصف المليون قذيفة من بينها حوالى مليون قذيفة شرابنل Shrapnel وكان ذلك أكثر من عدد القذائف الذى أطلقته المدفعية الألمانية فى الاثنى عشر شهرا الأولى للحرب، بالإضافة إلى ربع مليون قذيفة تم إطلاقها فى اليوم الأول للهجوم، وكان القصف شديدا لدرجة أنه كان يمكن سماعه على بعد ثلاث مائة ميل ونتيجة لذلك القصف العنيف تعمقت الثقة لدى القيادة البريطانية بأنها لا بد ستحرز نصرا سهلا عندما يتقدم المشاة للهجوم فى الموعد المقرر للدرجة التى جعلت أحد القادة يتوجه إلى إحدى الكتائب البريطانية قبيل الهجوم بقوله:

" عندما تصعدون إلى القمة يمكنكم أن تقوموا بإرخاء أذرعتكم وأن تدخنوا الغليون والسجائر وتقوموا بالزحف على بوزيير Poziere قبل أن تقابلوا أى ألمانى حى"

كانت ثقة البريطانيين فى مدفعيتهم بلا حدود وظلوا يستخدمون قذائف الشرابنل بغرور لا متناه ضد شبكة من الأسلاك الشائكة والخنادق المعقدة

---

[10] كان الغرض من القصف المدفعى البريطانى هو تمزيق الأسلاك الشائكة لتسهيل عبور المشاة لها فيما بعد وكانت مهمة قطع شباك الأسلاك الشائكة أمرا على أكبر قدر من الأهمية للدرجة التى جعلت القيادة البريطانية تسحب العديد من قطع المدفعية الثقيلة الموجودة فى مواقع اخرى من الجبهة لتعزيز جبهة السوم حيث كان نجاح هجوم المشاة متوقفا على نجاح المدفعية فى قطع الاسلاك الشائكة وكانت المهام الاخرى للقصف هى تحييد واسكات بطاريات المدفعية الألمانية ودك ما يمكن دكه من الخنادق الألمانية العميقة

من أفضل ما أنتجته قريحة الألمان فى ذلك الوقت، وكانت قذائف الشرابنل تلك عبارة عن قذائف مضادة للأفراد تطلقها المدفعية وتحمل عددا كبيرا من الرصاصات تنطلق منها عند انفجارها فى الهواء معتمدة على سرعة القذيفة نفسها، وفى واقع الأمر لم يكن لذلك النوع من القذائف أى تأثير على الإطلاق حيث لم يزد تأثيرها عن إثارة الدخان حول الأسلاك الشائكة بدون أن تقطعها بل إن الجنود الألمان لم تكن إصاباتهم من ذلك النوع من القذائف كبيرة كما كان متوقعا حيث كانت الخوذ التى يستخدمونها مصممة ومصنعة بطريقة خاصة تقلل إلى حد بعيد من تأثير شظايا الشرابنل، هجم جنود المشاة مطمئنين لما حققته مدفعيتهم وكانوا يظنون أنه بعد ذلك القصف لن يكون أمامهم إلا التقدم لاحتلال المواقع الألمانية فحسب كما ظن قادتهم ولكن نيران الرشاشات والمدافع الألمانية باغتتهم وعلق معظمهم فى الأسلاك الشائكة لتقتلهم رصاصات الألمان قبل أن يتمكنوا من تخليص أنفسهم وكانت مذبحة للجيش البريطانى حيث فقدت بريطانيا فى أول أيام معركة السوم حوالى ١٩ ألفا من جنودها منهم ثمانية آلاف فقط فى أول نصف ساعة من الهجوم، هذا بالطبع بالإضافة إلى الجرحى والأسرى ولم يكن الأمر يتطلب من القيادة البريطانية غير شىء من الدراسة لتلافى هذه الكارثة فلم تكن قذائف الشرابنل قادرة على قطع الأسلاك الشائكة، كانت فقط القذائف شديدة التفجير[11] هى القادرة على

---

[11] اجرى مركز الأبحاث التابع لسلاح المدفعية البريطانية حديثا تجربة لمعرفة تأثير قذائف الشرابنل Shrapnel على الأسلاك الشائكة وللاستفادة من دروس المعركة وذلك باستخدام نفس أنواع القذائف التى كانت تستخدم فى تلك الآونة وأسلاكا شائكة حديثة تعتبر أقل كفاءة من تلك الأسلاك التى كان الألمان يستخدمونها فى الحرب العالمية الأولى وكانت التجربة على ثلاثة مراحل الأولى هى إطلاق القذائف من نوع الشرابنل على الأسلاك الشائكة من الأعلى بنفس زاوية السقوط Trajectory التى كانت تسقط بها تلك القذائف على الأسلاك الشائكة فى المعركة وكانت

التعامل مع الأسلاك الشائكة وإحراز نتائج جيدة وفتح ثغرات معقولة فيها كذلك اتسمت التكتيكات التى استخدمها المشاة البريطانيون فى هجومهم بالتحجر وانعدام الابتكار، وعدم توقع ما يمكن للألمان أن يقدموا عليه، واتسمت خطة الهجوم البريطانية بشكل عام بالجمود وركود الفكر والتقيُد بقوالب جاهزة لا تتناسب وأوضاع القتال بل تفرض على القوات المهاجمة خطة معدة مسبقا بدون النظر إلى ردود أفعال العدو وبغير التفات إلى أهمية الإلمام بصورة شاملة عن ميدان المعركة وما يدور فيها ويتجلى هذا فى إهمال عنصر الاستطلاع بشكل جزئى حيث إنه وبالرغم من أن البريطانيين كانوا يرسلون بعض الدوريات فى أثناء الفترات التى تعقب القصف المدفعى وذلك قبل الهجوم الأساسى إلا أن المعلومات التى كانت تحصل عليها القيادة البريطانية والتقارير التى كانت تبلغ بها فيما يخص نتائج القصف كانت مبتورة أو منقوصة أو غامضة ولم تبذل القيادة البريطانية أى مجهود ملموس لتحسين ذلك الوضع بل إنه عند القصف كانت الكثير من القذائف تنفجر مبكرا قبل وصولها إلى هدفها والبعض الآخر لم يكن ينفجر على الإطلاق هذا علاوة على تكتيكات المشاة[12]

النتيجة أن القذائف لم تحدث أى أثر على الأسلاك الشائكة فكل ما تنتجه من أثر هو أنها تنفجر أعلى الأسلاك غير مسببة لأى أضرار لها، وفى المرحلة الثانية تم تنفيذ التجربة قريبا من الأسلاك الشائكة ولم تزد النتائج عن تكون حفر على الأرض بدون ضرر بل إنها على أحسن الأحوال ترفعها من مكانها أو ترجها بعنف بدون أن تقطع منها إلا قطعا صغيرة جدا، أما فى المرحلة الثالثة من التجربة تم استخدام الدانات شديدة التفجير التى كانت مستخدمة فى ذلك الوقت فتمكنت بالفعل من تحقيق نتائج طيبة.

[12] قبل المعركة أمر رولينسون Rawlinson بتوزيع كتيب تعليمات يحمل توجيهات تتضمن أفضل التكتيكات التى يتعين على جنود المشاة استخدامها فى الهجوم، وقد قضت تلك التوجيهات بأنه على الكتائب أن تتقدم على موجات بواقع سريتين للموجة الواحدة وعلى جبهة طولها ٣٧٠ مترا بفاصل ٤،٦ متر بين كل جندى، وعلى ذلك فإن

العقيمة التى زادت الأمر سوءا وتسببت فى المزيد من الخسائر حيث جعلتهم توجيهات قيادتهم صيدا سهلا للرشاشات والمدافع الألمانية ولوحظ أن القوات التى تحقق نجاحات معقولة هى القوات التى لا يلتزم قادتها بحرفية تلك التعليمات مثل القوات الفرنسية التى حققت نتائج جيدة وتخطت فى تقدمها الأهداف المقررة لها.

والخلاصة أن اليوم الأول من معركة السوم فيما يخص التخطيط يعتبر نقيض ما يدعو إليه نابوليون فى هذه الفقرة، والملفت للنظر أن نابوليون بونابرت نفسه وفى حملاته العديدة وعلى الرغم من محاولته عدم إغفال أية تفاصيل إلا أننا نجده فى حملته على مصر يتخبط بشكل واضح فى تخطيطه وخصوصا فى الجانبين اللوجيستى والمعلوماتى.

المبدأ العسكرى ٣

إن الجيش الذى يغزو بلدا قد يكون جناحاه يستندان على بلاد محايدة أو على عوائق كبيرة محايدة مثل الأنهار أو سلاسل الجبال أو لربما يكون أحد جناحيه مدعوما بتلك الطريقة وربما يكون كلاهما بدون دعم، وفى الحالة الأولى ينبغى على الجنرال أن يتأكد من أن خطه ليس مكسورا فى الأمام، وفى الحالة الثانية ينبغى عليه الاستناد

الكتيبة الواحدة ستتقدم على ثمان موجات علاوة على موجات إضافية لكتائب القيادة وحاملة نقالات الإسعاف. على أن يتم تنفيذ التقدم بخطوات ثابتة بمعدل ٤٦ مترًا فى الدقيقة، وكان على الجنود فى الموجات الأولى أن يحملوا ٣٢ كيلو جرامًا من العتاد يشمل بنادق وسونكيات وذخيرة وقنبلتين ومعدات لحفر الخنادق وشكائر رمل فارغة ومقصات لقطع الاسلاك وطلقات مضيئة، وبالطبع كان لتلك التكتيكات البائسة أعظم الأثر فى إحداث تلك الخسائر فى صفوف القوات البريطانية.

على الجناح المدعوم، وفى الحالة الثالثة عليه الإبقاء على فيالقه المختلفة مرتكزة بشكل جيد على الوسط، وألا يسمح لهم أبدا بالانفصال عنه، فحيث إنه من العيوب أن يكون هناك جناحان بلا قلب (فى الهواء) فإن الأمر يزداد سوءا إذا ما كانوا أربعة ويصبح أكثر سوءا إذا كانوا ستة، بمعنى أنه إذا كان جيش ما مقسم إلى فيلقين أو ثلاثة، فإن خط العمليات فى الحالة الأولى يمكن أن يرتكز على الجناح الأيمن أو الأيسر على السواء وفى الحالة الثانية ينبغى أن يرتكز على الجناح المدعوم وفى الحالة الثالثة ينبغى أن يسقط عموديا على منتصف الخط الذي يشكله الجيش فى حالة المسير ولكن فى كل الحالات المذكورة أعلاه من الضرورى أن تكون هناك قلعة أو موقع محصن كل مسيرة خمسة أو ستة أيام بحيث يتم إنشاء مخازن للطعام ومستودعات عسكرية وبحيث يتم تنظيم القوافل بحيث يعمل (هذا الموقع المحصن) كمركز للحركة ونقطة إمداد وبذلك يتم تقصير خط العمليات.

و من أهم الأسباب التى أدت إلى هزيمة القوات الألمانية فى معركة المارن Marne[13] التى تعتبر بحق نقطة فاصلة فى الحرب العالمية الأولى

---

[13] معركة المارن تعتبر المعركة الفاصلة فى الحرب العالمية الأولى والتى غيرت نتيجتها مسار الحرب بالكامل فبحلول نهاية شهر أغسطس ١٩١٤، كانت كل جيوش الحلفاء على الجبهة الغربية قد اضطرت إلى التراجع العام في اتجاه باريس نتيجة للهجمات الألمانية المتلاحقة وكان القوات الألمانية ناجحة على كل الجبهات، ولكن حظها الحسن سرعان ما سيتبدل عند باريس ففى ذلك الوقت واصل جيشان من الجيوش الألمانية الرئيسية تقدمهما عبر فرنسا. وكان من الواضح أنه سيتم الاستيلاء على باريس حيث تقهقر الفرنسيون والبريطانيون إلى الخلف وبعد أن هربت القوة الهجومية البريطانية من القوات الألمانية وقام قائد القوات الألمانية فور ذلك بالتوجه إلى الجنوب الغربى باتجاه آميين Amiens وبحلول الثامن والعشرين من أغسطس

أصبحت القوة الهجومية البريطانية أقل فى الأهمية بالنسبة له حيث كان يزن فكرة الاندفاع إلى الداخل وهو تحرك كان يمكن أن يمكنه من دفع لانريزاك Lanrezac بعيدا عن باريس وأن يطوى ميسرة الجيش الفرنسى الخامس وفى تلك المرحلة أصدر جوفر Joffre أوامره للانريزاك الذى لم يكن متحمسا بالالتفات إلى الغرب والقيام بشن هجوم مضاد بين جيز Guise وسان كانتان St Quentin وفى الحقيقة فإن لانريزاك تعامل مع العملية بمهارة عالية ففى التاسع والعشرين من أغسطس كان فرانشيه ديسبرى قد نجح فى وقف فيلق الحرس المهيب التابع للجيش الثانى الألمانى عند جيز Guise وقد تسببت تلك الضربة فى أن يقوم بيلوف الذى ترقب شرا أن يطلب الدعم من فون كلوك، ووفر ذلك الحجة لفون كلوك لتغيير الاتجاه وبدون أن يطلب موافقة مسبقة من رئيس الاركان الألمانى الجنرال فون مولتكه أصدر فون كلوك أوامره للجيش الأول بالتحرك إلى الداخل بدلا من المرور إلى الغرب من العاصمة الفرنسية باريس كما كان مخططا وتحرك الجيش الأول إلى الشمال الشرقى منها معرضا جناح فون كلوك للهجوم من الجيش السادس الفرنسى بقيادة مونورى Maunoury والذى كان متمركزا فى تلك المرحلة إلى الشمال من باريس.

ولم يرى الحلفاء فرصة باهرة فى أول الأمر فى انحراف قوات فون كلوك إلى الداخل إلا أن الأثر المباشر لتحرك فون كلوك كان اجتذاب قوات فون كلوك للصدام مرة أخرى مع القوة الهجومية البريطانية وتبعت ذلك بعض العمليات الجريئة مثل تلك العملية التى تم القيام بها فى الأول من سبتمبر فى نيرى Nery عندما نجحت بطارية مدفعية من مدفعية الفرسان الملكية فى المساعدة فى تعطيل الفرقة الرابعة فرسان الألمانية لمدة أربع ساعات وبعد أن انسحبت لمسافة مائتى ميل عبرت القوة الهجومية البريطانية نهر المارن فى الثالث من سبتمبر ولكن الاستطلاع الجوى كشف عن ضعف جناح فون كلوك الأيسر وفى الرابع من سبتمبر عندما أسرع فون كلوك متقدما عن بيلوف عبر نهر المارن أقنع الحاكم العسكرى لباريس الجنرال جاليينى Gallieni الجنرال جوفر بوقف الانسحاب وإصدار الأمر لميمنة الحلفاء بالقيام بهجوم مضاد وفى نفس الوقت تقريبا اعترف مولتكه ضمنيا بفشل هجوم الجناح الأيمن الألمانى وذلك عندما أوقف فون كلوك وبيلوف ووجههما للالتفات إلى الناحية الشرقية من باريس وفى السادس والسابع من سبتمبر تعامل فون كلوك بعبقرية مع الهجوم الفرنسى على جناحه وعلى اتصالاته فارتد بجيشه الأول إلى الوراء وارتكز على محوره فى الغرب وأرسل ثلاثة فيالق لمواجهة قوات مونورى Maunoury بطول أورك Ourcq ولم تنجح القوات التى اندفعت من باريس فى عربات التاكسى فى وقف تقهقر وحدات مونورى إلى الخلف ولكن تحرك فون كلوك باتجاه الغرب مرة أخرى تسبب فى توسيع الفجوة

هى طول خطوط مواصلات القوات الألمانية، وبالرغم من أن فرع الإمداد والتموين فى الجيش الألمانى كان قد بلغ قمة التطور فى ذلك الوقت إلا أن القوات الألمانية لو كانت قد اتبعت المبدأ السابق فلربما كانت نتيجة الحرب قد تغيرت كثيرا حيث يرجع معظم المحللين العسكريين أسباب فشل القوات الألمانية فى احتلال باريس فى معركة المارن ونجاح قوات الحلفاء فى صدها ودفعها إلى الانسحاب إلى عدة أسباب وعلى رأس كل تلك الأسباب سببان يتعلقان باللوجيستيات الأول هو أن النجاح الفرنسى فى صد القوات

بين الجيشين الألمانيين الأول والثانى وكانت طائرات الحلفاء قد اكتشفت وجود تلك الفجوة وعلى الفور قامت بإبلاغ قادة القوات البرية المشاركة فى المعركة وكان الحلفاء من الذكاء بحيث قاموا بسرعة باستغلال الفجوة الموجودة فى الخطوط الألمانية فسارعوا بإرسال قوات بريطانية لتدعم الجيش الخامس الفرنسى فى الاندفاع بين الجيشين الألمانيين فكان الجناح الأيمن للجيش الخامس الفرنسى هاجم الجيش الثانى الألمانى ومع أن القوات الألمانية كانت قريبة جدا من شق ثغرة فى مواجهة الجيش السادس بقيادة مونورى بين السادس والثامن من سبتمبر إلا أن الإمدادات ما لبثت أن وصلت لمعاونة الجيش السادس فى صورة ستة آلاف جندى تقريبا تم نقلهم بعربات التاكسى إلى الجبهة وفى الليلة التالية شن الجيش الخامس الفرنسى بقيادة الجنرال فرانشيه ديسبرى هجوما مفاجئا على الجيش الثانى الألمانى بغرض توسيع الفجوة بين الجيش الأول والثانى الألمانيين إلا أن بولوف تمكن من الرد بكفاءة على الضغط الذى مارسه عليه فرانشيه والجيش التاسع بقيادة فوش وفى اليوم الثالث كان الهجوم المضاد للحلفاء يتداعى فى مواقع عدة وتم صده بخسائر كبيرة وعند احتدام المعارك فى التاسع من سبتمبر بدأ الألمان يفقدون أعصابهم عندما عبرت القوة الهجومية البريطانية من جديد نهر المارن وتقدمت بحذر إلى الفجوة بين جيشى جناحى اليمين واليسار الألمانيين فقد بدا أن الجيشين الأول والثانى الألمانيين قد يتعرضان للتطويق ومن ثم يتم تدميرهما وعندما وصلت تلك الانباء إلى الجنرال فون مولتكه أصيب بانهيار عصبى وحل معاونوه محله وأصدروا الأمر بانسحاب عام إلى نهر آيين Aisne لإعادة تجميع القوات وطاردت القوات البريطانية والفرنسية الجيشين الألمانيين ولكن معدل تقدم الحلفاء كان بطيئا حوالى تسعة عشر كيلو مترا فى اليوم وتوقف الألمان على بعد خمسة وستين كيلومترا عند نقطة إلى الشمال من نهر آيين حيث بدأوا فى حفر الخنادق.

الألمانية يعود فى الأساس إلى قرب الفرنسيين من قواعد إمدادهم وقصر خطوط مواصلاتهم، والسبب الثانى هو بعد الألمان عن قواعد إمدادهم وامتدادها على مسافة كبيرة مما أصابها بالضعف وأثر على أداء القوات وكانت القوات الألمانية تعانى من مشاكل كبيرة فى الإمداد بأهم العناصر التى يحتاجها الجيش للقتال وهى علف الجياد وذخائر الأسلحة فقد كان من الصعب إعاشة كميات كبيرة من الحيوانات التى كانت تحمل الإمدادات بعيدا عن قواعدها كذلك أصاب الإعياء الخيول التى تجر عربات المدافع مما أفقد القوات المهاجمة دعم المدفعية الألمانية حيث عجزت الخيول عن مجاراة تقدم باقى القوات علاوة على إصابتها أصلا بالإعياء والإرهاق من قبل نتيجة تغذيتها بأعلاف غير مناسبة بسبب نقص الإمدادات، كذلك فإن مما يذكر أن السلطان صلاح الدين الأيوبى قد نجح فى استفزز الصليبيين ودفعهم لمطاردته وإبعادهم عن مصادر مياه الشرب وسحبهم إلى صحراء قاحلة حتى أصاب جيشهم الإعياء فوجه إليه ضربته الفاصلة فى معركة حطين فدمر جيشهم.

المبدأ العسكرى ٤

يمكن إرساء المبدا التالى وهو أن غزو بلد ما بجيشين أو ثلاثة، لكل منها خط عملياته المحدد الذى يمتد باتجاه نقطة محددة تلتقى فيها كلها، فإن التقاء فيالق مختلفة لا ينبغى أن يتم قريبا من العدو حيث إنه بتركيزه لقواته لن يتمكن فقط من منع التقاءها بل إنه كذلك سيتمكن من هزيمتها واحدا تلو الآخر.

وبتعبير آخر يعنى نابوليون هنا تأمين منطقة التجميع Assembly

Area وهى نقطة تتجمع بها القوات لتنفيذ عمل ما ويجرى فى تلك المنطقة إمداد القوات باحتياجاتها المختلفة واستكمال مستويات العملية المخطط لها وتجميع القوات والوحدات المقاتلة فى تشكيل متكامل استعدادا لتنفيذ العملية التى غالبا ما تكون هجومية وما يعنيه نابوليون هنا هو تأمين منطقة التجميع وجعلها بعيدة عن العدو حتى لا يتمكن من توجيه ضربة وقائية إليها قبل تمام استعدادات القوات ويحذر من أن العدو يمكنه بتركيز قواته توجيه ضربة يقضى بها على تلك التشكيلات واحدا تلو الآخر قبل استكمال تجميعها والأمر يشبه إلى حد كبير قام به خالد بن الوليد رضى الله عنه فى معركة الولجة[14] مع الجيش الفارسى فى العراق بقيادة اندر زغر حيث

---

[14] فى معركة الولجة التى دارت بين المسلمين والفرس كان جيش الفرس يتفوق على جيش فيها حوالى ثلاثين ألفا بينما كان عدد المسلمين بحوالى الضعف تقريبا وكان على خالد بن الوليد رضى الله عنه أن يسارع بمهاجمة جيش الفرس الأول بقيادة اندر زغر وهزيمته وكان كسرى فارس فى ذلك الوقت أردشير قد أمر بحشد جيشين كبيرين لملاقاة المسلمين وكان على اندر زغر التقدم إلى الولجة بجيشه لينتظر الجيش الثانى بقيادة بهمن ليحتشد الجيشان تحت قيادة بهمن ثم يقوما بتوجيه ضربة قاضية للمسلمين لطردهم نهائيا من العراق وكان جيش المسلمين يتكون أساسا من المشاة مع أعداد من الخيالة وأمر خالد بن الوليد الفرسان بالاختباء خلف مرتفع يقع خلف الجيش الفارسى بعد تقسيمهم إلى مجموعتين وأمرهم بمهاجمة مؤخرة الجيش الفارسى عند إعطائهم الإشارة وبدأت المعركة بهجوم أمامى شنه المشاة المسلمون على الفرس بمواقعهم ثم بدأت المرحلة الثانية بهجوم مضاد شنه الفرس بمعاونة الخيالة الثقيلة واستمر المسلمون فى الاحتفاظ بمواقعهم بالرغم من الضغط الكبير للخيالة الفارسية الثقيلة، ثم أعطى خالد بن الوليد الإشارة للخيالة المختبئة خلف المرتفع للهجوم وفى لحظات ظهرت فرقتا الخيالة الإسلاميتين خلف ميسرة الجيش الفارسى وميمنته وبدأتا فى الهجوم بسرعة خاطفة وبعد أن تخلصت مجموعتا الخيالة من تهديد الخيالة الفارسية الثقيلة بدأت فى تطويق جيش الفرس بينما استأنف المشاة المسلمون بقيادة خالد بن الوليد هجومهم على الجيش الفارسى من الأمام ثم حقق أخيرا اتصالا مع الفرسان للإحاطة بالفرس ومحاصرتهم بشكل كامل وفعلا حوصر الفرس وأصبحوا فى وضع لا يمكنهم من استخدام أسلحتهم وقضى

أسرع لملاقاته قبل أن يلحق به الجيش الفارسى الآخر بقيادة بهمن.

المبدأ العسكرى ٥

يجب أن تكون كل حرب منهجية، لأن كل حرب ينبغى أن يكون لها هدف ويجب أن يتم شنها بالتطابق مع مبادئ وقواعد الفن (العسكرى) ويجب أن يتم شن الحرب بقوات تتماشى مع حجم العوائق المتوقعة.

المبدأ العسكرى ٦

عند البدء فى حملة ما، فإن مسألة التقدم من عدمه تتطلب مناقشتها بعناية، ولكن بمجرد القيام بالهجوم فعليك الاحتفاظ به (أى بالوضع الهجومى) إلى أقصى الدرجات، فإن الانسحاب حتى وإن تم بمناورة بارعة فإنه دائما ما سينتج عنه تداع فى الروح المعنوية للجيش، حيث إنه عندما تفقد فرص النجاح فإنك تلقى بهم فى أيدى العدو، هذا إلى جانب أن الانسحاب دائما ما يكلف أكثر من الاشتباكات الدامية وبهذا الفرق فإن العدو فى المعركة يخسر بقدر ما تخسر أنت بينما تكون كل الخسارة فى جانبك عند الانسحاب.

على الرغم مما يقوله نابوليون هنا من أن الإقدام على الهجوم لا بد من

المسلمون عليهم ومات قائد الجيش عطشا والمعركة مذكورة بشىء من التفصيل فى كتاب فن الحرب.

أن ينبنى على قرار يتخذ بعد دراسة وافية وهذا صحيح ولا شك إلا أننا نجده فى عام ١٧٩٩ يقدم على السير نحو الشام منطلقا من مصر ليحارب قوات الدولة العثمانية بأكملها ومعه جيش يتكون من ١٣٠٠٠ جندى وضابط تاركا خلفه جيشا يقدر عدده بعشرة آلاف للسيطرة على بلد مترامى الأطراف لم يكن قد أتم السيطرة على كل أجزاءه علاوة على انقطاع اتصال ذلك الجيش بفرنسا حيث لم يكن الجيش قادرا على الحصول على إمدادات من فرنسا من جراء الحصار البحرى الذى فرضته على سواحل مصر كل من السلطنة العثمانية وإنجلترا فى ذلك الوقت بغرض خنق جيش نابوليون هذا بالإضافة إلى الطاعون الذى تفشى بين جنوده تفشيا وبائيا للدرجة التى كانت معها إحدى الكتائب تفقد يوميا ما بين ستة إلى سبعة من أفرادها وبعد بضعة أيام ارتفع معدل الوفيات إلى سبعة عشر فردا فى اليوم الواحد وزاد الطين بلة أن كانت بعض الوحدات تعانى نقصا حادا فى الإمداد بالطعام لدرجة أن ما تبقى من الطعام[15] فى بعض الوحدات لم يكن يكفى إلا لثمان وأربعين ساعة، هذا بالطبع علاوة على انهيار الروح المعنوية بين الجنود والضباط على حد سواء وانتشار الشائعات عن قوة الطاعون وسوء معاملة المرضى[16] للدرجة التى جعلت نابوليون يأمر

---

[15] بلغ النقص فى الطعام فى بعض الوحدات الموجودة فى مصر مبلغا خطيرا ففى أبو قير مثلا كانت جراية الجندى نصف رطل من الخبز ونصف أوقية من زيت الزيتون للدرجة التى جعلت حاكم ابو قير يكتب لقيادته قائلا إن عددا من رجالى هربوا وأخبروا رفاقهم أنهم سيبحثون عن مكان أو سيد يستطيع إطعامهم

[16] يذكر المؤرخ كريستوفر هيرالد Christopher Herald فى كتابه بونابرت فى مصر جانبا من سوء معاملة الأطقم الطبية للمرضى فينقل الشائعات التى ذاع انتشارها بين القوات الفرنسية فى مصر فى ذلك الوقت والتى تقول بأن المرضى الذين يشكون من أمراض عادية كانوا يوضعون على أسرة لم تكد ترفع عنها جثث ضحايا الطاعون وأن خدم المستشفيات يبيعون ثياب الموتى بدلا من حرقها وإن جثث الموتى بمرض الطاعون كانت تظل بدون دفن لمدة أربعة وعشرين ساعة أو يتم دفنها فى قبور

بإطلاق النار على الأطباء الذين يرفضون معالجة المرضى بشكل جدى ولم يسلم الجنرالات من انخفاض الروح المعنوية فأخذت طلبات العودة إلى فرنسا تنهال على نابوليون من جنرالاته يضاف عليها الاستقالات. فى ظل كل تلك الظروف السيئة والأوضاع المتردية للقوات الفرنسية البائسة فى مصر أقدم نابوليون على السير بجيشه إلى الشام ليحاصر عكا التى صمدت أمام الحصار البرى الفرنسى مما أدى فى نهاية الأمر إلى أنسحاب نابوليون من الشام بعد أن كان قد احتل يافا[17] وعدة مدن أخرى فى الشام. ومن ناحية أخرى فإن الجزء الثانى من الفقرة الذى يتناول الانسحاب لا يبدو دقيقا من الناحية العسكرية على إطلاقه فقد يرى القائد أن الانسحاب هو الحل الأفضل طبقا لما تمليه عليه ظروف القتال وقوة العدو ووضع قواته وما قد يصاحب ذلك من تفوق للعدو سواء من ناحية العدد أو من ناحية الأرض وهى أوضاع قد تفرض على القائد أحيانا فى ميدان القتال، فقد ينسحب جنرال ما بجيشه لإعادة تجميع قواته فليس الانسحاب دائما مما يشين، الأمر الذى يبدو معه ذلك القول ضربا من المبالغة وفى كتاب الإستراتيجيات الست وثلاثين تقول الفقرة الأخيرة:

غير عميقة فتنبشها الكلاب لتأكل الموتى وأظن ان فى هذا ما يكفى للرد على الفرنسيين الذين قالوا إنهم جاءوا إلى مصر فوجدوا المصريين يدفنون موتاهم فى الشوارع فعلموهم دفن الموتى ويتبعهم فى تلك الدعاوى من يقرأ التاريخ بلا تمحيص من الجهلة وعبدة الغرب الذين ابتلت بهم بلادنا كما لو كان المصريون فى ذلك الوقت غير مسلمين وكما لو كان النبى صلى الله عليه وسلم لم يعلم المسلمين كيفية دفن الميت والصلاة عليه وما يتعلق بذلك من سنن.

[17] فى مايو من عام ١٧٩٩ وبعد قتال دام لمدة ثلاثة أيام تمكن نابوليون من الاستيلاء على يافا وبعد أن أشاعت قواته السلب والنهب وهتك الأعراض وجدوا فى أبراج المدينة ثلاثة آلاف ممن كانوا يدافعون عن يافا فأمر نابوليون بقتل الفين وخمس مائة منهم وكان ذلك الأمر وبالا على جيشه حيث ألقيت الجثث فى العراء فتعفنت وتسببت فى زيادة تفشى وباء الطاعون فى جيشه

"إذا فشل كل شيء فعليك بالانسحاب"

. بمعنى أنه إذا اتضح أن جهودك الحالية لم تسفر عن أى تقدم فإن ذلك معناه أن الهزيمة آتية لا محالة ومعنى ذلك أن عليك أن تنسحب على الفور لتعيد تجميع قواتك.

بل إن الانسحاب أحيانا يكون طريق الجيش إلى النصر مثل تلك المناورة التى نفذها بيبرس فى الخامس والعشرين من رمضان من عام ٦٥٨ هجرية فى معركة عين جالوت[18] لاستدراج كتبغا إلى الفخ الذى نصبه لهم المسلمون بالمشاة والجياد المملوكية الثقيلة والتى كان من جرائها أن اندفعت قوات كتبغا بسرعة شديدة خلف الطليعة التى يقودها بيبرس بعد أن ابتلعت الطعم ليقوم الجيش بسحقهم فيما بعد وقد نفذت تلك المناورة فى عدد لا يحصى من المعارك عبر التاريخ فنذكر منها مثلا معركة تراسيمين Trasimene بين هانيبال والرومان عام ٢١٦ قبل الميلاد حيث أمر جزءا من قواته بإشعال النار ثم التظاهر بالانسحاب بعيدا حتى يغرى فلامينيوس Flamenius القائد الرومانى بتتبعهم وبالفعل ابتلع القائد الرومانى الطعم فهزم هزيمة نكراء بل إن سون تزو فى كتابه فن الحرب ينصح أحيانا بالانسحاب فى بعض المواقف وذلك فى الفصل العاشر بعنوان الأرض فى الفقرة الحادية عشرة والتى يقول فيها:

" إذا احتلها[19] العدو قبلك فلا تتبعه، ولكن قم بالانسحاب وحاول أن تجذبه بعيدا "

وعن الانسحاب يقول فون كلاوزفيتس مؤلف كتاب فى الحرب:

" إن ترك ميدان القتال لا يعنى التخلى عن الهدف العام حتى ولو كانت

---

[18] من كتاب فن الحرب ترجمة وتعليق المترجم

[19] أى الأراضى المرتفعة المشمسة التى يتكلم عن أهمية احتلالها فى الفقرة العاشرة السابقة عليها

المعركة شديدة الضراوة ولو استمرت فترة طويلة وفى المعارك التى تهدف إلى تدمير جيش العدو لا يمكن أن يعتبر الانسحاب تخليا عن هذا الهدف وهذا على سبيل المثال فى الانسحاب المخطط له مسبقا والذى يكون فيه التنازع على كل شبر من الأرض ونود هنا أن نلفت الانتباه إلى حقيقة أنه فى معظم الحالات فإن التفرقة بين التخلى عن الهدف وترك ميدان القتال صعبة جدا "

وهناك مثال على ذلك وهو الانسحاب الناجح الذى نفذه خالد بن الوليد رضى الله عنه فى غزوة مؤتة ففى غزوة مؤتة كان عدد جيش السلمين ثلاثة آلاف رجل مقابل حوالى مائتى ألف من الروم والعرب التابعين لهم وكان سبب الغزوة أصلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث الحارث بن عمير الأزدى بكتاب إلى ملك بصرى فقتله شرحبيل بن عمرو الغسانى حيث أوثقه وضرب عنقه فغضب الرسول لذلك غضبا شديدا وأمر بتجهيز الجيش لمقاتلة الروم وحلفاءهم وأمر عليهم زيد بن حارثة رضى الله عنه وقال " إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس وإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة " وتوقف الجيش عند مدينة مؤتة بالبلقاء فى الشام فوجدوا جيش الروم وبدأوا فى هجومهم بعد الفجر فى الخامس من جمادى الأول من العام الثامن للهجرة الموافق سنة ٦٢٩ ميلادية ولم يكن الروم يتوقعون أن يبدأ جيش صغير الحجم مثل جيش المسلمين الهجوم عليهم ثم استؤنف الهجوم فى اليوم التالى حتى استشهد القواد الثلاثة رضى الله عنهم فاصطلح الناس على تولية خالد بن الوليد رضى الله عنه وبالرغم من ثبات المسلمين إلا أن خالد بن الوليد قرر أن ينقذ الجيش من خطر التدمير وتفادى القتال حيث قام بتغيير أوضاع القوات ودفع بالمؤخرة إلى المقدمة وهى تحمل رايات جديدة حتى يظن العدو أن المسلمين تلقوا إمدادات ليلا وكذلك أمر الفرسان بالاختباء خلف التل ثم الظهور باتجاه ميدان المعركة بعد أن يبدأ فى مناوشاته مع الجيش الرومانى بحيث يدخل فى روعهم أن

هناك إمدادات أكبر فى طريقها إلى جيش المسلمين أثناء القتال وقام خالد بالمناوشة وقاتل قتالا عنيفا حيث كسر فى يده فى ذلك اليوم تسعة سيوف حتى وصل المسلمون إلى خيمة قائد الروم ثم أمر بعد ذلك بانسحاب الجيش بطريقة منظمة وانخدع هؤلاء بالفعل وبدأ الجيش فى الانسحاب تحت بصر الروم الذين خبروا القتال مع المسلمين فى أول يوم وكانوا غير راغبين بالمرة فى قتال نفس الجيش الذى قاتل بتلك الشراسة فى اليوم الأول وخصوصا بعد أن وصلته الإمدادات كما اعتقدوا، علاوة على أنهم ظنوا ان انسحاب خالد بن الوليد بالجيش كان يهدف إلى جرهم لكمين فتحاشوا مطاردته[20] وعاد الجيش بقيادة خالد بن الوليد إلى المدينة المنورة

---

[20] يقول المؤرخون البيزنطيون الذين طردهم خالد بن الوليد بعد تلك المعركة بحوالى عشرين عاما من الشام نهائيا بعد أن هزم جيوش هرقل هزيمة ساحقة فى معركة اليرموك فى وصفه للمعركة إن ثلاثة من قواد الجيش قتلوا ونجح خالد بن الوليد وحده فى الهرب وهذا قول ثيوفانيس Theophanes وهو راهب ومؤرخ بيزنطى ويؤيده فى ذلك بعض الجهلة الحاقدين من مؤرخى الغرب من أمثال فريد دونر Fred Donner مؤلف كتاب الفتوحات الإسلامية الأولى Early Islamic Conquests الذين يدفعهم حقدهم دائما إلى تجاهل الأدلة المنطقية والأحداث الحقيقية ليقولوا إن المسلمين قد هزموا وذلك حتى يطفئوا الحقد المستعر فى صدورهم على الهزائم التى ألحقها بهم المسلمون وأبسط رد على هؤلاء الجهال هو البحث المنطقى فى الوقائع التى تلت المعركة فلا الرومان استطاعوا مطاردة المسلمين بعد انتهاء المعركة والهزيمة المزعومة التى يدعونها فان كانوا حقا قد هزموهم فلم لم يطاردوهم ليقضوا على البقية الباقية منهم ؟ ان الاجابة على مثل هذا السؤال وحده كفيلة بالرد على هؤلاء ولا نجدهم مثلا حاولوا الاقتراب من المدينة المنورة عاصمة الدولة فى ذلك الوقت يضاف إلى هذا أن أعداد الشهداء من المسلمين تشهد بأنهم لم ينهزموا فهل يعقل أن تكون خسائر جيش مهزوم ثلاثة عشر شهيدا ؟؟ علاوة على أن المسلمين الذين يدعى هؤلاء أنهم هزموا قد قاموا بطردهم شر طردة من الشام بعد ذلك وأذلوهم أيما إذلال حيث فتك خالد بن الوليد بجيشهم الذى فاق فى عدده الجيش الذى واجهه المسلمون فى مؤتة وذلك فى معركة اليرموك فلم لم يقوموا بالقضاء على تلك القوات المنهزمة كما يزعمون لكى لا يصلوا إلى تلك النتيجة ؟.

بعد أن أنقذ الجيش الإسلامى وأعاد له هيبته أمام الروم وأمام القبائل العربية التابعة لهم ونفذ أنجح عمليات الانسحاب فى التاريخ على الإطلاق بعد أن فقد المسلمون ثلاثة عشر شهيدا فقط.

المبدأ العسكرى ٧

يجب أن يكون اى جيش مستعدا فى كل يوم وكل ليلة وكل ساعة لتقديم كل ما يستطيع من مقاومة ومن الضرورى بناءا على ذلك أن يكون لدى الجنود أسلحتهم وذخائرهم ويجب أن يكون لدى المشاة مدفعيتهم وفرسانهم وجنرالتهم على الدوام ويجب أن تكون فرق الجيش المختلفة فى وضع يتيح لها المساعدة على الدوام وأن تقوم كل منها بدعم وحماية الآخرين وكذلك ينبغى أن تكون القوات سواء كانت معسكرة أو تسير أو واقفة فى أوضاع متفوقة وينبغى أن تمتلك الصفات المطلوبة فى كل ميدان للمعركة، بمعنى أن الأجناب يجب أن تكون مدعومة جيدًا وأن تكون المدفعية موضوعة بحيث يمكن أن تشارك فى المعركة وعندما يسير الجيش متخذا شكل طابور فيجب أن تكون هناك طليعة (حرس) متقدمة وحرس للأجناب لملاحظة تحركات العدو فى الأمام وعلى اليمين وعلى اليسار وعلى مسافة كافية للسماح للقوات الرئيسية للجيش بالانتشار واتخاذ مواقعها.

يتحدث نابوليون هنا عن أهمية التدريب المستمر للقوات وقد مس موضوع التدريب بشكل عابر كما فعل سون تزو ولعل نابوليون عندما صاغ تلك الفقرة كان متأثرا بما كتب سون تزو ويؤكد هذا الأخير كذلك على أهمية التدريب فى كتابه فن الحرب عندما يقول فى الفقرة الحادية

عشرة منه:

على أى جانب يكون تدريب الضباط والجنود عاليا

ويعلق أحد الشراح الصينيين على ذلك قائلا إنه بدون التدريب الدائم فإن الضباط سيصبحون عصبيى المزاج عند احتشادهم للمعركة وبدون الممارسة سيكون القائد أو الجنرال مذبذبا وغير حاسم عندما تبدأ الأزمة، كذلك نجد فون كلاوزفيتس فى كتابه (فى الحرب) يؤكد على أهمية التدريب فى وقت السلم ولكنه يفصل ذلك بشكل أكثر تعمقا حيث يقول :

" لا يمكن لأى جنرال أن يعود جيشه على الحرب دفعة واحدة وأن معسكرات المناورة (التدريب فى السلم) لا تشكل إلا بديلا ضعيفا لها (اى للحرب) وهى ضعيفة مقارنة بالخبرة الحقيقية للحرب ولكنها ليست ضعيفة إذا ما قورنت بالجيوش الأخرى التى يكون التدريب فيها محدودا وعبارة عن مجرد ممارسة ميكانيكية للروتين ولذا فإن تنظيم التدريب فى وقت السلم يجب أن يشمل بعض أسباب الاحتكاك والتفرقة بل وحتى قرارات القادة المختلفين يمكن أن يشملها التدريب وسيكون لذلك نتائج أعظم من أولئك الذين يظنون أنهم لن يعرفوا إلا بالخبرة العملية، وإن من الأمور شديدة الأهمية سواء كان عالي أو منخفض الرتبة وأيا ما كانت درجته فلا يجب أن يلقى فى الحرب أشياء يراها للمرة الأولى فإن ذلك سيجعله فى حالة من الذهول والحيرة عما إذا كان قد لقيها مرة واحدة من قبل حتى ولو كان يعرفها نصف المعرفة ويسرى ذلك أيضا على الإنهاك الجسدى فيجب أن تتم مارسة ذلك حتى يتعود الجسد عليها ففى الحرب يميل الجنود الصغار إلى اعتبار الإجهاد البدنى نتيجة للأخطاء وسوء التصرف ونتيجة لذلك يصبح محبطا ومستاءا ولن يحدث ذلك إذا ما تم إعداده مسبقا عن طريق التدريب فى وقت السلم "

وفى موضع آخر من نفس الكتاب يقول:

" إن خبـرة الجـيش مـن خـلال التـدريب وتلـك الـشجاعة التـى تمـسك بصفوف الجيش معًا كما لو كانوا سبيكة صُبت فى قالب هى التى تظهر تفوقهم فى الأرض المفتوحة "

بعد ذلك ينتقل نـابوليون إلـى موضـوع الاستعداد بشكل عام وهو أمر مرتبط بشكل وثيق لا يمكن فصله بالتدريب ويتحدث عن الدعم الذى تقدمه كل من وحدات الفرسان والمدفعية للمشاة وكان سلاح الفرسان فى ذلك الوقت وحتى الحرب العالمية الأولى يحتل موقعا مهما فى جيوش الدول الكبرى ومن الجدير بالذكر أن المسلمين كانوا هم أفضل من استخدم الفرسان فى القتال وقد عنى الرسول صلى الله عليه وسلم منذ بداية الهجرة إلى المدينة بتقوية وزيادة عدد الخيول فى الجيش وكان تسليح الفرسان فى بداية الدولة الإسلامية يتكون من الرماح والسيوف وكان المسلمون يعتمدون على الفرسان الخفيفة وأثبتت الفرسان الخفيفة فى سنوات الدولة الأولى تفوقها حيث لعبت دورا كبيرا فى الفتوحات التى تمت فى الشرق فى العراق والشام وكان أفضل من استخدم تشكيلات الفرسان فى المعارك الإسلامية هو خالد بن الوليد رضى الله عنه وكان قد نظم قوات الفرسان بشكل لم يعرف من قبل حيث نجده فى معركة اليرموك يتخلى عن التنظيم السائد فى ذلك الوقت حيث كان الفرسان غالبا ما تتراص خلف قوات المشاة فنجده يقلل من أعداد قوات الفرسان الموجودة خلف المشاة بغرض الدعم، ليشكل طليعة متحركة[21] تعمل تحت إمرته كقوة ضاربة وكان ذلك

[21] بعد معركة أجنادين شكّل خالد بن الوليد طليعة متحركة من الفرسان قوامها حوالى أربعة آلاف فارس فيهم عدد من الصحابة منهم على سبيل المثال القعقاع بن عمرو وضرار بن الأزور رضى الله عنهما وكان يقودها بنفسه وقد سجل أول استخدام لذلك التشكيل فى حصار دمشق ثم فى معركة اليرموك وقد استخدم ذلك التشكيل فيما بعد كطليعة متقدمة للقوات الإسلامية حيث كانت قادرة على هزيمة الجيوش المعادية مستغلة فى ذلك قدرتها على الحركة والمناورة الأمر الذى كان يعطيه اليد

التشكيل يتميز بخفة الحركة والسرعة والقدرة على المناورة ونجح بذلك فى قلب موازين المعركة وتوجيه ضربات قاصمة للقوات الرومانية أدت إلى هزيمتهم فى نهاية الأمر فى الوقت الذى كان سلاح الفرسان فيه يستخدم للدعم وبعد ذلك بحوالى مائة عام نجد سلاح الفرسان الإسلامي فى عهد الدولة العباسية يسجل انتصارا مبهرا على الصينيين[22] هو الوحيد

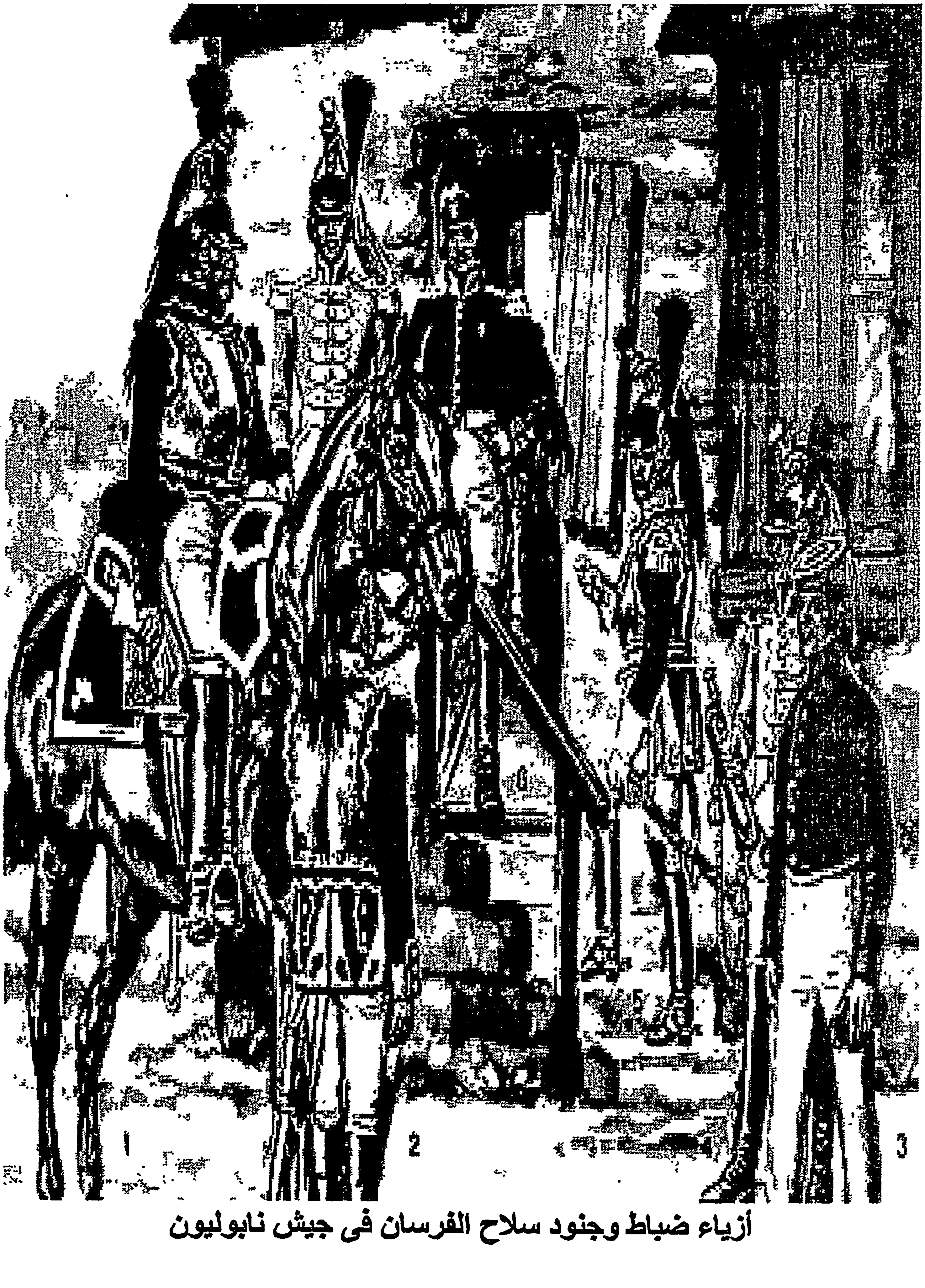
العليا فى القتال فى مواجهة اى من تشكيلات الفرسان الرومانية ومما يذكر فى هذا المقام معركة حاضر فى عام ٦٣٧ ميلادية والتى قام خالد بن الوليد فيها بالمناورة والالتفاف خلف الجيش الرومانى ومهاجمته من الخلف فحوصر الجيش بالكامل ولم ينج منه هذه المرة جندى واحد وكان من ضمن ما استحدثه خالد بن الوليد فى ذلك التشكيل هو مجموعة من الرجال الذين يتميزون بالذكاء والفطنة وكانت مهمتهم جمع المعلومات وسؤال العيون وتقصى الأخبار وكانوا يذهبون معه أينما ذهب وهو ما سيتطور لاحقا ليصبح هيئة الأركان فى الجيوش الحديثة وكانت تلك المجموعة جزءا من ذلك التشكيل

[22] هى إحدى المعارك النادرة التى دارت بين الدولة الإسلامية والصين فى عام ٧٥١ ميلادية ويصفها أحد الكتاب الأمريكيين بأنها لقاء بين عملاقين وكانت القوات الإسلامية بقيادة زياد بن صالح والقوات الصينية فى عهد أسرة تانج Tang بقيادة كاو شييه تشيه Kao Hsieh Chih وكان المسلمون قد اجتازوا تلك المناطق فى آسيا الوسطى فى عهد الخلافة الأموية وكان التنازع قائما بين الدولتين الخلافة العباسية من جهة وأسرة تانج من جهة أخرى للسيطرة على تلك المناطق وكان هدف المسلمين هو نشر الإسلام فى تلك البقاع بينما كانت هدف الصينيين الذين كانوا يسيطرون على تلك المناطق بشكل فعلى منذ القرن الثانى قبل الميلاد وبشكل اسمى فى بداية فتوحات الامبراطورية الاسلامية هو السيطرة على طريق الحرير وتأمين التجارة فيه والتخلص من الإزعاج الذى يسببه لهم المسلمون وكان المسلمون قد اصطدموا بالصينيين فى معركتين دارتا فى فرغانة قبل ذلك بعدة سنوات حيث انتصروا على القبائل المتحالفة مع المسلمين هناك وأشاعوا التخريب والذبح بينهم وفى موقعة أخرى جرت بسبب نزاع بين كل من فرغانة وتشاتش Chach قطع كاو شييه تشيه القائد الكورى الذى كان معينا لحساب الصينيين رأس حاكم تشاتش فهرب ابنه إلى خراسان مستنجدا بأبى مسلم الخراسانى حاكم إقليم خراسان فى ذلك الوقت من قبل الخلافة العباسية ووجد ذلك الأخير فى هذا فرصة لا ينبغى إضاعتها لتحجيم النفوذ

المسجل بين الدولتين فى المعركة المعروفة باسم معركة نهر طلاس حيث سحق الفرسان المسلمون المشاة الصينيين عند ضفة النهر ونتج عن ذلك ترسيخ السيطرة الإسلامية فى منطقة وسط آسيا بعد ذلك بعدة قرون ونرى المماليك وقد نظموا سلاح الفرسان بطريقة غاية فى الدقة وكان على الفرسان أن يتبعوا تقاليد معينة من الكرم والشجاعة والفروسية وما إلى ذلك إضافة إلى وجوب إجادتهم لتكتيكات سلاح الفرسان وركوب الخيل والرمى بالنبال ومعالجة الجرحى أما سلاح الفرسان فى عهد نابوليون بونابرت فكان تنظيمها جيدا فكانت تتكون من سرايا وكان فوج الفرسان ما بين ٨٠٠ إلى ١٢٠٠ فردا وخلال الحملات كان العدد يقل فعلى سبيل المثال خلال عبور نهر الراين فى شهر سبتمبر من عام ١٨٠٥ كان هناك ثمانية أفواج من الفرسان لابسى الدروع Cuirassier ويتكون كل فوج من ٤٨٤ فارس فى المتوسط وكان الفوج فى الغالب يتكون من ٣ إلى ٤

الصينى فى مناطق وسط آسيا فحشد جيشا كبيرا فى مرو وانطلق وعبر نهر آمو داريا Amu Darya لينضم إلى القوات الإسلامية هناك بقيادة زياد بن صالح وكان الصينيون قد حشدوا وفقا للمصادر الإسلامية قوات تقدر بمائة ألف بينما تقول الحوليات الصينية والتقى الجيشان عند مدينة طلاس أو طراز وكانت تحتل الموقع الذى تشغله الآن مدينة دجامبول Dzhambul القرغيزية وتتفق المصادر الإسلامية والصينية على أن المسلمين نجحوا فى سحق القوات الصينية حيث هاجمتها قبائل قارلوك Qarluk التركستانية من الخلف وفقا لخطة وضعها زياد بن صالح ولعبت الخيالة دورا كبيرا فى هزيمة القوات الصينية حيث انقضت عليها بعد مهاجمة مؤخرة القوات الصينية وبعثرتها واشاعت فيها القتل وفر الصينيون من ميدان القتال وقام المسلمون بمطاردتهم وفى ذلك يقول الذهبى " ألقى الله الرعب فى قلوب الصينيين وأنزل نصره على المسلمين فولى الكفار مدبرين " وكان من نتيجة تلك المعركة أن انتشر الإسلام فى تلك البقاع ولم يعد الصينيون بعدها لمهاجمة المسلمين بل إن حكم اسرة تانج فى الصين أخذ فى الانهيار فيما بعد ذلك بقليل وكان من أبرز نتائج تلك المواجهة أن انتشر الإسلام فى تلك المنطقة من آسيا وخرجت نهائيا من تحت قبضة الصين.

سـرايا ففــى معركــة اوســترليتز Austerlitz علــى ســبيل المثــال كــان الفرنسيون يمتلكون ٤٤ فوجا من الفرسان تضم فـى مجموعهـا ١٥٣ سـرية أى بمعدل ٣،٥ سرية للفوج الواحد وارتفع العدد فيما بين عـامى ١٨١٢ و١٨١٣ ليصبح من ٦ إلـى ٨ سرايا فـى الفوج الواحد وكانـت قـوة سـرية الفرسان فى الميدان تتراوح بين ٨٥ إلى ٢٥٠ رجل.



أزياء ضباط وجنود سلاح الفرسان فى جيش نابوليون

المدفعية فى جيش نابوليون

ثم يتحدث نابوليون بعد ذلك عن أهمية توافر المدفعية لدى الجيش وكان نابوليون أصلا ضابط مدفعية وأظهر تفوقا ملحوظا فى استخدام المدفعية وخصوصا الثقيلة فى أكثر من معركة وكان يستخدمها ببراعة فكانت براعته فى استخدامها من أهم أسباب أنتصاراته فى معارك كثيرة وقبل نابوليون كانت المدفعية قد تطورت فى أوربا وانتشرت فى كل الدول الأوربية تقريبا وكانت فرنسا تمتلك مدافع أخف وزنا من تلك التى يستخدمها الإنجليز مثلا وتسمى مدافع جريبوفال Gribeauval وكانت تلك النوعية من المدافع بأعيرتها المختلفة (١٢، ١٠، ٨ رطل للمقذوف) هى المفضلة لدى نابوليون لخفة وزنها نسبيا وبالتالى سهولة نقلها وكان يستخدم المدفعية ببراعة ليضرب بها تجمعات المشاة حتى يفسد ترابطها فيقوم الفرسان بهاجمتها بالخيول فيما بعد وكانت المدفعية تلعب دورا مهما فى القتال البحرى وكانت كل السفن تحتوى من ٥٠ إلى مائة مدفع وفى عام ١٧٩٨ كانت سفينة القيادة ومقر نابوليون عند بدء الحملة على مصر وتدعى لوريان L'Orient تحمل مائة وعشرين مدفعا مما جعلها فى ذلك التاريخ أكثر السفن تسليحا فى العالم وكانت المدفعية فى عهد نابوليون هى العمود الفقرى للجيش وكانت تمتلك أكبر قوة نيرانية بين الأفرع الثلاثة لجيش نابوليون Grande Armée فى ذلك الوقت ولذا كانت تكبد القوات المعادية أكبر قدر من الخسائر فى أقل وقت وكانت المدفعية الفرنسية عادة ما تستخدم على شكل بطاريات يتم حشدها وتسليطها على التشكيلات المعادية لإضعافها قبل أن تقوم المشاة أو الفرسان بمهاجمتها وكانت أطقم المدفعية تلقى تدريبا جيدا مما مكن نابوليون من الاحتفاظ بمستوى جيد من السرعة عند نقلها سواء لدعم نقطة ضعيفة تتعرض للهجوم أو لفتح ثغرة فى خطوط العدو وعلاوة على التدريب الرفيع الذى كانت يتلقاه ضباط وجنود المدفعية فإن الفرنسيين قد أدخلوا الكثير من التحسينات على

مدافعهم فجعلوها أخف وزنا وأسرع يضاف إلى ذلك تحسين المقذوف ووضع أعيرة قياسية وكانت المدفعية الفرنسية من أعيرة ٤ و٨ و١٢ رطل وهاوتزرات من عيار ٦ بوصة وتم الاستغناء عن الأعيرة الخفيفة واستبدال الستة رطل بها وكانت مواسير ودانات المدافع الفرنسية مصنوعة من البرونز وكانت العجلات والأجزاء الأمامية مطلية بلون أخضر زيتونى وكانت منظمة بشكل جيد وتتكامل بشكل جيد فى وحدات المشاة والفرسان مع القدرة على العمل بمفردها عند الضرورة وكان هناك نوعان من المدفعية وهى المدفعية المترجلة Artillerie à Pied ومدفعية الجياد Artillerie à Cheval يقوم بخدمتهما من الناحية اللوجيستية فريق للنقل يسمى قافلة المدفعية Train d'artillerie، قام بتأسيسها نابوليون فى عام ١٨٠٠

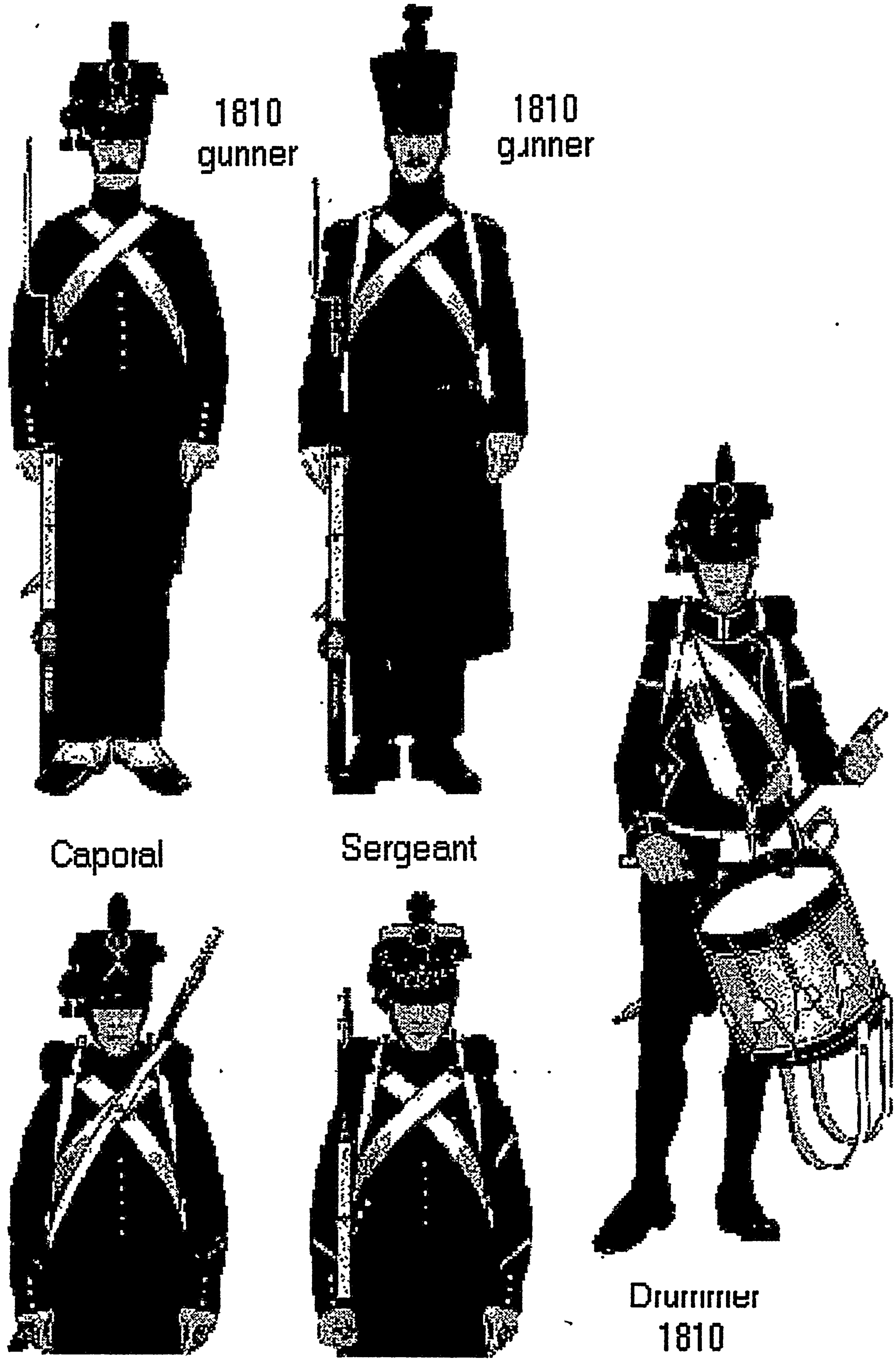
المدفعية المترجلة

ومعنى المدفعية الراجلة أى المدفعية التى يقوم أطقمها بجرها والسير إلى جانبها ولكنها كانت تجر بالجياد عندما يتم طيها لذا كانت سرعة سيرهم مثل المشاة أو أقل وكان تسليح جندى المدفعية عبارة عن بندقية Musket وسونكى Bayonette وسيف قصير Sabre مما يستعمله جنود المشاة وفى عام ١٨٠٥ كان لدى الجيش الفرنسى ثمانية أفواج من المدفعية ثم عشرة بعد ذلك إضافة إلى فوجين من الحرس الإمبراطورى Imperial Guard وكانت وحدات العمليات والوحدات التكتيكية الرئيسية هى البطارية أو الكتيبة وتتكون كل منها من ١٢٠ فردا تشكل الوية ويتم إلحاقها بالفرق والفيالق وزعة على النحو التالى :

- مدفعية الفرقة، كان بكل فرقة لواء من المدفعية يتكون من ٣ إلى ٤ بطاريات من ثمان مدافع فى كل منها
- احتياطى مدفعية الفيلق، وكان بكل فيلق احتياطى المدفعية

الخاص به قوامه لواء مدفعية أو أكثر وتسليحها الأساسى عبارة عن المدافع الثقيلة ذات الأعيرة الكبيرة

و كان طاقم البطارية يتكون من طاقم المدفع وضبابط صف وضباط علاوة على حاملى طبول وأدوات معدنية وحطابين وفنانين وكانت مسئوليتهم هى ضبط قطع الغيار وصيانة وإصلاح المدافع والدانات وعربات الذخيرة Caisson وعربات الجر وكذلك قيادة الجياد وتخزين الذخيرة



صورة تبين أزياء ووظائف أطقم المدفعية المترجلة فى جيش نابوليون

مدفعية الجياد

كان سلاح الفرسان مدعوما بالمدفعية السريعة الحركة السريعة فى إطلاق النار وكان هذا السلاح خليطاً من المدفعية والفرسان وكانت الأطقم إما تمتطى الجياد أو تركب العربات أثناء المعركة وكان الضباط والأطقم بشكل عام أفضل تسليحا وتدريبا من غيرهم حيث كانوا يعملون قريبا من الخطوط الأمامية وكانوا مدربين على سرعة النزول وسرعة نشر المدافع ثم القيام بقصف العدو بصورة مكثفة ثم طى المدافع وإعادة نشرها فى موقع جديد وتكرار المثل مرة أخرى لذا كانوا يتلقون أفضل التدريبات من بين كل أطقم المدفعية الفرنسية وكانت مدفعية الفرسان قادرة على الانتقال من وضع العدو بالجياد باقصى سرعة إلى وضع الرمى بالمدفع فى أقل من دقيقة وقد علق دوق ولينجتون **Duke of Wellington** على ذلك عندما شاهده قائلا " إنهم يحركون مدافعهم كما لو كانت غدارات " وكانت هناك ستة أفواج إدارية بالإضافة إلى فوج إدارى فى الحرس الإمبراطورى علاوة على البطاريات الملحقة بوحدات الفرسان وكان نابوليون يلحق بطارية بكل فيلق مشاة أو بكل فرقة مشاة عند الإمكان وكانت وحدات المدفعية تلك عالية التكاليف لذا كانت أقل من الوحدات المترجلة حيث كانت تمثل خمس عدد المدافع فى الجيش الفرنسى وكانت تعطى مرتبا من الذخيرة يعادل خمسة أضعاف ما تتلقاه وحدات المدفعية المترجلة.



١- ضابط مدفعية

٢- عربة ذخيرة

٣- المدافع التى كانت تستخدمها مدفعية الجياد

٤- طبال

مدفعية الجياد

قافلة المدفعية

قام نابوليون فى عام ١٨٠٠ بتأسيس قافلة المدفعية وهى الفرع الذى أصبح منذ ذلك الحين مسئولا عن النقل فيما يخص سلاح المدفعية الفرنسى وكان يوفر الأطقم والسائقين المسئولين عن الجياد التى تجر عربات المدافع وقبل ذلك كان الجيش الفرنسي مثله مثل كل الجيوش الاوربية المعاصرة له يتعاقد مع ساقين مدنيين للجياد وأحيانا كان هؤلاء يتركون المدافع تحت تأثير النيران المعادية فى وسط المعركة مما كان يفقدها القدرة على الحركة تماما أما قافلة النقل فكان أفرادها مسلحون ومدربون ويرتدون زى الجنود وكان السائقون مسلحين ببنادق وسيف قصير مما تستخدمه المشاة وغدارة وكانت كل قافلة نقل تتكون أصلا من خمس سرايا وكانت الأولى تعتبر سرية الصفوة وكانت مسئولة عن بطارية مدفعية الفرسان وكانت الثلاث سرايا التى تليها مسئولة عن بطاريات المدفعية المترجلة وصناديق الذخيرة وعربات الإمداد أما السرية الأخيرة فهى المسئولة عن التدريب وبعد الحملات التى شنها نبوليون فى عام ١٨٠٠ أصبحت القافلة تضم ثمان كتائب تضم كل منها ستة سرايا وبعد ذلك تم تشكيل المزيد من الكتائب حتى ارتفع عددها إلى أربعة عشر فى عام ١٨١٠ ثم ضوعف العدد بعد ذلك حتى يصل إلى حوالى ثلاثين وكان لدى الحرس الإمبراطورى قافلة النقل الخاصة به .

يناقش نابوليون بعد ذلك أهمية عملية الاستطلاع العسكرى وكيفية تحليل البيانات والمعلومات التى يتم الحصول عليها من ميدان القتال أساسا لتحديد نوايا العدو وقد عالجها قبله سون تزو فى كتاب فن الحرب فى الفصل العاشر بعنوان التحرك بالجيش حيث ناقش فى ٢١ فقرة مسألة الاستطلاع وكيفية استنتاج أوضاع العدو ومحاولة فهم نواياه وتفسير

تحركاته وما إلى ذلك ويقول فى الفقرة ٢٢ على سبيل المثال :

" إن ارتفاع الطيور فى طيرانها لهو علامة على وجود فخ، أما الحيوانات التى تجفل فتشير إلى أن هناك هجوما مفاجئا فى الطريق "

ثم يعدد بعدها العلامات التى يمكن منها الاستدلال على أوضاع مختلفة لجيش العدو وحالة الرأى العام فيه واستعداده وخططه ونواياه ويعرف الاستطلاع العسكرى على أنه عملية البحث النشط عن تحديد نوايا العدو عن طريق جمع والتقاط المعلومات عن تشكيلاته وقدراته بالإضافة إلى الظروف البيئية ذات الصلة[23] وذلك عن طريق الملاحظة المباشرة أوعن طريق الدفع بالدوريات والسفن والغواصات والطائرات أو عن طريق إقامة نقاط ملاحظة خفية والتى تتم عن طريق عناصر الاستطلاع أو جنود الاستخبارات الحربية وخصوصا أولئك الذين تلقوا تدريبا على ذلك، هذا بالطبع إلى جانب وسائل أخرى متعددة مثل أجهزة جمع المعلومات والاستطلاع الجوى والفضائى والاستشعار عن بعد ويتم الاستطلاع العسكرى بوسائل عديدة تشمل ارسال دوريات من القوات والسفن والغواصات والطائرات أو عن طريق انشاء نقاط ملاحظة خفية كذلك يمكن إجراء الاستطلاع بواسطة الاقمار الصناعية والطائرات بدون طيار Unmanned Aerial Vehicles والاستطلاع ينقسم إلى عدة أنواع

---

[23] يعرف الجيش الأمريكى المعلومات الأساسية المطلوب معرفتها عن العدو اختصارا باسم سالت SALT وهى اختصار لكلمات إنجليزية (size , activity , location , time) تعنى الحجم والنشاط والموقع والتوقيت أو ساليوت SALUTE هى اختصار لكلمات إنجليزية (size , activity , location , uniform , time , equipment) وتعنى الحجم والنشاط والموقع والزى والتوقيت والمعدات وهناك سامدوك SAM & DOC هى اختصار لكلمات إنجليزية (strength, armament, movement, deployment, organization, communications) وتعنى القوة والتسليح والتحركات والانتشار والتنظيم والمواصلات

مختلفة حسب الغرض منه وطبيعة القوات التى تقوم به وتنقسم إلى الاستطلاع الفضائى والجوى والبحرى والأرضى وينقسم النوع الأخير إلى الاستطلاع بقوة[24] Reconnaissance in force والاستطلاع بالنيران Reconnaissance by fire[25] استطلاع الأرض Ground[26]

---

[24] وفيه يتم إسناد مهمة الاستطلاع إلى بعض العناصر العسكرية المسلحة فقط للدفاع عن نفسها وتعتمد تلك العناصر على السرية لجمع المعلومات وأحيانا يتم تسليح تلك العناصر بشكل جيد لحرمان العدو من الحصول على المعلومات عن طريق تدمير عناصر استطلاعه وعملية الاستطلاع بقوة تتم لسبر اوضاع العدو عن طريق شن هجوم بقوة جيدة ولكنها غير قادرة على حسم معركة عندما يرغب القائد فى انتزاع رد فعل قوى من العدو يكشف عن قوته وكيفية نشر قواته وبعض المعلومات التكتيكية الاخرى وعلى سبيل المثال فى الحروب الحديثة يمكن لبطاريات صواريخ الارض جو ومحطات الرادار ومواقع المدفعية ان تكشف مواقعها على بعد عدة كيلومترات عندما تشتبك فى قتال ويحتفظ قائد قوة الاستطلاع تلك بخيار العودة إلى الخلف أو توسيع القتال المحدود ليصل إلى اشتباك كامل (من التعليق على كتاب فن الحرب)

[25] هو تكتيك قريب الشبه من الاستطلاع بقوة وحيث تقوم عناصر الاستطلاع بإطلاق النار على موقع للعدو فى محاولة لسبر رد فعله

[26] يتم الاستطلاع الأرضى باستخدام قوات متنوعة من أسلحة مختلفة ولأغراض مختلفة ويتم هذا النوع من الاستطلاع لتلبية احتياجات المستويات المختلفة من القيادات لمعلومات عن العدو حيث يكون القادة فى حاجة لمعلومات عن طريقة تفكير ونوايا العدو ويتم هذا عن طريق الحصول على معلومات عن العدو خارج منطقة القتال ويتم الاستطلاع الخاص Special reconnaissance عن طريق القوات الخاصة فبالنسبة لجيش الولايات المتحدة هناك أكثر من جهة تقوم بالاستطلاع الخاص مثل القوات الخاصة للجيش وقوات المارينز والقوات البحرية الخاصة وتعمل تلك القوات خلف خطوط العدو غير مرتدية أزياءها العسكرية وفى بريطانيا هناك الخدمات الجوية الخاصة والخدمات البحرية الخاصة وفوج الاستطلاع الخاص وفصيلة الباثفايندر وقادة الجبال فى القوات البحرية الملكية وفى روسيا تقوم بمهمة الاستطلاع الخاص قوات المهام الخاصة المعروفة باسم السبيتسناز Spetsnaz وفى أسرائيل هناك ما يعرف باسم سايرت ماتكال Sayeret Matkal وهى قوات خاصة تتبع رئيس الاركان (وعلى الرغم من اشتراكها فى عمليات ذات طابع تدخلى هجومى مباشر

Reconnaissance عن طريق القوات العادية أو الخاصة والاستطلاع فى العمق Deep Reconnaissance[27] وهناك كذلك الاستطلاع المدرع

مثل عملية مطار عنتيبى إلا أنها تقوم بمهام الاستطلاع الخاص) وهناك القوات البحرية المعروفة باسم السرب الثالث عشر Shayetet 13 وعمليات الاستطلاع الخاص هى عمليات إستراتيجية وتكمن تفوقها الأساسي فى البقاء مختفية عن اعين القوات المعادية ويمكن نقل عناصر الاستطلاع الخاص إلى مناطق عملها عن طريق المركبات والطائرات المروحية والتسلل عبر أراضى العدو وفى حالة الضرورة يمكن لقوات الاستطلاع الخاص الاشتباك مع قوات العدو حتى عمق ٢٥٠ كيلو مترا .

[27] الاستطلاع فى العمق ويتم هذا النوع من الاستطلاع أثناء أو قبل العمليات التى تتم فى العمق ويعنى ذلك القياك بالاستطلاع على مسافة من ١٢٠ إلى ٢٠٠ ميل من القوات الأرضية الصديقة خلف خطوط العدو والغرض من هذا النوع من الاستطلاع هو توفير المعلومات عن ميدان القتال المحتمل حتى يتمكن القائد من وضع الخطط وتوزيع الأدوار على قواته فى العمليات التى ينوى القيام بها ويتم بمجموعات صغيرة ترتدى زيها العسكرى تعمل خلف خطوط العدو بمدى غير شديد العمق وتقوم تلك القوات بتوجيه الضربات الجوية وضربات المدفعية ضد العدو وبينما تقوم بذلك عليها أن تظل مختفية عن أعين قوات العدو ولكنها تمتلك تسليحا يمكنها من الدفاع عن نفسها ويتم الدفع بها إلى مناطق عملياتها باستخدام طرق غير تقليدية مثل السباحة من غواصة قريبة من الشاطئ أو باستخدام تكينكات الإسقاط المظلى الغير تقليدية مثل الإسقاط من ارتفاع عال وفتح المظلة على ارتفاعات منخفضة ويمكن لتلك العناصر أن تعمل على بعد ١٠٠ كيلو متر من ميدان القتال وتقوم تلك العناصر بعملية جمع المعلومات وكذلك يمكنها القيام بالقتال التعطيلى وفى الماضى كانت قوات الفرسان الخفيفة هى التى تقوم بهذا الدور وعندما يقوم الأمريكيون بمثل هذا النوع فإنهم يقومون به بوحدات من ٢٠ إلى ٤٠ رجلا وأحيانا ضعف هذا الحجم بحيثو لكل لواء وفرقة وحدات تقوم بالاستطلاع الطويل المدى ووحدات الاستطلاع التى تتبع وحدات المشاة أو المدرعات أو المدفعية أو المهندسين أو الشئون الادارية يمكن ان يتم الدفع بها خمسة كيلومترات أمام وحداتها عند الإمكان ولكل وحدة استطلاع متخصصة هدف يختلف عن غيرها فمثلا وحدات استطلاع المهندسين تقوم بفحص الأرض وتوقع العوائق المحتملة وتقليل الوقت الذى تقوم فيه القوات باجتياز الأراضى المختلفة عن طريق اقتراح وسائل تتناسب وطبيعة الأرض المراد عبورها ووحدات استطلاع المدرعات تتعرف على مواقع الأسلحة المضادة للمدرعات أو أماكن تجمع القوات المدرعة للعدو

وكان الاستطلاع على عهد نابوليون يتم Armored reconnaissance بالطرق العادية ولكن الفرنسيين أدخلوا طرقا جديدة لم تكن معروفة قبلهم لاستطلاع أعمال القتال حيث ولأول مرة فى التاريخ قاموا باستخدام بالون للاستطلاع Balloon Reconnaissance فى معركة فلوروس[28] Battle of Fleurus عام ١٧٩٤ التى دارت بين الفرنسيين والنمساويين وكان لذلك البالون الفضل الأكبر فى حسم المعركة لصالحهم حيث ظل القائد الفرنسى يتابع تطور المعركة لحظة بلحظة مما مكنه فى نهاية الأمر من الانتصار ولم يقم نابوليون فيما بعد باستخدام هذا البالون بسبب قدرته المحدودة على الحركة والتى لم تكن مناسبة لإيقاع عملياته وطريقة تفكيره، ان الاستطلاع يهدف إلى معرفة مواقع قوات العدو ونواياه

وطبيعة الأراضى التى ستقوم المدرعات باجتيازها وهكذا

[28] معركة فلوروس ١٧٩٤ وفيها هزمت القوات الفرنسية التابعة لحكومة الثورة جيش النمسا ودارت تلك المعركة على أراضى بلجيكا ففى شهر يونيو وصل القائد النمساوى وتحت قيادته قوات قوامها ٥٢ الف رجل من النمساويين والهولنديين لرفع الحصار عن شارلروا وقسم القائد النسماوى جيشه إلى خمسة طوابير وهاجم الفرنسيين وكان الفرنسيون قد أطلقوا بالونا للاستطلاع يسمى لانتربرنان وكان يوفر معلومات أولا بأول عن تحركات القوات النمساوية وينقلها إلى القائد الفرنسى ونجح النسماويون فى اختراق جناحى القوات الفرنسية ولكن الوسط صمد ثم قام بهجوم مضاد نجح على أثره الجيش الفرنسى فى دفع النمساويين الذين فقدوا اعصابهم إلى الانسحاب وانتهت المعركة بانتصار غير متوقع للفرنسيين وعلى أثر تلك المعركة انسحبت قوات النمسا من بلجيكا وأخلت الطريق أمام الجيوش الفرنسية لاحتلال هولندا

المبدأ العسكرى ٨

يجب أن يقول الجنرال لنفسه عدة مرات يوميا ما الذى ينبغى عليه فعله إذا كان الجيش المعادى سيظهر أمامه أو عن يمينه أو عن يساره وإذا كان فى موقف حرج فإن ترتيباته سيئة وهناك شىء ما يسير بشكل خاطئ فعليه أن يقوم بإصلاح خطئه.

تناول سون تزو هذه النقطة فى الفقرة الخامسة عشر من الفصل الأول من كتابه فن الحرب والتى تقول :

" طبقا للظروف المواتية يجب على المرء تعديل خططه "

المبدأ العسكرى ٩

إن قوة أى جيش مثل العزم فى الميكانيكا تقدر بالوزن مضروبا فى السرعة وإن السير بشكل سريع يأتى بتأثير ممتاز على معنويات الجيش ويزيد من احتمالية النصر.

فى الفصل الحادى عشر من كتاب فن الحرب بعنوان الأوضاع التسعة يقول سون تزو :

" السرعة هى جوهر الحرب، قم بالاستفادة من عدم استعداد العدو وشق طريقك واسلك طرقا غير متوقعة وهاجم المواقع الغير مدافع عنها "

ويعلق تو مو Tu Mu أحد شراح نص فن الحرب الصينيين على ذلك قائلا بأن هذا ملخص لمبادئ الحرب ويضيف إن تلك هى أعمق حقائق العلم العسكرى وهو العمل الرئيسى للقائد العسكرى

وتعد المعركة التى خاضها الجيش المصرى بقيادة تحتمس الثالث فى عام ١٤٦٨ قبل الميلاد عندما كان قد تولى حكم مصر واحدا من أفضل الأمثلة التاريخية على أهمية سرعة الحركة فلم تكد تمر خمسة وسبعون يوما حتى خلع الأمراء الآسيويين ولاءهم للحكم المصرى فى فلسطين وكان على تحتمس الثالث أن يسير للقائهم فيما عرف بعد ذلك بمعركة مجدو فى تل مسلم بفلسطين الحالية وبدأ تحتمس الثالث تقدمه إلى فلسطين من ثارو (القنطرة حاليا) حتى وصل إلى مجدو وقطع تلك المسافة فى واحد وعشرين يوما وعندما وصل إلى جبل الكرمل عقد مجلسا للتشاور مع قادته ووضع خطة الهجوم وكان من رأيه أن أفضل الطرق للوصول إلى مدينة مجدو هو طريق كان يسمى عرونا وهو عبارة عن ممر واحد يسمح للجيش أن يسير صفا واحدا وعارض قادة الجيش هذا الأمر حيث إن اتخاذ ذلك الطريق قد يعرض الجيش للخطر حيث إنه يحرمه تماما من القدرة على القيام بالمناورة وكان رد تحتمس الثالث عليهم إن الممر وعر وضيق ولا يتوقع الأعداء أن يمر الجيش منه ولذلك فهو أنسب الطرق للوصول إلى ميدان المعركة وتحقيق المفاجأة الكاملة للعدو وبالفعل تم ما تنبأ به بعد يوم واحد كانت قد استغرقته عملية عبور الجيش المصرى لذلك الممر فوجئ الآسيويون بالجيش المصرى أمامهم وكانت معركة كبيرة استمرت حتى الليل وكانت نتيجتها هزيمة الآسيويين وكان السبب الأساسى فى النصر هو الظهور المفاجئ للجيش المصرى الذى سبب إحساسا بالصدمة للقوات الآسيوية مما أدى إلى ارتباك صفوفها ومن ثم هزيمتها فى نهاية الأمر.

و تجدر الإشارة هنا أن سرعة الحركة كانت من أهم المبادئ التى تحكم فكر نابوليون حيث كان يقول " إن خسارة الوقت فى الحرب هى أمر لا يمكن تعويضه وقد أخسر معركة لكن لا يمكننى أن أخسر دقيقة " فنجده فى الحملة على مصر يسارع بتحريك قواته بعد احتلال الإسكندرية

ويوجهها إلى دمنهور ومن ثم إلى القاهرة قبل أن يمتلك المماليك زمام المبادأة إلا أننا نجده يهمل النواحى اللوجيستية حيث سنرى فيما بعد كيف تحركت الفرقتان اللتان تم تكليفهما بالاتجاه نحو دمنهور بلا ماء ولا مدفعية، وسرعة الحركة ولا ريب من أهم العوامل فى الحرب ولكن ينبغى أن يصحبها تخطيط جيد واستطلاع ممتاز للأراضى التى سيجتازها الجيش وقد رأينا كيف تمكن خالد بن الوليد من عبور صحراء قاحلة وكيف استطاع توفير الماء لقواته، وعلى كل فسوف نجد انعكاسا لطريقته فى التفكير فيما يخص سرعة الحركة فى معظم فقرات كتابه.

المبدأ العسكرى ١٠

عندما يكون جيشك أقل فى العدد وأقل منه فى سلاح الفرسان وفى المدفعية عليك تجنب المعارك المستمرة ويجب أن يتم تعويض الاحتياج إلى الإعداد بالسرعة فى السير والاحتياج إلى المدفعية بنوعية المناورة وقلة عدد الفرسان باختيار الموقع وفى مثل هذا الموقف فمن الأهمية بمكان أن تسود الثقة بين الجنود.

المبدأ العسكرى ١١

إن العمل فى خطوط بعيدة عن بعضها البعض وبدون اتصالات بينها هو خطأ يقود إلى غيره، إن الطوابير المنفصلة يكون لديها أوامر لليوم الأول فقط وتعتمد عملياتها لليوم الثانى على ما حدث للقوة الرئيسية وهكذا فإن الطابور حسب الظروف إما يضيع وقته فى انتظار الأوامر وإما يتصرف بشكل عشوائى ولذا ينبغى أن يتم

ترسيخ مبدأ الاحتفاظ بطوابير الجيش متحدة بحيث لا يمكن للعدو أن يندفع بينها وإذا حدث بأى شكل من الأشكال إن لم يتم تطبيق هذا المبدأ فإن الفيالق المنفصلة ينبغى أن تتمتع باستقلالية فى عملياتها فينبغى أن تتحرك باتجاه نقطة محددة بحيث يمكنها التجمع بها وينبغى أن يسيروا بلا تردد وبلا أوامر جديدة وينبغى أن نقلل بقدر الإمكان من خطر التعرض لمهاجمتهم كل على حدة.

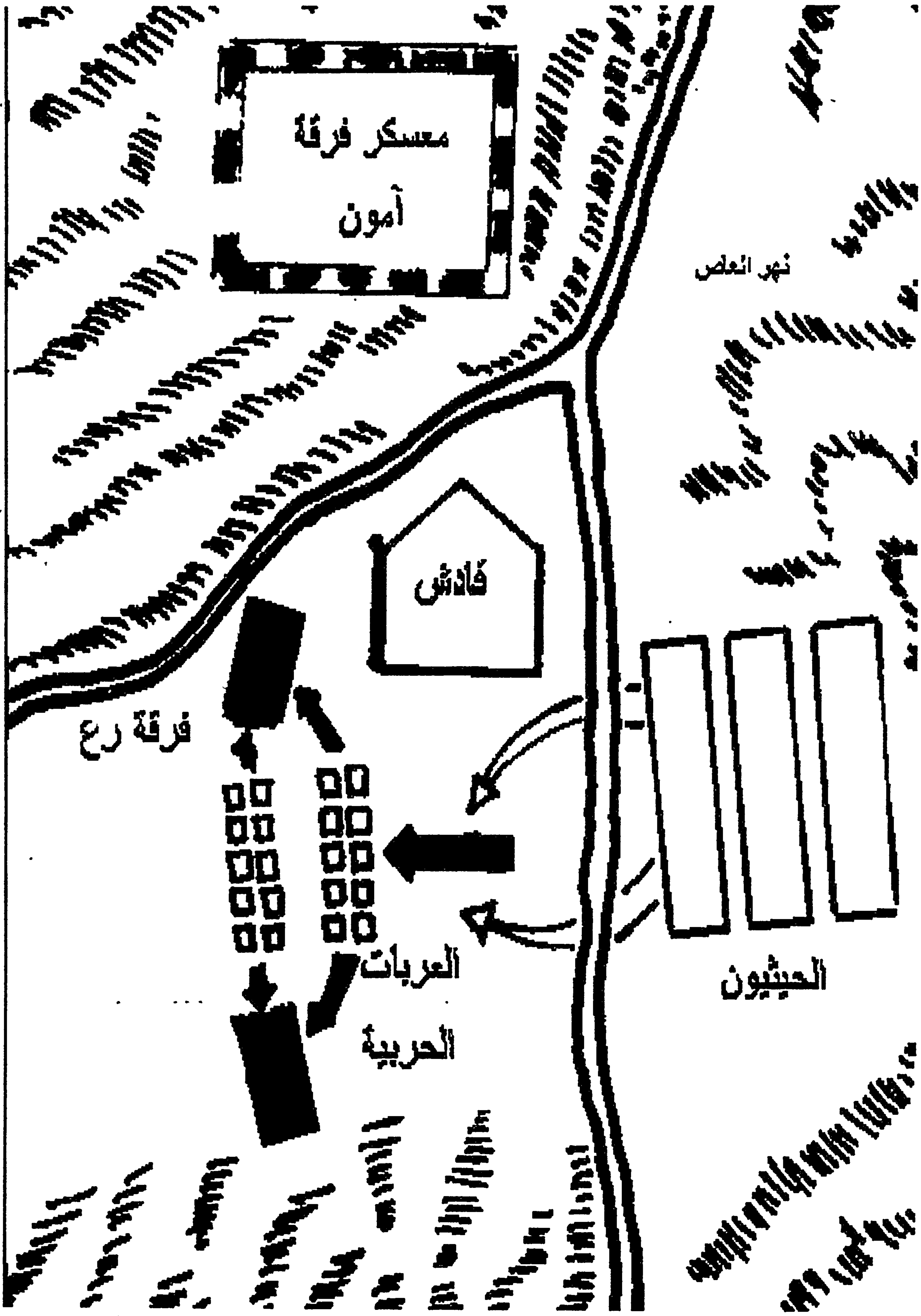
حدث في بداية معركة قادش عندما كان الجيش المصري بقيادة رمسيس الثاني يسير باتجاه مدينة قادش وعند اقترابه من إحدى مخاضات نهر العاصي الواقعة عند بلدة شبتونا قبض المصريون على رجلين من البدو كان قد تم دسهما عمدا على رمسيس الثانى لإقناعه بأن مواتالى ملك الحيثيين يعسكر بجيشه فى الشمال بالقرب من حلب وأنهما هربا من الجيش عندما علما بقدوم الجيش المصرى وأخبراه بأن قاطني تلك الجهة يرغبون في التخلص من مواتالي وجيشه والانضمام إلى المصريين، وأن ملك خيتا قد تقهقر بجيشه إلى الشمال عند حلب، وأنه يخشى مواجهة المصريين وبذلك نجحا فى إغراء رمسيس الثانى بالتحرك إلى الشمال متوقعا معركة سهلة يقضى فيه على الحيثيين فى حين أنهما كانا جاسوسين مدسوسين على رمسيس الثانى من قبل مواتالى وكان الأمر كله عبارة عن خدعة لجره إلى الفخ الذى تم نصبه شرق مدينة قادش وسارع رمسيس الثانى بالتقدم شمالا وتحت قيادته فرقة آمون غير عالم بما ينتظره ، وكان عدد الجيش المصرى آنذاك يقدر بحوالى خمسة وعشرين ألفًا إلى ثلاثين ألفًا، مقسمين إلى أربعة فرق يحمل كل منها اسم أحد الآلهة الوثنية المصرية القديمة، وهي آمون ورع وبتاح وست، بالإضافة إلى قوة خاصة أطلق عليها جنود الفرعون الشباب أو نعرن[29] بالمصرية القديمة، وكان

[29] هي أول قوة ميدان خاصة أشبه بالقوات الخاصة في العصر الحديث طبقًا لرأى

رمسيس الثاني على رأس فيلق آمون متقدمًا عن قواته وتتبعه بقية الفيالق الأخرى على مسافة بعيدة نسبيا لا تمكنهم من تقديم الدعم لفرقة آمون إذا ما تمت مهاجمتها أما بالنسبة إلى جيش الحيثيين فكان يتكون من فيلقين من المشاة عدد كل منهما من ثمانية إلى تسعة آلاف جندي علاوة على ما يقرب من ثلاثة آلاف وخمس مائة عربة حربية، وسار رمسيس الثاني على رأس فيلق آمون تتبعه بقية الفيالق الأربعة مندفعا على رأس فيلقه بسرعة كبيرة مصحوبًا بقوته الخاصة " نعرن " لدرجة أن جنود فيلق آمون كانوا يجدون مشقة في اللحاق به غير عالم بالخطر المحدق به وفى ذلك الوقت كان جيش الحيثيين قد تحرك وعبر النهر بسرعة ثم اتجه إلى الجنوب حتى أصبح شرق مدينة قادش محافظا على إبقاء المدينة بينه وبين قوات رمسيس حتى لا يتمكن هذا الأخير من اكتشاف موقعه ونجح بمناورة بارعة فى مهاجمة فرقة رع من الشرق ومباغتتها وشطرها إلى نصفين وتشرذم القسمان إلى فلول انطلق بعضها إلى الشمال تبعثر تطاردهم عربات الحيثيين الحربية وفوجئ رمسيس بالجنود الفارين يقتحمون معسكره عدوًا بينما كانت كل من فرقتى بتاح وست على مسيرة يوم واحد تقريبا، اندفعت العربات الحربية الحيثية ووحدات المشاة خلف الجنود الفارين وفرت أعداد أخرى من فرقة آمون عندما رأوا العجلات الحربية الحيثية تقتحم المعسكر خلف فلول فرقة رع وكاد الأمر أن يصبح مذبحة للقوات المصرية لولا أن العجلات الحربية الحيثية اضطرت للإبطاء من حركتها بسبب الخيام المنصوبة فى المعسكر والأدوات الأخرى المتناثرة عبر المعسكر المصرى وما أن بدأ تقدم القوات الحيثية فى الإبطاء حتى

الدكتور سليم حسن وعلماء مصريات أوربيين آخرين وهذه القوة في الغالب كما يرى الدكتور سليم حسن هي السبب المعقول في نجدة رمسيس حيث حضروا على حين غفلة إلى الميدان وعندما وجدوا المعسكر قد أحيط به هاجموا مؤخرة قوات الحيثيين وترصد النقوش المصرية القديمة وصولهم إلى الميدان ولكن لا تعرف أية تفاصيل عن تدريبهم أو وسائل انتقائهم أو المعارك الأخرى التى اشتركوا فيها

اندفع إليهم الجنود المصريون بسيوفهم ورماحهم والتحم الجنود من الجانبين فى قتال عنيف بينما تقدمت قوات نعرن لتحمى رمسيس الثانى وتغلق الطريق أمام القوات الحيثية المهاجمة وانشغل بعض الحيثين بجمع الغنائم التى تركها الجنود الفارون خلفهم وفى تلك الأثناء كان الرماة فى العجلات الحربية المصرية يطلقون سهامهم على العجلات الحربية للحيثيين وظلت المعركة دائرة بهذا الشكل حتى سنحت الفرصة أمام رمسيس الثانى للقيام بهجوم مضاد حيث لاحظ ضعف جناحهم الأيمن وقرر الهجوم عليه وبالفعل بدأت العجلات الحربية المصرية فى الهجوم على الجناح الأيمن إلا أن الحيثيين كانوا ما يزالون مسيطرين على منطقة القلب إلا أن رمسيس الثانى دفع بقوات نعرن للهجوم على القلب وما لبثت قوات مواتالى التى انشغلت بجمع الغنائم أن تشتت وهربت باتجاه قادش حيث تحصنت بها.



موقع جيش الحيثيين خلف مدينة قادش واتجاه هجوهم على فرقة رع

المبدأ العسكرى ١٢

ينبغى أن يكون للجيش خط واحد فقط للعمليات ويجب عليه (أى الجيش) أن يحافظ عليه بعناية ولا ينبغى أن يتخلى عنه إلا مجبرا ونتيجة لظروف خارجة عن إرادته.

خط العمليات هو الخط الوهمى بين قاعدة العمليات وبين الهدف وهكذا فإن كان أسطول ما هو القاعدة والهدف هو حصار مدين ما فإن خط العمليات هو الخط الوهمى بين الأسطول وأسوار تلك المدينة وإذا كان موقع محصن ما هو القاعدة التى ستتحرك منها القوات والهدف هو ميدان قتال فإن خط العمليات هو الخط بين الاثنين وهكذا.

فى الحرب العالمية الأولى كان الألمان قد وضعوا خطتهم المعروفة باسم خطة شليفن على أساس أن تقوم قواتهم باجتياح فرنسا عبر بلجيكا وهولندا[30] فى الشمال الغربى بينما يشن جيشان آخران هجوما محدودا على حدود فرنسا مع ألمانيا ويقومان باحتلال إقليمى الألزاس واللورين لتثبيت القوات الفرنسية هناك وتوقعت الخطة الألمانية أن يقوم الفرنسيون بحشد قواتهم لإعادة احتلال الإقليمين وتطلبت الخطة أن تدافع القوات الموجودة هناك ضد القوات الفرنسية دفاعا متراخيا بل أن تنسحب للخلف قليلا إن اقتضى الأمر ذلك الأمر الذى سيلعب دور الطعم للجيش الفرنسى فيندفع

---

[30] فيما بعد تم تعديل هذا الجزء من الخطة على يد الجنرال فون مولتكه الصغير وهو الأمر الذى أدى إلى حرمان القوات الألمانية من نظام السكك الحديدية الهولندية الذى كان من الممكن أن يلعب دورا كبيرا فى إمداد القوات الألمانية وأدى من ناحية أخرى إلى جعل بلجيكا مثل عنق الزجاجة للجيوش الألمانية ولذلك لم يكن لدى الألمان الفرصة فى هزيمة القوات الفرنسية بالسرعة المطلوبة الأمر الذى أثر على تنفيذ الخطة بأكملها فيما بعد

ورائها مخليا الطريق لاندفاع القوات الألمانية المتقدمة من الغرب الأمر الذى سيفتح الطريق أمام تطويق القوات الفرنسية ثم تدميرها، إذا كان دور هذه القوات فى الخطة دورا دفاعيا ولكن قائد الجيشين السادس والسابع المسئول عن قطاع اللورين لم يكن راضيا عن ذلك الدور وألح على قيادته فى أن يندفع بقواته عبر خط عمليات أطول مما كان مقررا له فى الخطة وأدى ذلك إلى فشل الخطة بأكملها فيما بعد .

معركة اللورين

بدأ الهجوم الفرنسى الرئيسى فى الجنوب والمعروف باسم معركة اللورين فى الرابع عشر من أغسطس عندما تقدم الجيش الأول بقيادة الجنرال أوجوست دوباى August Dubay باتجاه ساربورج Saarburg بينما اتجه الجيش الثانى بقيادة الجنرال دى كاستلنو De Castelneau نحو مورانج Morangue وقد رحب الألمان بتلك التحركات الفرنسية وخصوصا الجيشين السادس والسابع وكانا تحت القيادة المشتركة للأمير روبرخت Ruprecht وكان روبرخت مسئولا عن القوات الألمانية المكلفة بالاشتباك مع الفرنسيين عند هجومهم فى الوسط واحتواء هجومهم حتى يتم تطويقهم بواسطة الجناح الايمن الألمانى وكان جنود المؤخرة الألمان المسلحين بالرشاشات قد كبدوا المشاة الفرنسية خسائر فادحة.و لم يكن الأمير روبرخت راضيا عن الدور الدفاعى الموكل إليه فأخذ يلح على قيادته السماح له بشن هجوم مضاد وكان ذلك مخالفا بشدة للخطة الألمانية ككل إلا أنه وتحت الإلحاح المستمر من قبل روبرخت تخلت القيادة الألمانية عن سياسة الدفاع فى تلك المنطقة وتم إصدار الأمر بالهجوم وبالفعل بدأ الهجوم المضاد فى العشرين من أغسطس وعلى أثره أصدر الجنرال دوباى أوامره بالانسحاب من مورانج وقد تسبب ذلك فى تعرية الجناح الأيسر للجيش الأول الفرنسى بقيادة الجنرال نويل دى كاستلنو الذى ما إن رأى ذلك حتى تقهقر خارجا من ساربورج واضطر جيش الألزاس

بقيادة الجنرال بو للتراجع وفى الثانى والعشرين من أغسطس كانت القوات الفرنسية قد عادت إلى خطوط البدء عند نهر الموزيل ولم يتوقف الألمان عند الحدود وبدلا من ذلك تقدموا وحاولوا الاستيلاء على نانسى وتمكن الفيلق العاشر الفرنسى بقيادة الجنرال فوش من الدفاع عن المدينة بنجاح وتمكن من وقف الهجوم الألمانى وتحولت المعارك إلى وضع راكد حتى الرابع والعشرين من اغسطس عندما قام الألمان بشن هجوم محدود وكان الفرنسيون قد استطلعوا أرض المعركة قبل بدء الهجوم وعلموا بنوايا الألمان فى الهجوم وهو أمر قلص كثيرا من المكاسب الألمانية وقصرها على لسان صغير من الأرض وفي اليوم التالي فقد الألمان ذلك اللسان عندما هاجم الفرنسيون واستمر القتال حتى نهاية الشهر وفى ذلك الوقت كان يتم بناء الخنادق وتبع ذلك ما يشبه السكون فى تلك الجبهة وكانت خطة شليفن الألمانية قد تبعثرت حينما شن الأمير روبرخت ذلك الهجوم بين تول وايبينال والذى بدأ فى الثالث والعشرين من اغسطس غير ان القوات الفرنسية كانت تحتل دفاعات جاهزة وتمكنت من صد الهجوم الألمانى والذى استمر أربعة أيام وكان القوات من الممكن الاستعانة بالقوات التى استخدمت فى هجوم روبرخت فى معركة المارن حيث كانت ستصبح أكثر فائدة ومن ناحية أخرى أصبحت القوات التى كان من المفترض أن يتم تثبيتها فى منطقة اللورين قادرة على الاشتباك بحرية مع الجيش الألمانى المتقدم من الغرب.

المبدأ العسكرى ١٣

تعتمد الفراغات بين فيالق الجيش أثناء سيره على المواقع (التى يسير بها) والظروف والأشياء التى تعترضه.

المبدأ العسكرى ١٤

هناك بين الجبال مواقع عديدة منيعة جدا بطبيعتها، فينبغى عليك أن تمتنع عن مهاجمتها وتكمن العبقرية فى مثل هذا النوع من الحروب فى احتلال المعسكرات سواء على الأجناب أو فى مؤخرة العدو بحيث لا نترك له خيارا سوى الانسحاب من موقعه بدون قتال وأن نجعله يتحرك إلى الخلف أبعد من ذلك أو أن نجعله يخرج ويهاجمنا ففى حروب الجبال فإن الطرف المهاجم يعمل من موقف أضعف وحتى فى الحرب الهجومية فإن الميزة تكمن فقط فى الموقع الدفاعى وإجبار خصمك على أن يكون هو المهاجم.

فى الفصل السادس من كتابه فن الحرب يقول سون تزو " إذا رغبنا فى القتال فإنه يمكن دفع العدو للقتال حتى ولو كان متحصننا فى ملاجئ خلف متاريس عالية وخنادق عميقة فكل ما نحتاج أن نفعله هو الهجوم على مكان آخر بحيث نجبره على نجدته "

تعتبر معركة ثيرموبيلى Thermopylae واحدة من المعارك الملحمية فى التاريخ القديم وقد وصفها المؤرخ اليونانى هيرودوت Herodotus بشكل مفصل فى تاريخه وتكمن أهمية هذه المعركة التى دارت بين اليونانيين والفرس بقيادة قورش إمبراطور فارس فى ذلك الوقت على

سواحل اليونان فى قدرة قوات قليلة العدد والتسليح على الصمود والتمسك بموقعها أمام القوات المهاجمة التى تتفوق عليها فى العدد والتسليح الأمر الذى يثبت بشكل واضح صحة قول نابوليون، ويرجع الفضل فى ذلك من الناحية العسكرية إلى أن القوات اليونانية تحصنت فى ممر ضيق بين الجبال على الساحل الشرقى لليونان وسدت بذلك الطريق الوحيد أمام القوات الفارسية المهاجمة ولعب الإسبرطيون فى تلك المعركة دورا بارزا حيث قاد ليونيداس Leonidas[31] ملك إسبرطة فى ذلك الوقت مجموعة من مقاتلي إسبرطة يقدر عددهم بثلاثمائة إضافة إلى خوالى ألف ومائة من مدن يونانية أخرى بعد أن قام بصرف القوات اليونانية الأخرى وذلك بعد أن تأكد من انكشاف الممر السرى الآخر حيث أفشى أحد المواطنين اليونانيين سر ذلك الممر الخفى بين الجبال إلى القوات الفارسية التى اغتنمت الفرصة وقامت على الفور بتطويق القوات اليونانية المدافعة وتحولت ثيرموبيلى إلى مذبحة لم ينج منها جندى واحد ونجح الفرس فى هزيمة القوات اليونانية واحتلال الممر واحتلال عدة مدن يونانية حتى إنهم قاموا بتسوية أثينا بالتراب ولكن خسائرهم كانت كبيرة بالنظر إلى عدد القوات اليونانية ويرجع ذلك إلى المقاومة العنيفة التى أبدتها القوات اليونانية بشكل عام والإسبرطية على وجه الخصوص الأمر الذى منح المدن اليونانية المتحالفة الفرصة فى الاستعداد وإقامة التحصينات للدفاع عن شبه جزيرة بيلوبونيزيا Peloponnesian peninsula ومضيق كورينثوس Corinthus حتى تمكن أسطول المدن اليونانية المتحالفة بقيادة

---

[31] ليونيداس Leonidas الأول كان ملك إسبرطة وابن الملك أناكساندريداس الثانى Anaxandridas ولا يعرف تاريخ ولادته على وجه التحديد ولكن المؤرخين يقولون إنه ربما كان قد ولد فى العام ٥٤٠ قبل الميلاد وقد قتل ليونيداس فى معركة ثيرموبيلى وكان له الدور الأبرز فيها وفى الميثولوجيا اليونانية يعتبر ليونيداس من سلالة هرقل.

أثينا من هزيمة الفرس فى معركة سلاميس 32Salamis البحرية بعد ذلك بعام وانسحب قورش بقواته وترك حامية فى اليونان هزمت بعد ذلك بعام فى معركة بلاتيا٣٣ Platea وهى المعركة التى قضت بشكل نهائى على

---

[32] عركة سالاميس The battle of Salamis هى واحدة من أشهر المعارك البحرية والتى دارت بين أسطول المدن اليونانية والأسطول الفارسى فى عام ٤٨٠ قبل الميلاد فى المضيق الواقع بين اليونان وجزيرة سلاميس الواقعة قرب أثينا وكان اليونانيون يطمحون إلى هزيمة الأسطول الفارسى ليمنعوا الفرس من غزو اليونان بريا وكذلك كان قورش يطمح إلى القضاء على القوات اليونانية فى معركة حاسمة لينفتح أمامه الطريق إلى الأراضى اليونانية وعلى الرغم من تضارب الأرقام التى سجلها المؤرخون اليونان القدامى عن أعداد السفن الفارسية حيث ذكر هيرودوت أكثر من مرة ان عددها كان ١٢٠٧ من بينها ٢٠٠ من السفن السريعة فقد منها الثلث تقريبا نتيجة لعاصفة ضربتها قرب الساحل اليونانى وفقا لهيرودوت وعلى الرغم من أنه قرر بعد ذلك أن ذلك العدد قد تم تعويضه بعد ذلك إلا أنه حتى لو افترضنا صحة الأرقام الأخرى التى تخفض من عدد السفن إلى ٦٦٠ سفينة فإن العدد يظل كبيرا أمام أعداد سفن الأسطول اليونانى والذى كان يتراوح بين ٣٦٦ و٣٧٨ سفينة وهى أرقام تبدو أقرب للدقة حيث إن التفاوت بينها ليس كبيرا وظل الأسطول الفارسى يتفوق على نظيره اليونانى عدديا إلا أن هذه النقطة تحديدا هى التى حددت نتيجة المعركة فيما بعد حيث ارتبكت السفن الفارسية الكثيرة العدد وفقدت قدرتها على المناورة داخل المضيق الضيق أصلا واختل نظامها واستغل الأسطول اليونانى تلك الفرصة وشكل خطا قتاليا وهاجم السفن الفارسية ونجح فى إغراق وأسر مائتى سفينة فارسية ومن جراء ذلك قرر قورش الانسحاب بجيشه إلى آسيا

[33] معركة بلاتيا The battle of Platea فى عام ٤٧٩ قبل الميلاد كانت المعركة النهائية بين الفرس واليونانيين أثناء الحرب الفارسية اليونانية الثانية ودارت تلك المعركة قرب بووتيا Boeotia وعند بدء المعركة هاجم الفرس خطوط إمداد الجيش اليونانى وعلى أثر ذلك قرر اليونانيون الانسحاب إلى خط أبعد فى مكان أعلى وتحول انسحاب الجيش اليونانى إلى فوضى ونتيجة لذلك الانسحاب ظن القائد الفارسى أنه انسحاب كامل وحاول اغتنام الفرصة بينما أصبحت الميزة التكتيكية الآن فى جانب القوات اليونانية التى تحصنت فى مكان أعلى وانقلب ميزان المعركة لصالح اليونانيين وفتحت تلك المعركة الباب أمام السلام بين الفرس واليونانيين فيما بعد لتنتهى حروبا دامت نصف قرن تقريبا

طموحات الإمبراطورية الفارسية في اجتياح أوربا وتعتبر تلك المعركة مثالا عسكريا جيدا في الأزمنة القديمة والحديثة على أهمية التدريب ٣٤

---

[34] تجدر الإشارة هنا إلى أن الإسبرطيين كان لديهم نظام للتدريب العسكرى والنفسى وكان كل الأطفال بلا استثناء يخضعون له فى إسبرطة القديمة وهو نظام جعل منهم أمة من المحاربين وكانت مثالا تاريخيا لم يتكرر وكان يسمى أجوجى Agoge وهى كلمة يونانية تعنى الإرشاد أو التعليم أو التدريب وكان الأجوجى يبدأ عند سن السابعة ويتم تطبيقه على كل الأطفال ، وكان عبارة عن عملية منظمة شديدة الدقة ويمكن تقسيمها إلى عدة مراحل، مرحلة الفرز والانتقاء ومرحلة التدريب التى تنقسم بدورها إلى ثلاث مراحل أخر فعندما يولد الطفل يحمله أبوه إلى مجلس يسمى مجلس الكبار لينظروا هل هناك إعاقة جسدية فى الطفل أم لا فإن كان به إعاقة يتم إلقاؤه من فوق جرف ليموت من فوره أما إن كان سليما فيأخذه أبوه إلى بيته ليعيش بين أبويه لمدة ستة سنوات ثم ينخرط الطفل فى جماعات تحت رعاية معلم مسئول عن الإشراف والتعليم وهى المرحلة الأولى ضمن ثلاث مراحل وتستمر لمدة عشر سنوات من سن السابعة حتى السابعة عشرة ويبدا فيها تدريب الطفل فى السنة السابعة حيث يتم وضعه فى مكان أشبه بالثكنة العسكرية مع أقرانه يقودهم غلام فى نفس سنهم يسمى Eirena ويتم اختياره على أساس أن يكون أقواهم من الناحية البدنية وذلك بناءا على اختبارات خاصة وكان هؤلاء الصبية القادة يتلقون تدريبا أشبه بتدريب الضباط وكان يتم مسح ولائهم لعائلاتهم فى عملية هى أقرب ما تكون لعملية غسيل المخ فى العصر الحديث ويتم فى المقابل زرع الانتماء فيهم لجماعاتهم الصغيرة ويتم إعطاؤهم الملابس وتعليمهم كيفية صناعة الاسرة التى سينامون عليها من الخيزران وكان إطعامهم يتم وفقا لبرنامج متعمد وهو إعطاؤهم كميات تقل عن حاجتهم بحيث يتعودون كيف يحصلون على الطعام ولو بطريق السرقة على الرغم من أنه كان يتم عقابهم بشكل صارم إذا ما تم القبض عليهم وهم يسرقون ولم يكن يعفى من تلك العملية سوى أولياء العهد للأمراء الإسبرطيين ويتم تهيئة الطفل بدنيا وعقليا وكان يتم تعليمهم كجنود حيث يقومون بقراءة المأثورات والأشعار العسكرية وكانوا يمرون بتدريبات بدنية قاسية لتعويدهم على تحمل الحياة الشاقة التى تنتظرهم وذلك من خلال تدريبات ميدانية قاسية ويتم تعليمهم المصارعة والفنون القتالية القديمة وفى سن الثانية عشرة يتم تجويع الصبى وجعله ينام فى

والاستخدام الجيد لطبيعة الأرض على الرغم من نتيجتها، وكان سبب الصراع بين الفرس واليونانيين أن مدينتين من المدن اليونانية وهما أثينا وأريتريا قامتا بدعم التمرد الأيونى فى عهد دارا الأول وقد أقسم هذا الأخير على الانتقام ورأى فى ذلك فرصة لتوسيع نطاق نفوذ إمبراطوريته على حساب اليونانيين وبعد أن قام دارا باحتلال مقدونيا وإخضاعها للنفوذ الفارسى أرسل مبعوثيه إلى المدن اليونانية مطالبا إياهم بمنحه جزءا من أراضيهم علامة على الخضوع للإمبراطورية الفارسية ولكن الأثينيين رفضوا العرض الفارسى وقدموا مبعوثى دارا إلى محاكمة سريعة قاموا

العراء بثوب واحد لا يتغير ويدون حذاء وذلك لمدة عام حيث يتعرض لأخطار الحيوانات والجو والغرض من ذلك تعليمه كيفية الإعاشة والتكيف فى الظروف الصعبة وإكساب الصبى بعض المهارات الميدانية التى سيحتاجها فى المستقبل وعند سن الثامنة عشرة يصبح الواحد منهم فرد احتياط لجيش إسبرطة وكان يتم اقتيادهم فى جماعات لإقامة مراسم هى أقرب إلى مراسم التجنيد تسمى كريبتيا Crypteia ومن سن الثالثة عشرة إلى العشرين كان الصبية يمارسون لعبة عسكرية خطيرة حيث يقومون بشن إغارات على سكان محليين من عشائر غير إسبرطية وعلى العبيد الميسينيين Messenian والذين كانوا يسمونهم هيلوت Helots والغرض من ذلك هو تعليمهم تكتيكات وطريقة عمل الوحدات الصغيرة والإغارات والاستطلاع وقد يصل الأمر إلى حد القتل وعند سن العشرين يصبح الواحد منهم فردا فى الجيش الإسبرطى ثم بعد سن الثلاثين يمكن للشاب أن يتزوج ويظل الشاب يخدم فى الجيش الإسبرطى حتى يبلغ الستين من عمره فيمكنه التقاعد حينذاك وحتى ذلك الحين يكون جزءا من الجيش بالرغم من أنه يسمح له بترك الثكنات والعيش فى منزل خاص به كذلك كانت الإناث الإسبرطيات ينخرطن فى تدريب مشابه ولكنه مختلف من حيث الطبيعة والأغراض وكانت عدم قدرة الصبى الذكر على اجتياز أى من مراحل الأجوجى المختلفة تعنى حرمانه من حق المواطنة الإسبرطية بينما كان نظام التدريب العسكرى الرومانى يبدأ فى سن الرابعة عشرة إلى الثامنة عشرة وكان مقصورا على الذكور دون الإناث بعكس النظام الإسبرطى وكان يتضمن ألعاب القوى والتدريبات العسكرية وربما الأكاديمية أيضا علاوة على الغناء والرقص

على إثرها بإعدامهم.

أما فى إسبرطة فكان الأمر أكثر بساطة فلم يبالى الإسبرطيون بخوض إجراءات محاكمة معقدة وألقوا بمبعوثى دارا فى بئر جاف وكان ذلك التصرف من كلتا المدينتين بمثابة إعلان حرب على الإمبراطورية الفارسية والتى كانت تسيطر على أجزاء ضخمة من آسيا وإفريقيا فى ذلك الوقت وعلى أثر ذلك حشد دارا جيشا لإنزاله هاجم ناكسوس ثم تحرك باتجاه أريتريا فحاصرها وقام بتدميرها وبعدها تحرك إلى أثينا ليخوض معركة ماراثون الشرسة مع الجيش الأثينى أسفرت عن هزيمته وانسحابه ولكنه لم ييأس فقرر حشد جيش آخر أكبر حجما من الجيش الأول الذى هزم فى ماراثون ولكن الثورة التى اندلعت فى مصر ضد الاحتلال الفارسى عطلت مخططاته ثم لم يلبث دارا أن مات أثناء سيره نحو مصر لإخماد الثورة وصعد ابنه قورش إلى عرش فارس وبعد أن أخمد قورش الثورة فى مصر استأنف استعداداته لعملية غزو اليونان وأعاد قورش نفس مطالب والده ونشر عمدا إشاعات عن حجم الجيش الفارسى وقواته وربما كان يهدف من وراء ذلك إلى أن تستسلم بلا قتال أو أن تنضم بعض المدن اليونانية إليه فى حربه الأمر الذى دفع بتحالف المدن اليونانية -والتى كانت تجهز فعليا لحرب قادمة مع اليونان- إلى أن تعقد مؤتمرا لحشد جيش لمواجهة الفرس حيث لم تكن أثينا وإسبرطة قادرتين على مواجهة الفرس وحدهما على الرغم من قوة الأسطول الأثينى وتجهز اليونانيون لمواجهة الفرس عند وادى تيمبى Tempe على حدود سالونيكى غير ان ملك مقدونيا حذر التحالف اليونانى من إمكانية تطويق القوات الفارسية لهم عبر ممر سارانتوبو Sarantopo علاوة على ضخامة إعداد تلك القوات وفور تلقى اليونانيين لذلك التحذير انسحبوا على الفور بقواتهم من تيمبى وبلغت تلك الاخبار قورش فبدأ فى العبور بقواته عبر مضيق الدردنيل وقد اقترح

ثيميستوكليس Themistocles[35] على اليونانيين أن يتحصن الجيش اليوناني فى ممر ثيرموبيلى الذى سيتحتم على قورش عبوره إن أراد اجتياز جنوب اليونان حيث كان الممر يوفر ميزة جغرافية نظرا لكونه يتحكم فى الطريق وكذلك يمكن الدفاع عنه بقوات قليلة العدد نسبيًا مع الاكتفاء بحصانة موقعه ولمنع الفرس من العبور إلى جنوب اليونان عبر مضيق آرتيميسيوم Artemisium قام أسطول أثينا بغلق المضيق بحيث لم يبق أمام قورش سوى ذلك الممر غير أن تحالف المدن اليونانية قرر التراجع إلى خط دفاع ثان وتم إخلاء أثينا على عجل من النساء والأطفال وبينما أخذ الجيش الفارسى فى التقدم بلا مقاومة عبر تراقيا ومقدونيا كان الإسبرطيون يحتفلون بأحد أعيادهم ولذا لم يرسلوا قواتهم إلى ممر ثيرموبيلى وأرسلوا ملكهم فقط ومعه ثلاث مائة مقاتل من الحرس الملكى وكانت باقى المدن اليونانية تحتفل بالمهرجانات الأوليمبية ولذا لم ترسل٣٦ المدن اليونانية سوى ألفين وثمان مائة جندى وأخذ ليونيداس يطلب التعزيزات أكثر من مرة بلا فائدة وفى طريقه إلى الممر حشد ليونيداس عددا من اللاكديمونيين Lakedemonians ليعملوا كقوات دعم وكانت خطته أن يقوم بغلق الممر فى وجه القوات الفارسية والتمسك به ريثما يصل جيش إسبرطة ووصل مجموع القوات اليونانية التى بلغت ممر

---

[35] ثيميستوكليس (٥٢٤ – ٤٥٩ قبل الميلاد) سياسى وجنرال ينتمى لأثينا عندما كانت دويلة مستقلة فى اتحاد الدول اليونانية وظهر دوره أثناء الحرب اليونانية الفارسية وبرز ليصبح أحد أهم السياسيين فى تلك الفترة وكان يدعو لأن تكون أثينا قوة بحرية كبيرة وساهمت جهوده فى بناء الأسطول الأثينى

[36] وفقا للمعتقدات الوثنية اليونانية القديمة كانت المهرجانات الأوليمبية تعتبر هدنة مقدسة لديهم ولا يجوز فيها القتال وكذلك كانت الأعياد الأخرى لدى المدن اليونانية تعتبر مناسبات مقدسة وتصادف أن قام الفرس فى ذلك الموعد ولا يوجد تاريخيا ما يؤكد أا الفرس قاموا باختيار ذلك الموعد عن عمد

ثيرموبيلى خمسة آلاف مقاتل من عدة مدن وعند الممر قرر ليونيداس أن يعسكر بقواته عند البوابة الوسطى للممر وأن يغلقها تماما وعسكرت بعض القوات اليونانية الأخرى المصاحبة له عند سور دفاعى قديم كانوا قد بنوه قبل تلك المعركة بمدة وتمت إعادة بناء ذلك السور تحسبا للمعركة المترقبة ومن ناحية أخرى كان على ليونيداس أن يغلق الممر الجبلى الخلفى الذى قد يتمكن الفرس عن طريقه من تطويق القوات اليونانية فأرسل ألف جندى من الفوكيين Phocians لغلق ذلك الممر والذى يقع قرب مدينة تراخيس Trachis وانتظرت تلك القوات قدوم القوات الفارسية وفى منتصف أغسطس لاحت فى الأفق أشرعة السفن التى تحمل الجيش الفارسى وتوترت الأجواء وكان الوضع الآن فى ثيرموبيلى كالتالى، الأسطول الفارسى الضخم يتحرك باتجاه القوات اليونانية وفى نفس الوقت يتحرك قورش من الشمال باتجاه ماليس Malis ويعسكر فى مدينة تراخيس والتى تقع مباشرة إلى الغرب من ثيرموبيلى وكانت القوات اليونانية قد احتلت مواقعها بالفعل فى ثيرموبيلى، كان عددهم سبعة آلاف مقاتل من عدة مدن يونانية وهى تيجيا Tegea ومانتينيا Mantinea واورخومينوس Orchomenos واركاديا Arcadia وكورينثوس Corinthus وفيلوس Philus وميسينيا Mycenia وبووتيا Boeotia ولوكريا Locria وفوكيس Phocis وكان الثلاث مائة إسبرطى هم رأس الحربة لتلك القوات وقد تم اختيارهم على أساس أن لكل منهم ابن حى فى إسبرطة حتى لا تتعرض عائلاتهم لكارثة فى حالة قتلهم ونظرا لخطورة الوضع دعا ليونيداس قادة القوات اليونانية لعقد مجلس حرب عاجل وعلى الفور استجاب القادة اليونانيون واجتمعوا لبحث الوضع واتخاذ قرار واقترح البعض الانسحاب إلى مضيق كورينثوس وغلق الممر إلى شبه جزيرة بيلوبونيزيا وكان هناك رأى آخر يقول بضرورة الدفاع عن ثيرموبيلى

وحسم تدخل ليونيداس النقاش لصالح الرأى الثانى وهو البقاء والدفاع عن ممر ثيرموبيلى وأرسل قورش مبعوثيه إلى لينيداس عارضا عليهم شروط الاستسلام وكانت تلك الشروط تنطوى على إعادة توطين مواطنى المدن اليونانية فى أراض أفضل من تلك التى يقطنونها مع الاحتفاظ بحريتهم وأن يحملوا لقب اصدقاء الشعب الفارسى وقوبلت كل تلك المطالب بالرفض من قبل ليونيداس وعندها تحول المبعوثين الفرس إلى مطلب أكثر بساطة وهو أن يلقى ليونيداس وقواته بأسلحتهم وألا يقاوموا القوات الفارسية وحينها قال ليونيداس مقولته الشهيرة " تعالوا خذوها " وأصبح القتال حتميا بعد أن عاد مبعوثو قورش بخفى حنين وانتظر قورش أربعة أيام حتى يتشتت الحلفاء ثم أرسل جيشه لمهاجمتهم.

القوات الفارسية

وفقا لما نقله هيرودوت تراوحت اعداد القوات الفارسية بين ٢،٥ مليون إلى خمسة ملايين جندى ويجمع كل المؤرخين العسكريين على عدم واقعية تلك الأرقام ووفقا للتقديرات الحديثة والتى تبدو بالقطع أكثر منطقية كانت أعداد القوات الفارسية حوالى مائتى ألف أو مائتين وخمسين ألفا من الجنود وأيا ما كان عدد القوات الفارسية التى هاجمت ثيرموبيلى فإنه مما لا شك فيه أن قورش حشد كل ما يمكنه من قوات ليحقق التفوق العددى على القوات اليونانية ومن ناحية أخرى فلا توجد سجلات قديمة لدى الفرس توضح لنا حجم الجيش الذى قام بالعملية ولكنه من المفهوم أنه ما دام قورش قد بدأ عملية الهجوم على اليونان من مقدونيا فإنه لا ريب ترك حامية فى مقدونيا قبل تحركه باتجاه اليونان وبالطبع فإن عدد القوات التى من الممكن أن يكون قورش قد تركها فى مقدونيا غير معروف إلا أنه من المؤكد أنه ترك جزءا كافيا من القوات وتحرك بالعدد الأكبر باتجاه اليونان أما عن أعداد القوات اليونانية فهى وفقا لتقديرات المؤرخين المعاصرين

فلم تتجاوز على أفضل التقديرات سبعة آلاف جندى وسواء كان عدد القوات اليونانية خمسة آلاف ومائتين وفقا لهيرودوت أو كان سبعة آلاف وثمان مائة وفقا لديودور فإن القوات الفارسية كانت تتمتع بتفوق عددى هائل على القوات اليونانية ومن وجهة النظر الإستراتيجية فإن اليونانيين عندما يدافعون عن ممر ثيرموبيلى فإنهم بذلك يستغلون قواتهم أفضل استغلال ممكن وكذلك فإن غلقهم لممرين فى وقت واحد كان يعنى أنهم قد تغلبوا على مشكلة أعدادهم القليلة نسبيا إذا ما قورنت بأعداد الفرس وعلى الجانب الآخر فإن الجيش الفارسى نظرا لاعتبارات لوجيستية لن يمكنه البقاء فى موقعه هذا لفترة طويلة حيث ستتزايد مشكلات تموين الجيش الفارسى كلما طالت فترة بقاؤه هناك وعليهم فى تلك الحالة أن يتخذوا قرارا من اثنين، إما الانسحاب وإما التقدم وتدمير القوات اليونانية وهذا ما لم يكن بمقدورهم فعله فى بداية الأمر، من ناحية أخرى ومن وجهة النظر التكتيكية فإن الموقع الذى اختاره اليونانيون منحهم الفرصة لاستغلال مزايا تشكيلات المشاة الثقيلة فقد كانت كتائب الهوبلايت اليونانية قادة على أن تغلق الممر بدون ان تخشى ان تحاصرها الخيول وكان أمرا شديد الصعوبة على المشاة الفارسية الخفيفة ان تقوم بمهاجمة المشاة اليونانية الثقيلة مع قلة عددها ولكن نقطة الضعف الكبيرة كانت فى الممر الخلفى الموازى لممر ثيرموبيلى والذى مكن الفرس فى نهاية المعركة من هزيمة اليونانيين وعلى الرغم من وعورة الممر بالنسبة للفرسان إلا أنه كان من السهل على جنود المشاة أن يقوموا بتطهيره من الحامية التى تركها ليونيداس هناك واحتلالها وإنهاء المعركة

المعركة

بدأت المعركة فى اليوم الخامس بعد أن وصل الأسطول الفارسى إلى الساحل اليونانى وأرسل أول موجة من الجنود الفرس ليشنوا هجوما اماميا

على المواقع التى تتحصن بها القوات اليونانية فى اضيق منطقة تتحصن بها عند السور القديم السابق ذكره ويقول المؤرخون إن الرجال كانوا يدافعون عن تلك النقطة وهم يقفون كتفا إلى كتف بكل شجاعة مستخدمين دروعهم الضخمة وليست هناك معلومات عن التكتيكات التى اتبعها اليونانيون فى صد ذلك الهجوم إلا أنهم رسموا صورة تقريبية للقتال مستعينين فى ذلك بمعلوماتهم عن تكتيكات الكتيبة اليونانية[37] والتسليح والتكتيكات التى تميزت بها فى ذلك الوقت ومنعت الرماح الفارسية القصيرة والدروع الأقل صلابة القوات الفارسية المهاجمة من الاشتباك بكفاءة مع الهوبلايت Hoplites[38] اليونانيين وكان اليونانيون قد قسموا

---

[37] كانت الكتيبة اليونانية تتكون من صفوف عدد كل صف من ١٦ إلى ٢٥ رجل ويعمق ١٦ صفا وكانت الكتيبة اليونانية تمتلك ميزة تكتيكية كبيرة أمام القوات الخفيفة التدريع حيث كان رجالها مدرعين تدريعا ثقيلا وقد بدا ذلك واضحا فى أكثر من معركة أمام القوات الفارسية مثل معركة ثيرموبيلى ومعركة ماراثون فكانت الكتيبة تتقدم بدروعها مبرزة الرماح الطويلة من خلالها ثم بعد أن تقوم بكسر صفوف القوات المدافعة يشتبك مقاتلو الهوبلايت بسيوف الساريسا Sarisa وهى عبارة عن رمح يونانى قديم طوله من ٤ إلى ٧ امتار وكان أول من ادخله فى الحروب اليونانية هو فيليب الثانى Philippe II أبو الإسكندر الأكبر وكانت تستخدمه كتائب المشاة اليونانية بعد أن كانت تستخدم رمحا أقصر قبله كان يسمى دورى Dory وكان يصنع من خشب شديد القوة والمرونة فى نفس الوقت من شجر القرانيا وكان يزن خمسة كيلو جرامات وكان يركب سن حديدى فى مقدمته على شكل ورقة الشجر حيث يعمل كرأس حربى اضافة إلى كعب من البرونز بحيث يمكن تثبيته فى الأرض عند الدفاع لرد هجوم الأعداء به علاوة على ان الكعب المصنوع من البرونز كان يعمل كنقطة توازن للرمح عند إلقائه وكان طوله يحقق ميزة مهمة تتعلق بالمدى عند الهجوم حيث كان الجنود اليونانيون يستطيعون استخدامه بكفاءة ضد جنود الفرس الذين يحملون رماحا اقصر

[38] يطلق مصطلح الهوبلايت Hoplites على المقاتلين اليونانيين القدامى والذين كان يتم تسليحهم أساسا بالرماح ليكونوا جزءا من تشكيل الكتيبة اليونانية وتعنى كلمة هوبلايت أساسا باللغة ،ليونانية القديمة الدرع أو التسليح وكان على كل

الوحدات اليونانية وفقا للمدينة التى جاء منها المقاتلون وكان يتم تدوير الجنود بحيث لا يصيبهم الإرهاق فكانوا يقاتلون الفرس دفاعا عن الممر ثم يتم سجبهم عند انتهاء الهجوم ويتم وضع رجال آخرين مكانهم وفقا لهيرودوت وقد قتل اليونانيون الكثير من الفرس وتم تمزيق الموجة الأولى من الهجوم الفارسى بشكل كامل بينما لم يمت من الإسبرطيين سوى اثنين[٣٩] فقط وبعد انتهاء الهجوم الأول استشاط قورش غضبا وأصر على فتح الممر فأرسل موجة أخرى لمهاجمة القوات الإسبرطية ويبدو ان عنف المقاومة التى تلقاها جنود المشاة الذين أبيدوا عن آخرهم فى أول موجة أقنعه بأنه لا بد أن يرسل بأفضل قواته وهى القوات المعروفة باسم الخالدين[40] وكانت تلك القوات تتكون من عشرة آلاف مقاتل ولكن لا يعرف

جندى من جنود الهوبلايت أن يوفر لنفسه السلاح الذى سيستخدمه فى المعارك وكانوا يرتدون دروعا صدرية يتراوح وزنها بين ٢٢ و٢٧ كيلو جرام بالإضافة إلى رمح ودرع برونزى بالإضافة إلى سيف قصير وخوذة

39 يقول هيرودوت إن قورش كان جالسا على عرشه فى مكان يتيح له مراقبة أحداث المعركة وأنه انتفض من فوق عرشه ثلاثة مرات دهشة وغضبا لما حدث للموجة الأولى من الهجوم

40 فى السنوات الأولى لحكمه أسس دارا تشكيلا نظاميا من الجنود المحترفين وكان يتألف من عشرة آلاف جندى تمثل نواة هذا الفيلق وكان هذا التشكيل يدين بولائه فقط للأمبراطور الفارسى وكانوا فى الأساس يعملون كحرس إمبراطورى وكان يتم انتخابهم من بين الجنود الفرس طوال القامة أقوياء البنية فقط وليس من أفراد ينتمون إلى شعوب أخرى يحكمها الفرس وكان يتم انتخابهم من بين أفضل جنود وضباط الجيش وفى غير أوقات الحروب كان يتم تسليحهم بحراب ذهبية ويحيطون بالإمبراطور لحمايته وكانوا أول قوة محترفة نظامية فى التاريخ الفارسى القديم فبعد الحرب لم يكونوا يرحلون إلى ديارهم ويمارسون أعمالا غير قتالية من أجل التكسب بل كانوا يظلون فى ثكناتهم ليواصلوا تدريباتهم ولم يكن يسمح لهم بالزواج أثناء خدمتهم وكان تدريبهم يستغرق ستة سنوات يتم فيها تعليمهم اللغات الأجنبية وعلوم العصر المختلفة من حساب وفلك وما إلى ذلك بالإضافة إلى فنون القتال

على وجه الدقة عدد قوات الخالدين التى قامت بمهاجمة اليونانيين فى ذلك اليوم غير أن تلك القوات لم تكن أفضل حظا من قوات الموجة الأولى وكانت القوات اليونانية تعتمد تكتيكا هو عبارة عن التظاهر بالانسحاب ثم الارتداد وقتل قوات العدو عندما تبدأ فى مطاردتها وفى اليوم الثانى أرسل قورش المشاة مجددا لمهاجمة الممر مفترضا أن القوات التى هاجمها جيشه أمس قد اثخنتها الجراح ولن يمكنهم المقاومة وأن قواته سرعان ما ستجتاحهم غير أن حظ قواته فى اليوم الثانى لم يكن أفضل من سابقه وانتهى الأمر بأن أعطى قورش امرا بالانسحاب وبينما كان قورش منهمكا فى محاولة وضع خطة لاقتحام الممر جاء إليه قواده برجل يونانى يدعى إفيالتيس[41] Ephialtes والذى أخبره بموقع ممر خلفى يمكن قواته من

المختلفة واستخدام الأسلحة المختلفة علاوة على التربية الأخلاقية وغرس المثل والقيم فيهم وكان الواحد منهم يتم تسريحه من الوحدة عندما يبلغ سن الأربعين، كان هناك غرضان من الاحتفاظ بمثل هذا النوع من القوات الأول هو حماية العرش الإمبراطورى فى فارس فى غير أوقات الحروب والثانى أنه فى أثناء الحروب كان يمكن لمثل تلك القوات أن تتدخل فى المعارك لدعم الجيش وتغيير مجرى المعركة وأثناء المعارك كان هناك مجموعة من ١٢٠ من جنود فيلق الخالدين مسئولة عن الحفاظ عن راية الجيش حتى نهاية المعركة، ويمكن تقسيم فيلق الخالدين إداريا إلى قسمين ، الأول قسم مسئول عن التدريب والتسليح والثانى مسئول عن الانتقاء والاختيار للاستمرار فى تغذية الفيلق بالعناصر التى يحتاجها باستمرار حيث كان لا بد أن يتم تعويض الخسائر باستمرار بحيث يظل عدد القوات عشرة آلاف على الدوام وكان تسليحهم عبارة عن رمح وخنجر مستقيم وقوس ودرع وكانوا نظرا لتدريبهم المتفوق قادرين على استخدام كل تلك الأسلحة بشكل ممتاز وسريع

41 افيالتيس Ephialtes هو الخائن اليونانى الشهير المسئول عن هزيمة القوات اليونانية فى معركة ثيرموبيلى واحتلال جنوب اليونان لمدة عام تقريبا وكان يتوقع مكافأة كبيرة من قورش إلا أنه لم يحصل عليها وهرب إلى سالونيكى بعد معركة سالاميس وكان اليونانيون قد وعدوا من يأتى برأسه بجائزة وقد قتل فى نهاية الأمر على يد رجل يدعى اثينادیس Athenades لسبب غير متعلق بخيانته غير أن

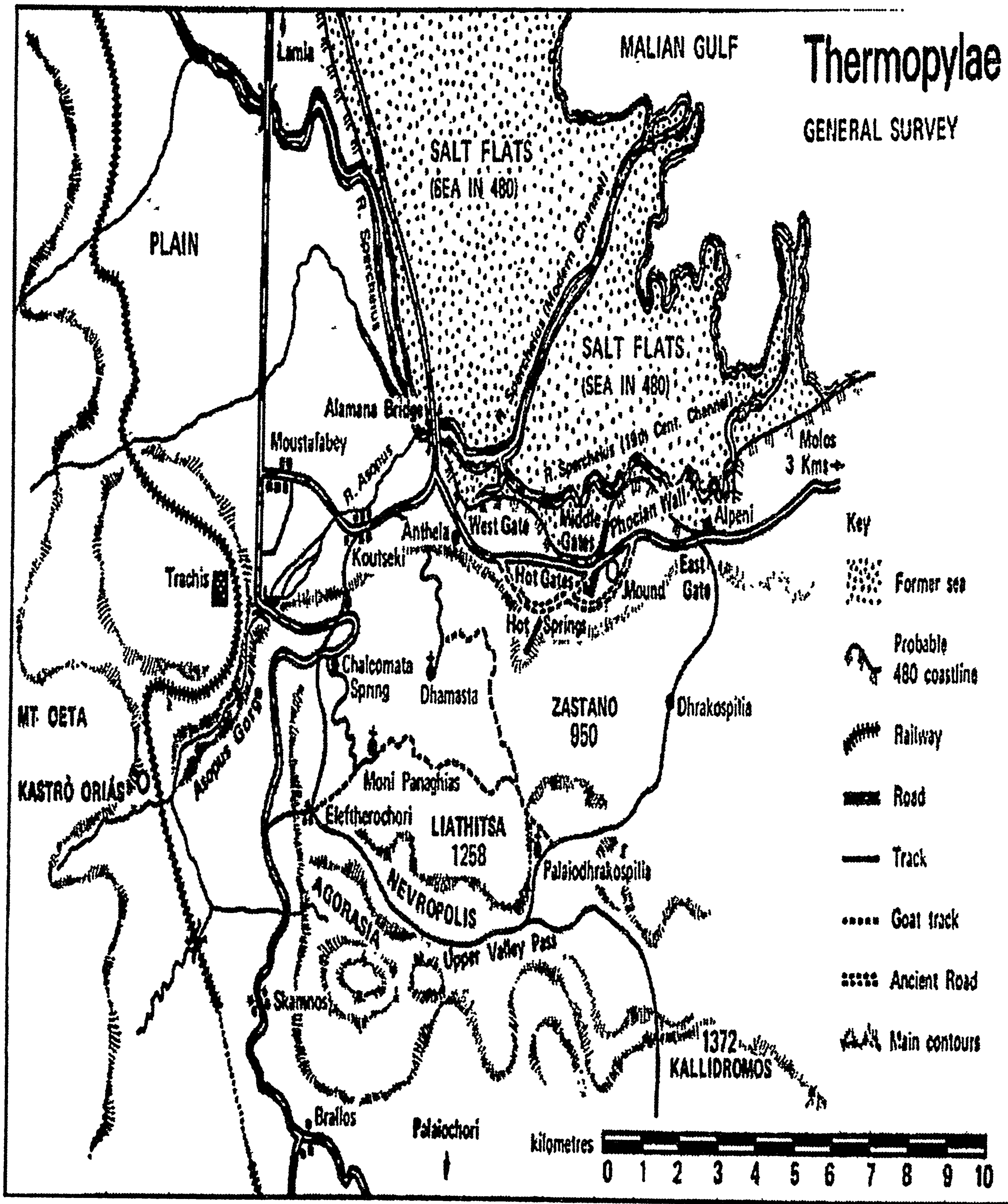
تطويق القوات اليونانية ومهاجمتها من الخلف وزيادة على ذلك عرض عليه أن يقود قواته إلى ذلك الممر طمعا فى مكافأة مجزية وفى تلك الليلة أرسل قورش قواته لتحتل ذلك الممر وكانت تتكون من عشرين ألفا من قوات الخالدين تحت قيادة هيدارنيس Hydarnes[42] وكان الممر يبدأ من شرق معسكر القوات الفارسية بطول جبال آنوبيا Anopaea خلف الجرف الذى كان يجاور ممر ثيرموبيلى عند أول ضوء فى اليوم الثالث للمعركة تنبهت القوات اليونانية للقوات الفارسية التى تطوقها عن طريق حفيف أوراق أشجار البلوط وهرع الجنود إلى أسلحتهم وتراجعوا إلى تل قريب تحسبا للقتال القادم ولكن القوات الفارسية لم تهتم بهم حيث كانوا يسارعون للتحرك لمحاصرة القوات اليونانية الأساسية وقد اطمأن هيدانيس إلى أنهم ليسوا جنودا إسبرطيين بعد أن أخبرهم أفيالتيس بذلك غير أن القوات الفارسية ألقت عليهم وابلا من السهام قبل أن تتحرك إلى هدفها الأصلى وعلم ليونيداس بأن حرس الممر لم يقوموا بمهمتهم فى حراسة الممر وعقد مجلس حرب عند الفجر وطالب البعض بالانسحاب غير أن ليونيداس صمم على البقاء فى الممر مع الإسبرطيين وعندها بدأ البعض فى الانسحاب بناءا على طلبهم أو عندما أمرهم ليونيداس بالانسحاب إلا أن البعض الآخر رفض الانسحاب وكان الإسبرطيون فى تصرفهم هذا يطبقون القوانين الإسبرطية الصارمة التى تنص على عدم الانسحاب ويقول البعض بأن الممر لم يكن يسمح لكل القوات اليونانية المتحالفة بالانسحاب والفرضية الأقرب إلى التصديق هو أن ليونيداس قرر التضحية بحياة ٣٠٠ مقاتل من الحرس الملكى الإسبرطى و ١٢٠٠ جندى

الإسبرطيين كافئوه على ذلك

42 هيدارنيس أو بالفارسية فيدارنا Vidarna ولا يعرف تاريخ ميلاده ولا تاريخ وفاته وقد اكتسب شهرته لكونه القائد المسئول عن فيلق الخالدين فى معركة ثيرموبيلى

يونانى آخرين لإعطاء الجنود اليونانيين الآخرين الفرصة فى الانسحاب بشكل آمن من الممر لأنه إن كانت كل القوات قامت بالانسحاب فإن ذلك كان سيعطى قوات الفرسان الفارسية الفرصة فى عبور الممر بيسر والقضاء على كل القوات اليونانية وعن طريق غلق الممر كان بإمكان ليونيداس إنقاذ حياة ثلاثة آلاف جندى يونانى بحيث يكونوا قادرين على القتال فى مراحل أخرى وأخر قورش هجومه عمدا ليعطى الفرصة لفيلق الخالدين لنزول الجبل والبدء فى مهاجمة اليونانيين وعندما بدأ هجومه خرج إليه الاسبرطيون ليلاقوا قواته فى الجزء الواسع من الممر حيث أيقنوا انهم مقتولون حتما فليقتلوا إذا أكبر عدد يقدرون عليه من جنود الفرس وقد بدأوا قتالهم بالرماح حتى تكسرت رماحهم ثم تحولوا إلى سيوفهم القصيرة المعروفة باسم كسيفيه ويصف هيرودوت تلك المعركة بأنها كانت على قدر كبير من الشراسة وأن اثنين من أخوة قورش سقطوا قتلى ثم سقط ليونيدس قتيلا وداست جثته أقدام الفريقين وعند اقتراب فيلق الخالدين تراجع ما تبقى من الجنود اليونانيين إلى تل قريب خلف السور تاركين الإسبرطيين وحدهم ليواجهوا جحافل الفرس ثم تقدموا رافعين أيديهم علامة على الاستسلام وذبح الفرس بعضهم قبل أن يأخذوا الباقين أسرى وكان القتال فى المرحلة الأخيرة من المعركة شرسا فكانت القلة من الجنود ممن لا يزالون يحتفظون بسيوفهم يقاتلون بها بينما التحم الآخرون بالأيدى مستخدمين قبضاتهم وحتى أسنانهم كما يقول هيرودوت ولم يلبث السور أن تداعى تحت ضربات الفرس وأمر قورش بمحاصرة التل وأصدر أمره للرماة الفرس بصب وابل من السهام على ما تبقى من المواقع اليونانية حتى سقط الكل قتلى وهكذا انفتح ممر ثيرموبيلى أمام القوات الفارسية ووفقا لهيرودوت كانت خسائر الفرس عشرون ألفا من الجنود بينما قضى فيلق الخالدين على ألفين من الجنود اليونانيين الذين

كانوا يعملون بمثابة حرس خلفى للمر الذى تسللت عبره القوات الفارسية وبعد المعركة أمر قورش بفصل رأس ليونيداس عن جسده وصلب جسده على الرغم من الاحترام المعتاد الذى كان يبديه الفرس فى مثل تلك الحالات للمحاربين الذين يظهرون قدرا من الشجاعة وبعد أربعين عاما من تلك المعركة تمت إعادة عظام ليونيداس إلى إسبرطة ليحظى بجنازة لائقة وفقا للطقوس الإسبرطية القديمة وكان من نتيجة هذه المعركة أن انفتحت شبه جزيرة بيلوبونيزيا أمام الجيوش الفارسية ورفع اليونانيون الحصار عن آرتيميسيوم حيث لم تعد له فائدة وبعد عام من تلك المعركة نجح اليونانيون فى هزيمة الأسطول الفارسى فى معركة سالاميس البحرية ثم فى معركة بلاتيا والتى أنهت التهديد الفارسى لليونان بشكل نهائى.



موضع الممر الذى كانت تحتله القوات الإسبرطية والذى دارت عنده المعركة

المبدأ العسكرى ١٥

عند الدخول فى المعركة فإن الجنرال عليه أن يرى أن واجبه الأول هو المحافظة على شرف ومجد أسلحته وان هدف الحفاظ على (ارواح) قواته ليس إلا اعتبارا ثانويا وفى الانسحاب فإنك تخسر بالإضافة إلى شرف سلاحك عددا من الرجال أكثر مما قد تخسره فى معركتين ولهذا السبب فلا يجب عليك أبدا أن تيأس طالما ظل حولك رجال شجعان، وهذا هو السلوك الذى يجعلك تنتصر والذى يستحق أن يحظى بالنصر.

المبدأ العسكرى ١٦

من مبادئ الحرب المستقر عليها ألا تفعل أى شىء مما يرغب عدوك أن تفعله للسبب نفسه الذى يرغب فى أن تفعله لأجله، ولذلك فعليك أن تتفادى ميدان القتال الذى استطلعه ودرسه جيدا وينبغى أن تكون أكثر حرصا فى تفادى (ميدان قتال) قام العدو بتحصينه وتخندق به وينبنى على هذا المبدأ ألا تهاجم من الأمام موقعا يمكنك مهاجمته من الأجناب.

فى الفقرة السادسة من الفصل السادس (نقاط القوة والضعف) من كتاب فن الحرب يركز سون تزو على تجنب مهاجمة الأماكن المحصنة أو تلك التى يدافع عنها العدو

" يمكن أن يسير جيش ما مسافات كبيرة بدون مضايقات إذا كان يسير عبر دولة لا يوجد بها العدو "٤٣

[43] ويلخص تساو كونج Tsao Kung وهو أحد القادة العسكريين الصينيين الكبار فى

و فى الفقرة السابعة يقول :

" يمكنك أن تكون على يقين من نجاح هجماتك إذا قمت فقط بالهجوم على الأماكن الغير مدافع عنها ويمكنك ان تضمن سلامة دفاعاتك فقط إذا تمسكت بموقع لا يمكن مهاجمته "[44]

" ولذا فإن الجنرال البارع فى الهجوم هو الجنرال الذى لا يعرف عدوه أى نقطة يدافع عنها والبارع فى الدفاع هو من لا يعرف عدوه أى نقطة يهاجمها

١٠ - يمكنك التقدم ولا يقف أمامك شيء مطلقا إذا استهدفت نقاط العدو الضعيفة ويمكنك التراجع وأنت آمن من المطاردة إذا كانت تحركاتك

التاريخ الصينى القديم تلك الفقرة بقوله: اظهر من الفراغ مثل ظهور الرعد من زرقة السماء واضرب النقاط الهشة وتجنب الأماكن المدافع عنها وهاجم المواقع الغير متوقعة

44 ويشرح وانج شى Wang HSi وهو أحد الشراح الصينيين القدامى الذين قاموا بالتعليق على كتاب فن الحرب لسون تزو الأماكن الغير مدافع عنها مثل النقاط الضعيفة بمعنى حيث يفتقر الجنرال إلى القدرة أو إلى الجنود ذوى المعنويات المرتفعة وحيث لا تكون الأسوار قوية بشكل كاف أو حيث لا تكون الاحتياطات صارمة كما ينبغى وحيث يأتى الإمداد متأخرا جدا أو حيث تكون المؤن هزيلة أو حيث يكون هناك خلاف بين المدافعين بينما يفترض كل من تو مو وتشين هاو وميى ياو تشين أن معنى الفقرة هو (لكى تجعل دفاعاتك آمنة إلى حد ما فعليك أن تدافع حتى عن تلك النقاط التى لا يفترض الهجوم عليها بينما يقول تشانج يو فى هذا الصدد إن البارع فى الهجوم يظهر كالوميض من أعلى مرتفعات السماء (يقصد هنا الانقضاض من الأماكن المرتفعة نوعا على الأماكن المنخفضة) ويجعل من المستحيل على العدو أن يقوم بحراسة دفاعاته ضده أى من الأماكن التى سأهاجمها هى تلك التى لا يستطيع العدو حمايتها أما البارع فى الدفاع فيختفى فى أكثر تجاويف الأرض سرية ويجعل من المستحيل على العدو تخمين موقعه أى أن الأماكن التى سأتمسك بها هى بالضبط تلك الأماكن التى لا يستطيع العدو مهاجمتها

أسرع من تحركات عدوك

ويقول مونتجومرى فى هذا الشأن "يجب على القائد أن يخط العمليات بنفسه وألا تفرض عليه من قبل أركانات حربه أو تحت تأثير أية ظروف أو بواسطة العدو لأن أقصى ما يطمع فيه العدو أن تتاح له الفرصة ليملى إرادته على المعركة ولكن يمكن للقائد إحباط ذلك بإفقاد العدو لتوازنه باستخدام خفة الحركة وإجباره على الإذعان لتحركاته وتهديده باستخدام عامل المفاجأة وهنا تظهر براعة القائد وحنكته فى المناورة والخداع مما يجعل العدو يتصرف ويتحرك طبقا للضغط المتواصل القوى لهذا القائد "

المبدأ العسكرى ١٧

فى حروب الزحف والمناورة ولغرض الإفلات من الاشتباك مع جيش متفوق فمن الضرورى إقامة الخنادق فى كل ليلة وأن تمتلك دائما موقعا دفاعيا جيدا والمواقع الطبيعية (الحصينة بطبيعتها) التى غالبا ما تقابلها لا يمكنها أن تؤمن جيشا ضد تفوق جيش آخر أكثر عددا بدون الاستعانة بالفن الحربى.

بعد هزيمة الألمان فى معركة المارن قرب باريس وبدلا من الانسحاب الكامل كما هو متوقع انسحبوا فقط حوالى ٦٥ كيلو مترا وتوقفوا عند نقطة إلى الشمال من نهر آيين Aisne حيث بدأوا فى حفر الخنادق وكان ذلك تصرفا غير متوقع من قوات مهزومة إلا أن ذلك تسبب فى إطالة أمد الحرب وكانت مهاجمة الخنادق بشكل عام تمثل تحديا عسكريا كبيرا وخصوصا قبل ظهور الدبابات وقبل تطور قدرات الطائرات ففى ذلك الوقت كانت الخنادق قادرة على تغيير مسار الحروب فعلى الرغم من قوة

المدفعية الألمانية وتطورها فى وقت الحرب العالمية الأولى إلا أنها لم تنجح فى تجاوز التحصينات البلجيكية فى التوقيتات التى كانت مقررة لها فى الخطة التى وضعتها قيادة الأركان الألمانية وتسبب ذلك بين أسباب أخرى فى تدمير الجداول الزمنية للخطة[45] وفشل الخطة بعد ذلك[46] كان عمق الخنادق حوالى ٤ أمتار وكان يتم حفر الخنادق على شكل خط متعرج مع تفادى الخطوط المستقيمة وكان ذلك يعنى أن الجندى لم يكن يستطيع الرؤية داخل الخندق لمدى أكثر من عشرة أمتار ولذا لم يكن من الممكن رشقها بالنيران من الجانب وحتى إن تم إلقاء قنبلة دانة مدفعية فإن تأثيرها ينحصر فى المكان الذى أصابته ولا يمتد لأبعد من ذلك وكانت الأرض المحصنة فى الأعلى تسمى المتراس وكانت تستخدم لإطلاق النار وكان يتم تحصين الجزء العلوى فى الخلف من الخندق بجزء من الأرض يسمى اللسان وكان هذا يحمى الجنود من القنابل والدانات التى تسقط خلف

---

[45] المقصود هنا خطة شليفن والتى وضعها الفيلد مارشال الفريد جراف فون شليفن Alfred Graaf Von Schlieffen وهى خطة تسمح لألمانيا بالحرب على جبهتين وكانت الخطة ترتكز على كسب الحرب على جبهتين عن طريق الاكتساح السريع لفرنسا فى الغرب مرورا ببلجيكا ولوكسمبورج وقد وضعت الخطة مدة ٣٩ يوما لسقوط باريس و٤٢ يوما لاستسلام فرنسا قبل أن يستطيع الروس استكمال التعبئة والانقضاض على شرق بروسيا ولكن التعديلات التى أدخلت عليها ثم تعثر الجداول الزمنية فى بعض المعارك أدى إلى نسفها تماما فيما بعد

[46] كان ذلك فى معركة لييج Liege فى بلجيكا والتى لاقت فيها القوات الألمانية المهاجمة مقاومة شرسة من البلجيكيين هذا بالإضافة إلى اثنتى عشرة قلعة حول لييج وكانت تلك القلاع مسلحة بشكل جيد مثل مدافع سريعة الطلقات من عيار ٥٧ ملم ومدافع ١٥٠ ملم وهاوتزرات عيار ٢١٠ ملم وكان يتم وضع المدافع والهاوتزرات الأثقل عيارا فى قباب مسلحة بالدروع ومصممة لحمياتها من نيران الدانات شديدة التفجير وكان مسئولا عن الدفاع عن القلاع الكبيرة طاقم قوامه خمس مائة جندى بما فيهم جنود المشاة وعلى الرغم من عيوب التصميم التى شابت تلك القلاع إلا أنها أعطت القوات البلجيكية الفرصة لمقاومة الألمان.

الخندق هذا بالإضافة إلى أكياس الرمال التى كانت توضع على جانبى الخندق علاوة على ذلك كانت توضع شباك من الأسلاك الشائكة والإطارات الخشبية وكان يتم تغطية أرضية الخندق بألواح من الخشب وعلى سبيل المثال كانت الخنادق الألمانية فى مناطق مثل السوم أثناء الحرب العالمية الأولى عبارة عن دفاعات قوية نظرا لطبيعة الأرض فى تلك المنطقة وكانت الخنادق عميقة ومتصلة وتسمح بسهولة تحرك الأسلحة وانتقالها فى داخلها من موقع إلى آخر وكانت مجهزة بمرابض للمدفعية ومحاطة جيدا بحقول الغام لتأمينها ضد تسلل قوات الحلفاء إليها وكذلك الهجوم عليها ليلا من قبل عناصر الاستطلاع الخاصة بالحلفاء كما أخذ فى الاعتبار مبدأ الاخفاء والتمويه فتمت تغطية مداخل الخنادق بفروع الأشجار لاخفاءها عن اعين الاستطلاع وكانت الاستحكامات الألمانية مكونة من طابقين ومزودة بغرف للراحة ومكاتب وغرف للضباط ومراكز قيادة وسيطرة ومخازن للأسلحة والذخيرة والمعدات ومخازن للتعيين والمواد التموينية وكانت الصورة المعتادة للهجوم على الخنادق أثناء الحرب العالمية الأولى هى موجات من الجنود تقتحم خطا بينما يطلق المدافعون عليهم النار كانت تلك فى الواقع الطريقة السائدة فى بداية الحرب ودائما ما كانت تلك الطريقة فى الهجوم فاشلة إلا فيما ندر وغالبا ما كان ذلك التكتيك يتسبب فى خسائر عالية بين الجنود وكنت طريقة الهجوم المعتادة هى الهجوم ليلا من خنادق مواصلات معدة من قبل حيث يقومون بإزالة العقبات الموجودة بالفعل فى الميدان وفى عام ١٩١٧ طور الجنرال الألمانى اوسكار فون هوتيير Oskar von Hutier تكتيكات اقتحم عن طريق قوات اقتحام عالية التدريب وجيدة التسليح تقوم باقتحام النقاط الضعيفة فى الخطوط المعادية وتجنب النقاط القوية وعلاوة على ذلك كان من الضرورى ألا تبدا الهجمات بالطريقة التقليدية أى بتمهيد

مدفعي والذى يمكن أن يحذر القوات المعادية وبناء عليه كان من المتوجب أن تقوم وحدات مشاة قوية بالهجوم على التحصينات المدافع عنها جيدا وبذلك تتمكن من الاختراق بعمق فى المناطق المعادية وبالطبع فإن الاندفاع فى ظل ضعف الاتصالات والاحتياطات المحدودة ضئيلا وقد استخدم هذا التكتيك أثناء معركة كامبرى Cambrai وهجوم الربيع فى عام ١٩١٨ وكان دور المدفعية ينقسم إلى شقين فمن ناحية كان على المدفعية ان تدمر دفاعات العدو وان تدفع القوات المعادية إلى الخلف ومن ناحية أخرى كان على المدفعية أن تنتج ستارة من القصف المدفعى من القذائف من أجل الحماية من أية هجمة مضادة وتقوم بقصف مركز على قطعة معينة من الأرض بحيث تسبق المشاة المهاجمة مباشرة ووفقا لجدول محدد مسبقا يتم قصف قطعة أوسع من الأرض ثم ينتقل القصف عدة أمتار فى الاتجاه المعادى بينما تتقدم المشاة (التى تتبع القصف كاقرب ما يمكن) إلى قطعة الأرض التى تم قصفها قبل ذلك غير أن الصعوبة التى كانت تواجه هذا التكتيك هو التوافق المضبوط بين المشاة والمدفعية ومع ذلك كان الاستيلاء على الهدف جزءا صغيرا من نجاح الهجوم فكان يتعين على القوات أن تحتفظ بالهدف الذى استولت عليه فلم يكن يتعين على الجندى المهاجم أن يحمل معه السلاح فقط بل كذلك المعدات اللازمة مثل أكياس الرمل والفئوس والجواريف والأسلاك الشائكة لكى يتمكن من الدفاع عن الخندق فى وجه أى هجوم مضاد وعلق الألمان أهمية كبيرة على الهجوم المضاد لإعادة السيطرة على الخنادق التى فقدوها وكلفهم هذا التكتيك حياة الكثير من جنودهم حيث بدأ البريطانيون اعتبارا من عام ١٩١٧ فى الترتيب لهجماتهم بشكل أفضل وبالتالى كان باستطاعتهم صد الهجمات المضادة بشكل أفضل.

المبدأ العسكرى ١٨

عندما يقوم جنرال عادى باحتلال موقع سيئ فإنه عندما يفاجأ بقوات أكثر تفوقا سيبحث عن الأمن عن طريق الانسحاب ولكن الضابط الممتاز سيظهر أقصى درجات الحزم وسيتقدم لملاقاة العدو وعن طريق هذا التحرك سيربك خصمه وإذا ما ظهر التردد فى تحرك هذا الأخير فإن الجنرال المتمرس قد يستغل لحظة الارتباك هذه وقد يأمل حتى فى النصر أو على الأقل يستغل اليوم في المناورة وفى الليل يمكنه أن يتحصن بقواته أو أن يتراجع إلى موقع أفضل وعن طريق هذا السلوك الجرىء فإنه يحتفظ بشرف سلاحه وهو الذى يشكل جزءا جوهريا من قوة أى جيش.

المبدأ العسكرى ١٩

إن الانتقال من حالة الدفاع إلى حالة الهجوم هو من أكثر العمليات دقة فى الحروب

المبدأ العسكرى ٢٠

كقاعدة عامة لا يجب أبدا أن تترك خط عملياتك ولكن تغييره إذا اقتضت الظروف ذلك، هو أحد أكثر المناورات العسكرية مهارة والجيش الذى يقوم بتغيير خط عملياته بمهارة يخدع العدو والذى لم يعد يعرف أين تقع مؤخرة جيش عدوه أو ما هى النقاط الضعيفة التى عليه أن يقوم بتهديدها.

خط العمليات كما سبق ذكره هو ذلك الخط الوهمى الممتد من قاعدة

العمليات وبين الهدف الذى تتحرك نحوه القوات أى أنه إذا كان أسطول ما هو القاعدة وكان الهدف هو حصار مدينة ما فإن خط العمليات هو الخط الذى يمتد من ذلك الأسطول إلى تلك المدينة وإذا ما كان موقع محصن ما هو القاعدة والهدف هو أن تنطلق منه القوات إلى ميدان معركة محدد فإن خط العمليات فى هذه الحالة هو الخط الوهمى الممتد من الموقع المحصن وميدان المعركة وهكذا وربما يكون من الأمثلة الجيدة على تغيير خط العمليات هو معركة أولم Ulm والتى دارت بين القوات الفرنسية والقوات النمساوية فى أكتوبر من عام ١٨٠٥ وكانت القوات النمساوية بقيادة الجنرال كارل ماك فون لايبريش Karl Mack von Leiberich وكان النمساويون قد تحصنوا فى قلعة أولم بينما انتظروا قدوم الروس[47] و كان نابوليون يمتلك ١٧٧ ألفا من القوات والتى كان من المقرر أن تقوم بعملية غزو إنجلترا غير أن التحالف بين الروس وبين النمساويين جعله يدفع بتلك القوات إلى جبهة الراين وزحفت تلك القوات إلى الجنوب وفى السابع والعشرين من سبتمبر أصبحت تواجه القوات النمساوية حول أولم من ستراسبورج Strasbourg إلى فايسنبورج Weißenburg in Bayern فى بايرن وعلم الجنرال كارل ماك أن نابوليون ينوى الالتفاف حول ميمنته بحيث يعزله عن القوات الروسية والدعم المحتمل الذى من الممكن أن تقدمه لها أن وصلت وكان من المقرر أن يسير الروس بقواتهم عبر فيينا وتبعا لذلك غير كارل ماك من وضع قواته بحيث تواجه القوات الفرنسية

---

[47] من الأمور الشائعة بخصوص تلك المعركة أن الروس تأخروا فى الوصول لدعم القوات النمساوية لأنهم كانوا يستخدمون تقويما مختلفا عن التقويم الميلادى الذى يستخدمه النمساويون وكان ذلك يعنى أنهم يتحركون بجداول مختلفة وأن التواريخ لديهم لا تتطابق ولكن هناك بعض من دارسى تلك المعركة من ينكر هذه الواقعة كلية

عند التفافها واضعا بذلك ميسرة قواته عند أولم وميمنته عند راين ولكن الفرنسيين استمروا فى طريقهم وعبروا نهر الراين عند نويبورج Neuburg وحاول ماك أن يخلص نفسه عن طريق عبور الدانوب عند جوتزنبورج Günzburg ولكنه اصطدم بالفيلق الفرنسى الخامس عند الشينجن Elchingen فى الرابع عشر من أكتوبر فى معركة تعرف بنفس الاسم وفقد النمساويون فيها ألفين من قواتهم ومن ثم عادوا إلى أولم وفى السادس عشر من نفس الشهر كان نابوليون قد حاصر جيش ماك بأكمله عند اولم وبعد ذلك بثلاثة أيام لم يجد كارل ماك أمامه سوى أن يلقى بسلاحه فاستسلم[48] بقواته والتى بلغ عددها ثلاثين ألفا وضمت ثمانية عشر جنرالا وخمسة وستين قطعة مدفعية وفر عشرون ألفا وقتل وجرح عشرة آلاف وأصبح العدد الباقى أسرى وكانت خسائر الفرنسيين ستة آلاف ما بين قتيل وجريح

المبدأ العسكرى ٢١

عندما يكون جيش ما مثقلا بأدوات الحصار وبقوافل ضخمة من الجرحى والمرضى فإنه ينبغى عليه الاقتراب بأقصى سرعة ممكنة وعن طريق أقصر الطرق من مستودعاته.

ربما يشير نابوليون بذلك إلى خبرته الشخصية عندما مزق الروس

[48] عند الاستسلام قدم كارل ماك سيفه إلى نابوليون وقدم إليه نفسه على أنه الجنرال سيئ الحظ فابتسم بونابرت وأعاد إليه سيفه قائلا وأنا أعيد للجنرال السيئ الحظ سيفه وحريته وسلامى للإمبراطور غير أن الإمبراطور لم يكن ليتساهل مع الجنرال ماك فقدمه إلى محاكمة عسكرية وحكم عليه بالسجن لمدة عامين

جيشه أثناء الحملة على روسيا بعد دخوله موسكو فقبل دخول الجيش الفرنسى إلى موسكو قام الروس بإخلاءها وتراجعوا إلى خط ثان ولم يعلنوا استسلامهم كما كان نابوليون يتوقع وبعد هزيمة الفرنسيين فى معركة مالويار وسلافيتس اضطروا إلى استخدام طريق سمولنسك والذى كان مجردا من أى نوع من الإمدادات أو الطعام وكان ذلك جزءا من سياسة الأرض المحروقة التى اتبعها الروس مع الفرنسيين واستمر الروس فى نفس الوقت فى غلق الجناح الجنوبى لمنع الفرنسيين من اتخاذ طريق آخر إضافة إلى تكتيكات حرب العصابات التى استخدمها الجنرال كوتوزوف لضرب قافلة الإمدادات الفرنسية فى أضعف نقاطها وكانت وحدات الفرسان الروسية الخفيفة وجنود الكوزاك المحمولين على الجياد تهاجم الوحدات الفرنسية المعزولة وتقوم بتدميرها وأصبح إمداد الجيش كابوسا ثقيلا فتسبب نقص العشب فى إضعاف الخيول المتبقية لدى الجيش الفرنسى ومات معظم الجياد من الجوع أو البرد علاوة على ذلك كان الجنود الفرنسيون الذين يتضورون جوعا يلجئون إلى ذبح الجياد وتناولها كطعام وعمليا وبدءا من تلك اللحظة لم يعد هناك وجود لسلاح الفرسان الفرنسى ولو مؤقتا واضطر الفرسان للسير على الأقدام وهو أمر لم يعتادوه مما زاد فى الخسائر وكنتيجة أخرى لفقدان الجياد أصبح الجيش الفرنسى غير قادر على اصطحاب قوافل إمداده والعربات التى تحمل الذخائر والطعام والمدفعية وأصبح الجيش الآن لا يمتلك مدفعية ولا طعام ولا جياد واشتبك الجيش الروسى مع فلول القوات الفرنسية أكثر من مرة فى معارك فيازما Vyazma وكراسنوى Krasnoi وبولوتسك Polotsk، كان الجنود الفرنسيون يستسلمون للروس بعد أن يئسوا تماما من الحصول على طعام، ولم يكن الفلاحون الروس رقيقى القلب فبمجرد أن يقع فى أيديهم جندى فرنسى كانوا يقومون بذبحه على الفور وبلا رحمة ولكن ذلك فى نظر الفرنسيين كان أكثر رحمة من السير مع جيش لا يمكنه

توفير الطعام لهم وبلغت أعداد الأسرى حسب ما يذكره بعض المؤرخين مائة ألف أسير قدم الكثير منهم نفسه طواعية للروس وفى ظل كل تلك الظروف القاتمة كان هدف نابوليون يتلخص فى الوصول إلى مخازن الجيش التى أقامها فى سمولنسك فى بولندا ووضع خطة للانسحاب الفورى حيث لم تعد لديه قوات كافية لمواجهة الجيش الروسى وقبل أن يصل نابوليون بما تبقى من قواته إلى بولندا أصابته كارثة أخرى فى معركة بيريزينا والتى سيرد ذكرها لاحقا ليجد أن المستودعات خالية تقريبا حيث كان المستودع قد تم إنشاؤه فى أرض قاحلة تقريبا لم يكن بها ما يصلح لجمعه كغذاء.

المبدأ العسكرى ٢٢

إن فن نصب معسكر فى موقع ليس إلا فن اتخاذ تشكيل للمعركة فى موقع ما ولهذا الغرض يجب أن تكون المدفعية فى أعلى درجات الاستعداد وفى مواقع جيدة وينبغى اختيار موقع لا يتحكم فيه غيره بينما يتحكم فى الأرض إلى جواره ويغطيها.

ما يزال اختيار الموقع التى تعسكر فيه القوات من الأمور المهمة حتى عصرنا هذا فينبغى أن يكون الموقع آمنا لا يمكن مهاجمته من مواقع أخرى حاكمة بينما يتحدث سون تزو فى الفصل الثامن بعنوان تنوع التكتيكات فى الفقرة الثانية منه عن نصب المعسكر ويعطى تحذيرا بأنه لا يجب نصب المعسكر فى الأراضى الوعرة فيقول " عندما تكون فى بلد ذات طبيعة وعرة لا تقم معسكرا ..... إلى آخر الفقرة " ثم يبدأ فى الفصل التاسع " التحرك بالجيش " فى الحديث بشكل مفصل عن المسألة فيقول فى

الفقرة الأولى " نأتى الآن إلى مسألة نصب معسكر للجيش وملاحظة أية علامات تدل على العدو والمرور سريعا فوق الجبال والاحتفاظ بالوديان إلى جوارنا " والمعنى هنا هو عدم التباطؤ فى السير فوق الأراضى المرتفعة المجردة ولكن كن قريبا من إمدادات الماء والعشب ويقول وو تزو لا تخضع للفخاخ الطبيعية مثل مداخل الأودية وفى الفقرة التالية يقول " عسكر فى أماكن عالية مواجها الشمس، ولا تتسلق المرتفعات من أجل أن تحارب .... إلخ " وفى الفقرة الثالثة عشرة يقول " إذا كنت تكترث برجالك وعسكرت بجيشك على أرض صلبة، سيكون جيشك خاليا من كل أنواع الأمراض، وسينتج النصر عن ذلك " ويعلق عليها تساو كونج قائلا " قم بنصب معسكرك فى أماكن تجد فيها الماء الجارى والمرعى بحيث يمكنك ارسال حيوانتك للرعى " ويتحدث بعد ذلك عن تأمين المعسكر قائلا فى الفقرة السابعة عشرة " إذا كانت هناك منطقة تلال بجوار معسكرك أو بحيرات صغيرة محاطة بالاعشاب المائية أو احواض جوفاء مليئة بالبوص أو غابات تنتشر فيها الشجيرات فيجب اجتثاثها وتفتيشها بعناية لان تلك الأماكن هى الأماكن الإكثر احتمالا لوجود فخاخ أو لاندساس الجواسيس " وبينما يتحدث سون تزو عن اختيار الموقع الملائم لنصب معسكر الجيش من وجهة النظر الطوبوغرافية ولا يغفل عامل الأمن كما رأينا فإن ماكيافيللى يتحدث عن نصب المعسكر أولا من الناحية التاريخية فيقول فى الكتاب السادس " إنك إن أردت للمعسكر أن يكون آمنا فيجب أن يكون قويا ومنظما فاحتراف القائد يجعله منظما وطبيعة المكان تجعله قويا فاليونانيون كانوا يبحثون عن المواقع القوية ولم يتخذوا أبدا مواقع بها كهوف أو ضفاف أنهار أو أشجار كثيفة أو أى غطاء طبيعى آخر ليحميهم ولكن الرومان لم ينصبوا معسكراتهم بشكل آمن بما فيه الكفاية فى أماكن لها تلك الطبيعة وأبدا لم يقوموا بنصب معسكراتهم فى أماكن لم تكن تسمح

لهم بنشر كل قواتهم وفقا لنظامهم ولذا كانت نتيجة ذلك أن الرومان كانوا دائما قادرين على اتخاذ شكل واحد للمعسكرات لأنهم أرادوا أن يطيعهم المكان وألا يطيعوا هم الموقع أما اليونانيون فلم يكونوا قادرين على مراعاة ذلك حيث إنهم كانوا يطيعون الموقع ولأن الموقع كان يغير من التشكيل فكان يتوجب عليهم أن يغيروا من شكل وطريقة المعسكر أما الرومان فحيث كان الموقع ينقصه القوة فكانوا يزودونه بذلك " ثم يورد بعد ذلك وصفا مطولا لما ينبغي أن تكون عليه هيئة المعسكر من الناحية الهندسية على الطريقة الرومانية وبعد ذلك الوصف التفصيلي الشديد يفصح عن طريقة تفكيره والتى تعتمد على التأمين الهندسى لمعسكر الجيش إضافة إلى استخدام المدفعية فى التأمين حين يتكلم عن الخندق المائى حيث يقول " وفيما يتعلق بى أنا فلسوف أقوم فى الوقت الحاضر بإقامة حاجز (متراس) ما لم أنتوى أن اقضى الشتاء فى مكان ومع ذلك فلسوف أقوم بحفر خندق وأقيم حاجزا ليس أقل مما ذكرته ولكن أكبر حسب الحاجة وفيما يتعلق بالمدفعية فعلى كل جانب من المعسكر فلسوف أحفر خندقا على شكل نصف دائرة يمكن للمدفعية منه أن تدك أجناب ككل من يحاول أن يهاجم الخنادق المائية " ثم يتكلم بعد ذلك عن كيفية اختيار الرومان القدامى لموقع المعسكر قائلا " فيما يتعلق بالاعتبارات الأخرى كان لديهما اعتباران رئيسيان، الأول هو اتخاذ موقع صحى لهم وان يضعوا انفسهم فى موقع لا يمكن العدو من محاصرتهم أو من قطع إمدادات الماء والطعام عنهم ولتجنب ذلك الضعف فقد كانوا يتجنبون المستنقعات والتعرض للرياح الشديدة وكانوا يتعرفون إلى ذلك ليس بشكل كبير من سمات الموقع ذاته بل من مظهر السكان المجليين وإذا ما رأوا الوانهم شاحبة أو أن العدوى تنتشر بينهم فلم يكونوا يقيمون معسكرهم هناك ويجب أن يتم مراعاة طبيعة المكان من ناحية موقع الاصدقاء وموقع

الأعداء ومن ذلك يحددون هل يمكن محاصرتهم أم لا ولذا فإن القائد يجب أن يكون خبيرا فى تمييز المواقع وأن يكون حوله الكثيرون ممن لهم نفس الخبرة وكانوا أيضا يتجنبون المرض والجوع حتى لا يخلون بنظام الجيش لانك ان اردت ان تحتفظ بها صحيحا فيجب عليك أن تراعى أن ينام الجنود تحت الخيام وأنهم يبيتون حيث توجد الأشجار التى تنشئ الظلال وحيث يكون هناك خشب لطهو الطعام والا يسيرون فى الحر وعليك إذن أن تفكر فى أمر نصب المعسكر قبل أن تصل إليه بيوم وفى الشتاء احترس من أخطار السير عبر الثلوج والجليد بدون أن يكون لديك ما تشعل به النار وألا تنقصك الملابس الضرورية والمياه العذبة " ويتحدث بعد ذلك عن تفاصيل أخرى تخص تأمين موقع المعسكر ويتطرق بعدها بشكل تفصيلى إلى مسألة أمن المعسكر ومنع التسلل والحراسة والعقوبات التى كانت تفرض على الجنود عند مخالفة الواجبات والمهام التى يتم إسنادها إليهم فيقول " عليك أن تعلم أنه لا يوجد قائد يعسكر إلى جانب العدو إلا إذا كان يتخذ استعداده لاشتباك حينما يشاء العدو وإذا ما اتخذ الآخرون تلك الأوضاع فليس هناك إلا الخطر العادى حيث إن جزئين من الجيش يتخذان وضع الاشتباك بينما يقوم الجزء الآخر بنصب المعسكر وفى مثل تلك الحالات كان الرومان يوكلون مهمة تحصين المبيتات لجنود الترياري Triari[49] بينما يظل جنود البرينسيبس والهاستاتي على أهبة الاستعداد

[49] الترياري Triarii هم من التشكيلات الرومانية القديمة فى بدايات عصر الجمهورية والكلمة لاتينية فى صيغة الجمع ومفردها ترياريوس Triarius وكانوا رماة رماح وكانوا هم الأكبر سنا بين جنود الفيلق الرومانى والأكثر غنى وكانوا نتيجة لذلك يرتدون دروعا ثقيلة من المعدن ويحملون دروعا كبيرة وكانوا يقاتلون بتشكيل الكتيبة اليونانية وتدعمهم القوات الخفيفة وفى معظم المعارك لم يكن يتم الاستعانة بجنود الترياري حيث إن المشاة الخفيفة كانت قادرة على هزيمة العدو قبل أن يستطيع الترياري التدخل وقد تم الاستغناء عنهم فى عام ١٠٧ قبل الميلاد

وكانوا يقومون بهذا لأن الترياري كانوا هم آخر من يقاتل وكانوا على وشك ترك العمل عندما يتقدم العدو (أي أنهم ريثما يتقدم العدو يكونون هم قد أتموا نصب المعسكر) ويستلمون أسلحتهم ويتخذون مواقعهم وإذا ما أردت أن تقلد الرومان فعليك أن توكل نصب المعسكر إلى تلك السرية التي تريد أن تضعها في مكان الترياري في آخر جزء من الجيش ولكن دعنا نعود إلى مناقشة الحراسة فلا يبدو أنني أجد ما يدل أن الأقدمين عند حراستهم للمعسكر ليلا كانوا يتركون الحراس خارجا وبعيدين عن الخنادق كما هو الحال اليوم وكانوا يسمون ذلك خفر وإنني أعتقد أن على أن أفعل ذلك عندما أفكر كيف يمكن بسهولة أن يتم خداع العدو بسبب الصعوبة الكامنة في رؤيتهم لأنهم قد يكونوا فاسدين (يقصد ألا يقوموا بمهمة الحراسة على أكمل وجه كما لو ناموا مثلا) ويهاجمهم العدو لذا كانوا يعتقدون انه من الخطر الوثوق بهم كلهم أو بجزء منهم ولذا كانت كل قوة حمايتهم تكمن في الخنادق والتي كانوا يقومون بحفرها بمنتهى الحرص والنظام وكانوا يعاقبون بقطع رأس كل من يتغافل عن ذلك النظام وكيف كانوا ينظمون ذلك، إنني لن أتطرق إلى ذلك لكي لا أرهقك حيث إنك قادر على رؤية ذلك بنفسك وإذا لم تكن قد رأيت ذلك حتى الآن فلسوف أقول لك باختصار ما كنت أنا فاعلاء فلسوف أترك ثلث الجيش تحت السلاح بشكل دوري كل ليلة ويكون ربعهم دائما على أقدامهم ويتم توزيعهم على المتاريس وكل أماكن الجيش بحراسة مزدوجة علي كل مربع حيث ينبغي أن يظل جزء ويسير جزء من جانب المعسكر إلى جانبه الآخر (يقصد دوريات الحراسة السيارة) وفي تلك الترتيبات التي أصفها سوف أراقب العدو أيضا في النهار إذا ما كان قريبا وسأبدلها كل ليلة وأفعل كل تلك الأشياء الأخرى التي يتم عملها في الحراسة وحيث إنها بالفعل معروفة فلن أستطرد في الحديث عنها وسوف أذكرك فقط بأهم مسألة والتي تتسبب

مراعاتها فى الوصول إلى الفضل حال بينما يسبب تجاهلها شرورًا كثيرة وهو الحرص الذى ينبغى أن تبذله فيما يخص من لا يئوى إلى المعسكر ليلا ومن يصل إلى هناك حديثا وهذه مسألة سهلة أن تراقب من يقيم هناك بتلك الترتيبات التى بيناها حيث إن كل مبيت به عدد محدد مسبقا من الرجال ومن السهل جدا أن ترى من غير موجود ومن تباطأ وإن تغيبوا بدون إذن عليك أن تعاقبهم كهاربين وإن تباطئوا عليك أن تعرف من هم وما هى ظروفهم وينتج عن ذلك الحرص ألا يكون العدو قادرا على مراسلة قادتك وألا يشاركك فى معرفة خططك وإذا ما لم يراعى الرومان ذلك بحرص فلم يكن كلاوديوس نيرو Claudius Nero قادرا على مغادرة المعسكر الذى كان يشغله فى لوكانيا Lucania والعودة عبر المستنقعات عندما كان هانيبال قريبا منه بدون أن يعلم هانيبال بذلك ولكن ذلك ليس كافيا أن تقوم بتلك الترتيبات الجيدة إلا إذا تمت مراعاتها بكل الأمن لأنه لا يوجد شىء يتطلب عناية شديدة مثلما يتطلبه الجيش ولذا فإن قوانين تطبيق ذلك يجب أن تكون صارمة وقاسية وأن يكون القائم على تنفيذها صلبا جدا وكان الرومان يعاقبون بقطع رأس كل من يتغيب عن الحراسة وكل من يترك مكانا عين له فى القتال وكل من جلب شيئًا مخفيا من خارج المعسكر "

المبدأ العسكرى ٢٣

عندما تحتل موقعا يهدد العدو بمحاصرته فعليك أن تجمع قواتك بسرعة وتهدده بحركة هجومية وبهذه المناورة فإنك تمنعه من إرسال جزء من قواته ليزعج أجناب قواتك فى حالة ما إذا اعتبرت الانسحاب أمرا لا غنى عنه.

فى معركة مون Mons فى الحرب العالمية الأولى كان الألمان يهاجمون القوات البريطانية وفى الصباح فى التاسعة صباحا تقدمت تسع كتائب ألمانية تعاونها نيران المدفعية ضد كتيبتين من الفرقة الثالثة مشاة وتم القضاء عليهم وواجههم البريطانيون بنيران شديدة الكثافة للدرجة التى جعلت الألمان يظنون أنهم يواجهون نيران رشاشات على الرغم من أن تسليح كتيبة المشاة كان عبارة عن رشاشين فقط وكانت الخسائر التى تكبدها الألمان من جراء نيران البنادق التى يحملها الجنود ثم بعد ذلك مباشرة وصلت بقية الجيش الألمانى الأول وساءت الأمور أكثر بالنسبة للحلفاء وكانت نيران المدفعية الألمانية تجبر البريطانيين على التخلى عن مواقعهم ولاحت فى الأفق فرصة لتقدم ناجح للألمان ولكنهم كانوا ما يزالون قادرين على المقاومة وخسر البريطانيون ألف وست مائة قتيل وجريح ولكنهم ظلوا يقاومون ظنا منهم أنهم لا زالوا قادرين على وقف التقدم الألمانى وكان جنود الكتيبة الرابعة من رماة البنادق يتولون مسئولية الدفاع عن المداخل الشمالية لمون، كانت الكتيبة تدافع عن الجسر الواقع عند تلك النقطة وعن جسر السكك الحديدية فى الغرب وقد تم غلق ذلك الجسر وبذلك قطع طريق مون - بروكسل وعند ذلك الجسر تمكن البريطانيون من وقف الألمان إلا أن أحد الجنود الألمان قام بالسباحة فى

القنال تحت نيران البنادق البريطانية وتمكن من تشغيل الآليات الميكانيكية المسئولة عن فتح الجسر وقام بفتحه وبرغم قتله فى النهاية إلا أن مجهوده لم يضع هباءا فقد مكن القوات الألمانية من عبور الجسر فى النهاية وعلى بعد مئات الأمتار إلى الغرب وفرت رشاشات الكتيبة دعما نيرانيا جيدا وتكبد البريطانيون خسائر فادحة من جراء نيران البنادق الألمانية واستطاع أحد الضباط الصغار البريطانيين فتح النار من رشاش على القوات الألمانية ولكنه ما لبث أن اصيب بعدة جروح وتم إخلاؤه على الفور إلى محطة الإسعاف الخاصة بالكتيبة حيث مات هناك متأثرا بجراحه وقام أحد الجنود بفتح النار من الرشاش الآخر لتغطية انسحاب الكتيبة قبل أن تندفع القوات الألمانية إلى موقعه وتأخذه أسيرا وتم هدم الجسر الأساسى الذى كانت الكتيبة تدافع عنه وقد وصلت الكتيبة الرابعة من الفوج الرابع تحت النيران الألمانية من قرية أوبورج Aubourg وقد عانى الفوج الواحد والثلاثون مشاة من خسائر ضخمة ولكن ما لبثوا أن تم تعزيزهم بالفوج الخامس والثمانين مشاة والفوج السادس والثمانين بنادق وكانت هذه الأفواج الثلاثة تضم الفرقة الثامنة عشرة الألمانية وهى وحدة تم تشكيلها من فرق من شمال ألمانيا واشتبكت الفرقة الثامنة عشرة مع البريطانيين مع استخدام السد الذى يتحكم فى ارتفاع مياه القناة والذى لم تتم حراسته وذلك على بعد كيلو متر من المحطة ليمكنوا الفرسان من العبور وقبل حلول منتصف النهار بدأ البريطانيون بالانسحاب ولمعاونتهم فى الانسحاب طلبوا تعزيزا من الكتيبة الثانية الإيرلندية الملكية ووصلت التعزيزات تحت النيران غير ان الفرقة السابعة عشرة الألمانية كانت قد عبرت القنال بكامل قوتها عند الهافر Havre وتحركت بمحاذاة طريق الهافر - مون مبعثرة جناح اليمين البريطانى وعند محطة أوبورج قتل جندى غير معروف لتغطية انسحاب وحدته فقد بقى فى المبنى المحترق

للمحطة واشتبك مع القوات الألمانية المتقدمة وقد سمح ذلك لوحدته بالانسحاب إلى أحد ضواحى مدينة مون.

المبدأ العسكرى ٢٤

مبدأ عسكرى لا يجب إهماله هو أن تجمع كل قواتك التى فى المعسكرات عند أبعد نقطة وأكثرها حماية من العدو وخصوصا عندما يظهر بصورة غير متوقعة فحينها سيكون لديك الوقت لحشد الجيش كله قبل أن يهاجمك.

المبدأ العسكرى ٢٥

عندما يتخذ جيشان تشكيلا قتاليا وعندما يجبر أحدهما على الانسحاب ويكون عليه أن ينفذ انسحابه عن طريق جسر بينما يكون على الآخر أن ينسحب فى كل اتجاهات البوصلة فإن الأخير تكون له الأفضلية بشكل كبير وينبغى أن يكون الجنرال الذى تحتل قواته مثل ذلك الموقع أن يكون مقداما وأن يضرب بقوة ويناور باتجاه جناحى عدوه وسيكون النصر حليفه.

مرة أخرى يبدو نابوليون متأثرا بخبراته الشخصية وتحديدا فى الحملة الروسية حيث وقف نفس الموقف بالتحديد فى معركة بيريزينا وبيريزينا Berezina هو أحد الأنهار فى روسيا البيضاء وهو من روافد نهر الدنيبر Dnieper وقد عانى الجيش الكبير من خسائر فادحة تقدر بستة وثلاثين ألفا من القتلى فى المعركة التى دارت عند مدينة بيريزينا والتى تقع على

ذلك النهر فى عام ١٨١٢ فى المعركة التى تحمل نفس الاسم وكان الجيش الفرنسى قد تمزق فى معركة كراسنوى Krasnoi قبل تلك المعركة بأسبوعين وكانت القوات الروسية بقيادة كوتوزوف Kutuzov تطارد القوات الفرنسية فى محاولة لتدمير الجيش الفرنسى بالكامل وكان لدى الروس فى بيريزينا ٦١ ألفا من القوات بينما تتقدم قوات كوتوزوف على بعد عدة أميال وكان قوامها ٥٤ ألفا من الجنود بينما كانت قوات نابوليون القادرة على القتال أربعين ألفا إضافة إلى أربعين ألفا من الوحدات المساعدة الغير قتالية وكانت خطة نابويون أن يعبر نهر بيريزينا وينتقل بقواته إلى بولندا وكان الممر المائى المتجمد قد أخذ فى الذوبان وأصبح عبوره مستحيلا علاوة على أن الجسر الذى كان يعبر النهر قد تم تدميره من قبل الروس ولحسن حظ الفرنسيين كان قائد قوات المهندسين قد احتفظ ببعض العتاد الضرورى بعد أن كانت المعدات التى سيتم بناء الجسر بها كلها قد دمرت فى معركة سابقة ولكن بالأدوات التى يمتلكها الآن لم يكن يحتاج إلا لحماية من القوات الروسية ليتم بناء الجسر وكانت الخطة أن تقوم بعض القوات الفرنسية باستدراج القوات الروسية بعيدا عن مكان إقامة الجسر وبالفعل نجحت الخطة وبدأ المهندسون فى العمل بسرعة لإتمام مد الجسر الذى يبلغ طوله مائة متر لعبور القوات وسرعان ما عبرته قوات الفرسان وتبعتها قوات المشاة لتتمسك برأس الجسر بينما عانت قوات حرس المؤخرة من خسائر رهيبة ولم يبق من التشكيلات الفرنسية التى استخدمت لاستدراج القوات الروسية بعيدا عن موقع بناء الجسر وكانت أربعة أفواج سوى ثلاث مائة جندى.

المبدأ العسكرى ٢٦

إنه لخرق لمبدأ سليم أن تجعل الفيالق تعمل منفصلة بدون اتصالات مع بعضها البعض فى وجه جيش مركز جيدا ويمتلك خطوط اتصالات سهلة.

المبدأ العسكرى ٢٧

عندما يتم دفعك خارج موقعك الأول فإن النقطة التى تتجه إليها طوابيرك يجب أن تكون بعيدة جدا فى المؤخرة بحيث لا يستطيع العدو أن يصل إلى هناك قبلها وستكون كارثة الكوارث أن تتم مهاجمة طوابيرك واحدا واحدا قبل أن تتحد.

أحد المزايا الكبيرة التى يوفرها تجميع القوات فى نقطة بعيدة عن ميدان القتال أو الموقع الذى كانت القوات تحتله كما يقول الجنرال بورنو Burnod هو أن العدو يبقى غير مدرك للاتجاه الذى ستسلكه القوات فإذا ما قسم قواته للمطاردة فسوف يخاطر هو نفسه برؤية قواته المتفرقة تضرب الواحدة تلو الأخرى فى حين تكون معزولة عن بعضها البعض إذا ما قامت القوات بالتجمع ووضعت نفسها بين طوابير العدو وقامت بضربها وتشتيتها وهذا شبيه بالمناورة التى قام بها الجنرال ميلا Melas فى حملة عام ١٧٩٩ فى إيطاليا والتى انتصر بها فى معركة جينولا Genola وكان الجنرال ميلا قائد الجيش الفرنسى يسعى لقطع اتصالات الجيش النمساوى مع تورينو Turino عن طريق العمل بفيلق يعمل منفصلا بحيث يهاجمهم عند المؤخرة وبدأ ميلا فى تنفيذ مناورة التراجع بالقوات حتى يظن خصمه أنه يقوم بانسحاب كامل بينما كان يهدف من

ذلك إلى تركيز قواته فى نقطة تجميع بحيث يحصل على التفوق العددى وكانت نتيجة هذه المناورة أن تحرك الجنرال النمساوى مندفعا بقواته وما لبث الفرنسيون أن هزموهم مستغلين تفوقهم العددى

المبدأ العسكرى ٢٨

يجب ألا تقوم بفصل أى جزء من قواتك فى اليوم السابق على المعركة لأنه فى أثناء الليل يمكن أن تتغير حالة الأشياء سواء عن طريق انسحاب العدو أو عن طريق وصول تعزيزات قوية والتى قد تضعه فى حالة (تمكنه من) استئناف الهجوم وأن يجعل من الأوضاع الأولية التى قمت بترتيبها عديمة الفائدة.

فى عام ١٧٩٦ نفذ جيشا سانبر وموز Sanbre- Meuse بقيادة الجنرال جوردان Jourdan انسحابا صعبا حيث كان قد فقد خط مواصلاته فعندما رأى جوردان قوات الأرشيدوق شارل مشتتة قرر أن يفتح طريق فورتسبورج Wurtzburg لتنفيذ انسحابه إلى فرانكفورت حيث كانت هناك فقط فرقتان من الجيش النمساوى وكان يمكن أن يتم تنفيذ هذا التحرك بنجاح إذا لم يكن الجنرال الفرنسى الذى اعتقد أنه ليس لديه سوى فرقتين جاهزتين للقتال قد ارتكب خطأ ترك فرقة لوفيبور Lefebure والتى تركها فى شفاينفورت Schweinfurt لتغطية الاتصال الوحيد المباشر للجيش مع قاعدة عمليات وهذا الخطأ الأول مع قليل من التساهل أثناء السير ضمنا النصر للأرشيدوق والذى ركز قواته فوصلت إليه الفرقتان كراى Kray وفارتينسليبن Wartensleben ليصل مجموع جيشه إلى خمسين ألفا مقابل ثلاثين ألفا هو عدد القوات الفرنسة والذى

تمت هزيمته وأجبر على الانسحاب إلى جبال فولد Fulde حيث كانت الطرق وعرة جدا وكانت فرقة لوفيبور والتى كان عدد قواتها أربعة عشر ألفا تقريبا من الممكن أن تجعل ميزان القتال يميل لصالح الجنرال جوردان

المبدأ العسكرى ٢٩

عندما تفكر فى بدء معركة فالقاعدة العامة أن تجمع كل قوتك وألا تترك أيا منها معطلا فأحيانا تقرر كتيبة واحدة سير يوم من المعارك.

يتحدث نابوليون هنا عن مبدأ تركيز القوات والفقرة من حيث المبدأ سليمة إلا أنها تتجاهل المبدأ العسكرى السليم الذى تناوله نابوليون نفسه وهو ترك احتياطى ليعاون القوات فى أية لحظة حرجة من لحظات المعركة

المبدأ العسكرى ٣٠

لا شىء أكثر طيشا أو أشد تعارضا مع مبادئ الحرب أكثر من السير الجانبى فى وجود جيش متخذا مواقعه وخصوصا إذا ما كان ذلك الجيش يحتل مرتفعات يجب عليك أن تسير (بجيشك) عبر سفوحها.

فى حالة المناورة بالقوات عن طريق السير الجانبى لا بد أن يتم ذلك بعيدا عن تجمعات قوات العدو المستعدة للتحرك وفى حالة الضرورة لا بد أن يتم ذلك بحذر شديد مع توفير الحراسة اللازمة ضد أى هجوم يقوم به

العدو والسير الجانبى معناه أن يستدير الجيش كله باتجاه أحد جناحيه فيصبح الجناح مقدمة والجناح الآخر مؤخرة ويبقى القلب فى مكانه وهى مناورة خطرة يفقد الجيش أثناءها قدرته على المناورة فإذا تعرض لهجوم من الأجناب يستغرق الجيش وقتا حتى يستدير ثانية ويواجه الهجوم ومن المشكوك فيه أن يتمكن الجيش ساعتها من استيعاب الهجوم وبسبب تنفيذ هذه المناورة التى يصفها الجنرال بورنو بالحمقاء خسر الفرنسيون ستة آلاف من الرجال أمام الجيش البروسى فى معركة روسباخ Rosbach عندما بلغ الإهمال مبلغه من سوبيز Soubise قائد الجيش الفرنسى وقام بتنفيذ هذه المناورة وهى السير بالأجناب Falnk March فى وجود قوات معادية بدون أن يوفر التأمين اللازم لتحرك القوات من حرس أمامى أو حرس جانبى ولم يكن لدى الجيش البروسى سوى ستة كتائب وثلاثين سرية فهجم على الفور على الجيش الفرنسى وهزمه مكبدا إياه ستة آلاف من القتلى وأسر عددا كبيرا من قطع المدفعية

المبدأ العسكرى ٣١

عندما تنوى أن تشتبك فى معركة فاصلة فعليك أن تستفيد من كل فرص النجاح وخصوصا إذا ما كنت تواجه قائدا كبيرا لأنه إن هزمت وحتى إن كنت فى وسط مخازنك وقريبا من مواقعك المحصنة فالويل للمهزوم.

المبدأ العسكرى ٣٢

إن دور الحرس المتقدم ليس التقدم أو التراجع بل المناورة وينبغى أن يتكون من قوات فرسان خفيفة يدعمها احتياطى من الفرسان الثقيلة وكتائب من المشاة مع المدفعية لدعمهم جميعا وينبغى أن يتكون الحرس الأمامى من قوات متطوعة ويجب على جنرالات وضباط وجنود كل حسب متطلبات رتبته أن يكونوا على علم تام بالتكتيكات الخاصة فى هذا النوع من الخدمة العسكرية وإذا ما كانت هناك سرية غير مدربة فإنها ستكون فقط مصدر إزعاج.

المبدأ العسكرى ٣٣

إنه لمما يخالف ما استقرت عليه قواعد الحرب أن تجعل قوافلك أو مدفعيتك الثقيلة تدخل شعبا جبليا عندما لا تكون نهايته فى الناحية الأخرى تحت سيطرتك لأنه فى حالة الانسحاب سوف تكون عبئا عليك وسوف تفقدها ويجب أن يتم تركها فى مواقع تحت حماية مناسبة حتى تكون قد أتممت سيطرتك على الشعب الجبلى بالكامل.

المبدأ العسكرى ٣٤

ينبغى أن تتبنى كمبدأ عسكرى ألا تسمح أبدا (بوجود) فراغات يتمكن العدو عبرها من اختراق الفيالق المختلفة التى تشكل خط المواجهة الخاص بك إلا لو كنت قد نصبت فخا يكون غرضك منه أن تجتذبه.

لا يتعلق الأمر هنا فقط بالفراغات فقد يتمكن القائد من ملئها بقوات مدافعة مهما كان حجمها ولكن يرتبط الأمر هنا أيضا بمسألة الاحتياطى الذى ينبغى على القائد الاحتفاظ به ليدعم أية نقطة ضعيفة قد تتعرض للهجوم وهو أمر حيوى لا غنى عنه والتخلى عن ذلك قد يعنى كارثة كما حدث فى عام ١٩٧٣ بعد أن شنت القوات المصرية هجومها بنجاح واستمر النجاح فى الأيام الأولى للحرب حتى تقرر تطوير الهجوم والدفع بالقوات التى كانت تمثل جزءا من الاحتياطى الإستراتيجى للقيام بعملية التطوير فبدءا من يوم الرابع عشر من اكتوبر من عام ١٩٧٣ لم يعد هناك فى منطقة غرب قناة السويس سوى لواء مدرع واحد هو الوحيد الذى لم يتم الدفع به إلى الغرب بعد أن تم الدفع بالفرقتين ٢١ والفرقة الرابعة المدرعتين واللتان كانتا تحميان ظهور الجيشين الثانى والثالث على التوالى وتعملان كاحتياطى فى حالة قرر العدو اختراق خطوط القوات المصرية ثم قامت طائرة استطلاع امريكية من طراز SR-71-A[50] باستطلاع

---

[50] هى طائرة استطلاع إستراتيجى أمريكية من إنتاج شركة لوكهيد وتطير هذه الطائرة بسرعة ٣ ماخ فى الساعة على ارتفاع ٢٦٠ كيلو مترا ويمكنها تصوير مساحة مائة ألف كيلو متر فى الساعة وقد دخلت الخدمة فى الولايات المتحدة عام ١٩٤٦ نظرا للسرعة العالية التى تطير بها فقد تطلب الأمر تغطية هيكلها الخارجى بسبيكة من

منطقة الجبهة مرتين فى الثالث عشر والخامس عشر من أكتوبر وبعد أن تأكد العدو من خلو منطقة غرب القناة تقريبا من الاحتياطيات أصبحت الفرصة مواتية تماما أمامه لاختراق المفصل بين الجيشين الثانى والثالث عند منطقة الدفرسوار لينفذ عملية الاختراق التى عرفت بعد ذلك باسم الثغرة.

المبدأ العسكرى ٣٥

يجب أن يتم وضع معسكرات الجيش الواحد بحيث يمكنها دعم بعضها البعض.

المبدأ العسكرى ٣٦

عندما يكون جيش معاد محميا بنهر وله عدد من رؤوس الجسور فلا ينبغى أن تقترب منه من المقدمة لأنك إن فعلت ذلك فإن قواتك ستكون مركزة بشكل قليل جدا وستكون (عرضة) لخطر أن يتم كسرها إلى اجزاء موزعة وإذا ما كان على العدو أن ينطلق من أحد رؤوس الجسور فعليك أن تقترب من النهر الذى تنوى عبوره فى شكل طوابير موزعة على صفوف بحيث يكون هناك فقط طابور واحد (الطابور الذى فى الأمام) والذى يستطيع

معدن التيتانيوم لتستطيع تحمل درجات الحرارة العالية الناشئة عن الاحتكاك وكانت شركة لوكهيد تستورد التيتانيوم من الاتحاد السوفييتى بدون أن يعلم هذا الأخير بأنه يستخدم لصنع تلك الطائرة والطائرة مطلية باللون الأسود وهو ما أعطاها اسمها الطائر الأسود Blackbird وعملت هذه الطائرة فى فييتنام وفى منطقة الشرق الأوسط أثناء حرب اكتوبر ١٩٧٣

العدو مهاجمته بدون أن يكشف جناحه وفى أثناء ذلك فإن القوات الخفيفة سوف تشكل خطا على الضفة وعندما تكون ركزت على النقطة التى ستعبر منها فعليك أن تسارع إليها وان تقيم جسرك عبرها وينبغى دائما أن تحترس من أن يكون الجسر بعيدا عن الصف المتقدم لتخدع العدو.

المبدأ العسكرى ٣٧

فى اللحظة التى تسيطر فيها على الموقع الذى يتحكم فى الضفة المقابلة فإن عملية عبور النهر تصبح أكثر يسرا بالنسبة لك وخصوصا إذا ما كان ذلك الموقع يمتلك امتدادا كافيا يسمح لك بتوزيع عدد كبير من قطع المدفعية عليه وتقل هذه الميزة إذا كان اتساع النهر أقل من ست مائة ياردة حيث لن تعد الدانة قادرة على الوصول إلى الضفة الأخرى ونتيجة لذلك فإن القوات التى تمنع عبورك تستطيع بسهولة باستخدام الإجراءات المناسبة أن تجعل نيرانك غير ذات تأثير وعلى ذلك فإذا هاجم رماة القنابل المكلفين بعبور النهر لحماية الجسر فإن طلقة مدفعية واحدة من العدو سوف تكتسحهم حيث إن بطارياتهم متمركزة على بعد أربعمائة ياردة من نهاية الجسر ولذا فهى قريبة بشكل كاف لتصب نيرانا شديدة التدمير على الرغم من أنها تقع على مسافة أكثر من ألف ياردة من الجيش الذى يسعى للعبور وبناءا على ذلك فلديه كل المزايا لعمل المدفعية لذا فإن العبور فى هذه الحالة غير عملى لذا فعليك إما أن تحتال للامر بأن تأخذ العدو بالمفاجأة أو أن تتم حمايتك عن طريق جزيرة ما أو أن تستفيد من جزيرة ذات ثنيات

عميقة أو لسان يمكنك من نصب بطاريات يتداخل مداها النيرانى مع نيرانهم فى نقطة أبعد من النقطة التى سيتم فيها الإنزال وتمثل تلك الجزر أو النتوءات رأس جسر طبيعى وتعطى ميزة للمدفعية للجيش المهاجم.

وعندما يكون اتساع النهر أقل من مائة وعشرين ياردة ويمكنك السيطرة على الضفة المقابلة فإن القوات التى يتم الدفع بها إلى الجانب الآخر تمتلك تلك المزايا من الحماية التى توفرها المدفعية بحيث مهما كان صغر حجم النتوءات التى تتشكل فى النهر فانه يستحيل على العدو منع نصب الجسر وفى هذه الظروف فإن الجنرالات الأكثر براعة وعندما يكونون قادرين على التنبؤ بخطط اعدائهم ويصلون بجيشهم إلى النقطة التى يقوم (أى العدو) فيها بالمحاولة ويتصارعون فيها على عبور الجسر والجسر فى حقيقة الأمر كالشعب الجبلى يجب أن تضع قواتك على شكل نصف دائرة حول نهايته وتتخذ إجراءات لستر نفسك على مسافة ست مائة أو ثمان مائة ياردة من النيران الآتية من الضفة الأخرى.

المبدأ العسكرى ٣٨

من الصعب منع عدو مزود بمعدات إقامة الجسور من عبور نهر عندما يكون هدف الجيش الذى يعترض العبور هو تغطية حصار ،فينبغى على الجنرال الذى يتولى القيادة بمجرد أن يتيقن من أنه لن يتمكن من اعتراض العبور بنجاح أن يتخذ الإجراءات ليصل قبل العدو إلى موقع يقع بين النهر والمكان الذى يغطيه حصاره.

المبدأ العسكرى ٣٩

فى الحملة التى دارت فى عام ١٦٤٥ تم تطويق قوات تورين Turenne أمام فيليبسبورج Philipsburgh من قبل جيش كبير العدد ولم يكن هناك جسر على الراين ولكن تورين استفاد من الأرض الواقعة بين النهر والمكان لإقامة معسكره عليها وينبغى أن يمثل هذا عبرة لضباط سلاح المهندسين ليس فقط فيما يخص إقامة رؤوس الجسور بل وكذلك الأماكن الحصينة وينبغى أن يترك بين القلعة والنهر مكان يتم فيه حشد الجيش وتشكيله حيث إن مدخل القوات إلى المكان نفسه سوف يعرضه للخطر، فالجيش الذى يتم مطاردته ويتراجع باتجاه مايانس Mayence يجب بالضرورة أن يتخذ الحذر حيث إنه سيستغرق أكثر من يوم لعبور الجسر والتجهيزات المحيطة بكاسيل Cassel اصغر من أن تقوم باحتواء جيش دون ازدحام وارتباك ويجب أن يتم ترك أربعمائة ياردة بين التجهيزات والراين ومن الضرورى أن يتم انشاء رؤوس الجسور على الأنهار الكبيرة بهذه الطريقة والا فستكون ذات نفع قليل فى حماية عبور الجيش أثناء الانسحاب ورؤوس الجسور كما يتم تدريسها فى المدارس (العسكرية) تصلح فقط أمام الأنهار الصغيرة حيث لا تكون الصفوف طويلة.

المبدأ ٤٠

إن القلاع مفيدة فى الحرب الهجومية كما هى فى الحرب الدفاعية وبلا شك فلا يمكنها بذاتها وقف تقدم جيش ولكنها وسائل ممتازة لتعطيل وعرقلة وإضعاف وإزعاج جيش منتصر.

عن القلاع واستخدامها فى الحروب يقول ماكيافيللى فى كتابه فى فن الحرب " عليك أن تعلم أن المدن والقلاع يمكن أن تكون قوية سواء بطبيعتها أو بفعل الإنسان وتلك القوية بطبيعتها هى المحاطة بالأنهار أو المستنقعات مثل مانتوا Mantua أو فيرارا Ferrara أو تلك التى تقع على صخرة أو جبل منحدر مثل موناكو Monaco وسان ليو San Leo وتلك الواقعة على جبل لا يصعب تسلقها فهى اليوم ضعيفة جدا (بالنظر إلى الكهوف والمدفعية) ونتيجة لذلك فغالبا ما يتم البحث عن مسطح من الأرض لبناء القلعة عليه لتقويتها عن طريق الصنعة وأول أمر يستخدم لذلك هو جعل الأسوار ملتوية ومليئة بالكوات المنثنية وهو نموذج (تصميم) ينتج عنه ألا يكون العدو قادرا على الاقتراب منها حيث إنها ستكون قادرة على الهجوم ليس فقط من المقدمة ولكن من الأجناب " وقد سبق ذكر القلاع البلجيكية وتسليحها وأطقمها وقوتها النيرانية وأطقمها عند الحديث عن المواقع الدفاعية الجيدة فى المبدأ ١٧ ولا ريب أن القلاع كانت تمثل فى الحروب القديمة مواقع دفاعية ممتازة قبل ظهور الطائرات كسلاح قاذف قادر على تخطى تلك المواقع وقصفها وتدميرها وشبكة القلاع التى كانت تحيط بمدينة لييج البلجيكية تمثل مثالا جيدا على استخدام القلاع فى الحرب الدفاعية

القلاع البلجيكية

عقب انتهاء الحرب الفرنسية البروسية بين عامى ١٨٧٠ و ١٨٧١ أدركت بلجيكا مدى ضعف جيشها فى مواجهة أى غزو أجنبى وخصوصاً من جانب فرنسا أو ألمانيا وفى عام ١٨٨٠ أسند الملك ليوبولد الثانى إلى المهندس البلجيكى الجنرال هنرى بريالمون Henri Prialmon مهمة وضع خطة للدفاع عن البلاد وكان الناتج النهائى هو بناء سلسلة من اثنى عشرة قلعة حول ليبج وتسعة قلاع أخرى حول نامور Namur والتى تعترض الطرق التى ستسلكها أى قوات تقوم مستقبلا بغزو بلجيكا وتم التخطيط لبناء قلاع إضافية عند انتورب Antwerpe لتدعيم تلك القلاع التى كانت مبنية بالفعل هناك كرد فعل للتهديد الذى مثلته قوات نابوليون الثالث فى عام ١٨٥٩ وبحلول عام ١٨٩٠ كان بناء القلاع قد اكتمل وشعر البلجيكيون بأنهم آمنون داخل ثلاثة سلاسل من القلاع الكبيرة وكانت القلاع مسلحة بشكل جيد مثل مدافع سريعة الطلقات من عيار ٥٧ ملم ومدافع ١٥٠ ملم وهاوتزرات عيار ٢١٠ ملم وكانت المدافع والهاوتزرات الأثقل عيارا يتم وضعها فى قباب مسلحة بالدروع ومصممة لحمايتها من من نيران الدانات شديدة الانفجار وكان مسئولا عن الدفاع عن القلاع الكبيرة طاقم قوامه خمس مائة جندى بما فيهم جنود المشاة المسلحين بالرشاشات بالإضافة إلى الرشاشات التى كانت مركبة على الأبراج وكانت تدور على محورها ٣٦٠ درجة وكان يمكن رفع أبراج المدافع من عيار ٥٧ ملم لإطلاق النار وفى المجموع كان بكل قلعة عدد ٨ قطعة مدفعية علاوة على ذلك كانت مناطق التغطية النيرانية الخاصة بكل قلعة تتداخل مع منطقة التغطية الخاصة بالقلعة المجاورة وقد تم تصميمها بحيث إذا هوجمت إحدى القلاع تستطيع القلعتان المجاورتان توفير الدعم المدفعى فقد كانت تفصل بين كل منها مسافة أربعة كيلو مترات تقريبا وكانت القلاع تتخذ الشكل المثلث أو المربع ويحيط بها خندق وشبكة من

الأسلاك الشائكة بالإضافة إلى تسليحها من المدفعية بأعيرة مختلفة وكان بتلك القلاع مخازن للذخيرة ومبيتات للجنود تتسع لخمس مائة جندى هم كل الطاقم الدفاعى للقلعة بالإضافة إلى محركات كهربائية للإنارة ولكن لم تكن القلاع تتصل ببعضها البعض عن طريق أسلاك التلفون أو التلغراف

عيوب التصميم

كانت تصميم القلاع وتوزيعها الجغرافى يشوبه عيوب خطيرة وخصوصا عند تحسن المركبات الكيماوية للمتفجرات وصناعة المعادن الخاصة بالدانات:

أولا : كانت الأبراج ضعيفة وخصوصا عندما تكون فى موقع مرتفع وعلاوة على ذلك فإن الشكل المثلث ومتعدد الأضلاع للقلاع والخنادق الجافة المحيطة بها كان يساعد على تركيز نيران المدفعية الثقيلة على مراكز القلاع الأمر الذى زاد من هشاشتها وكان الدمار الذى تحدثه دانة مدفع ألمانية واحدة فى قلعة لانسين Lancine كبيرة.

ثانيا: وكانت الطريقة التى يتبعها البلجيكيون لصب الخرسانة خطأ آخر فكان يتم صب الخرسانة فى طبقتين الأمر الذى قلل من مقاومتها وتؤكد بعض المصادر أن خليط الخرسانة البلجيكية كان من جودة أقل من نظيره الفرنسي التى كان سائدا فى ذلك الوقت وثبت عدم كفاية الأمتار الثلاثة من الخرسانة التى كان ينادى بها البلجيكيون وأثبت التصميم البلجيكى أنه غير كافى وكذلك لم يكن البلجيكيون يستخدمون الحديد المسلح وبخلاف القلاع الفرنسية لم تخضع القلاع البلجيكية لعملية تحديث لتواكب التطورات الجديدة فى المدفعية منذ عام ١٨٩٠ إلى عام ١٩١٤ .

ثالثا: فإنه من الناحية التكتيكية لم يكن للقلاع بين نامور ولييج طريق للربط بينها ولدعم بعضها البعض ولم يكن هناك موقع وسيط قد تم بناؤه بينهما ولم تكن القلاع فى لييج تقع فى مواقع تمكنها من دعم بعضها

البعض.

كان وجود تلك القلاع هو أحد أكبر العوامل والتى بالطبع تضافرت مع أسباب أخرى تراكمت لتصنع هزيمة الألمان فيما بعد ويشير بعض المؤرخين العسكريين إلى أن الأيام العشرة التى تمكنت فيها ليبج من الصمود أمام القوات الألمانية قد تسببت فى نسف الجداول الزمنية لخطة شليفن الألمانية.

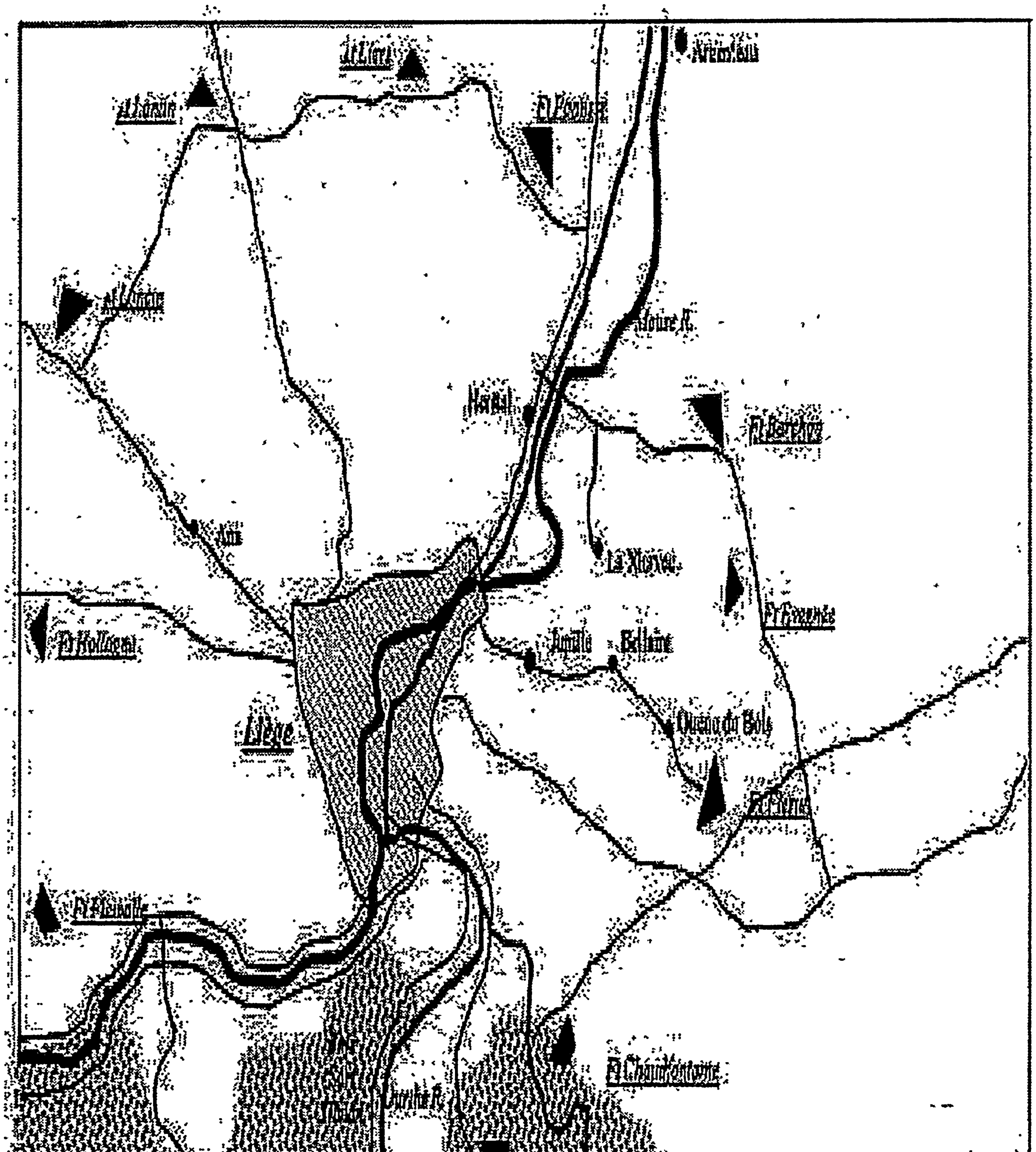
وفى هذا الصدد لا بد أن نذكر أن فتح القسطنطينية قد تأخر عدة قرون لأن المسلمين كانوا يقابلون بأسوارها المنيعة فى وقت لم تكن فيه المدفعية قد ظهرت للوجود بعد حتى تمكن محمد الفاتح من دك الأسوار بالمدافع العملاقة التى صنعها له المهندس المجرى أوربان Orban وتجدر الإشارة إلى أنه قبل منتصف القرن الرابع عشر الميلادى لم تكن المدفعية فى الجيوش فى مختلف أنحاء العالم آنذاك قادرة على دك أسوار القلاع وكانت المدفعية الفرنسية والبريطانية هى الأفضل فى أوربا ولولا أن المدفع كان يستغرق ثلاث ساعات لتعبئته بالذخيرة[51] لكانت القسطنطينية قد فتحت برا وليس بحرا.

وكذلك تستخدم القلاع كما تستخدم الموانع الطبيعية أو الصناعية فى الهجوم حيث يمكن أن يتم توظيفها لحماية أجناب القوات التى تقوم بالتقدم وتستخدم الآن الموانع الصناعية أو الطبيعية فى حالة الهجوم وأحيانا يتم

---

[51] كان المدفع الضخم الذى استخدمه السلطان محمد الفاتح لحصار القسطنطينية من الجانب الغير محاط بالمياه والذى بناه له المهندس المجرى أوربان Orban قادر على إطلاق قذيفة تزن حوالى نصف طن لمسافة حوالى كيلومتر ونصف وكان أضخم انجاز هندسى عسكرى فى ذلك الوقت إلا أنه قد شابته بعض العيوب التى قللت من تأثيره على أسوار المدينة ومن ضمنها عدم الدقة وكذلك أنه كان يستغرق ثلاث ساعات كاملة لإعادة تعبئته بالذخيرة الأمر الذى مكن المدافعين عن القسطنطينية من إصلاح آثار التدمير الذى كانت تحدثه طلقاته فى الاسوار

ذلك خلف خطوط العدو للتعطيل والتشتيت وإزعاج تحركات القوات خصوصا عندما تكون قوات العدو فى حالة انسحاب فيتم غلق المسافات الواسعة بين الوحدات المشتتة بحجم سرية أو بحجم أكبر ويتم غلق تلك المسافات بالموانع وكذلك بالنيران



خريطة تبين توزيع القلاع حول مدينة لييج البلجيكية

المبدأ العسكرى ٤١

هناك طريقتين فقط لمواصلة الحصار بنجاح الطريقة الأولى هى ضرب الجيش المعادى الذى يستخدم لتغطية المكان لدفعه من ميدان العمليات وإجبار بقاياه على البقاء خلف بعض الموانع الطبيعية مثل سلسلة جبال أو نهر كبير وعند التغلب على هذه الصعوبة الأولى فيجب عليك أن تضع جيشا للمراقبة خلف هذا المانع الطبيعى حتى تنتهى أعمال الحصار ويتم الاستيلاء على المكان ولكن إذا رغبت فى الاستيلاء على المكان الذى يواجه الجيش الذى أتى لتخفيف الضغط بدون المخاطرة بالدخول فى معركة فعليك أن تكون مجهزا بمعدات الحصار والذخيرة والمؤن الكافية للوقت الذى تتوقع خلاله أن يستمر الحصار ويجب عليك أن تشكل خطوطا من المتاريس والتحصينات التى تحيط بالمكان وبهذا تحول خصوصيات المكان مثل الأرض والمرتفعات والغابات والمستنقعات والخلجان إلى افضل استغلال ممكن[52] وحيث إنه لا توجد أية ضرورة للاحتفاظ باتصال مع مستودعاتك فعليك فقط أن

---

[52] إن أفضل الموانع الطبيعية هى الموانع التى يتوافر فيها شرط سهولة تحويلها إلى موانع أكثر كفاءة وقوة وبأقل المجهودات والمواد وفى اقصر وقت ممكن والتى يمكنها ستر القوات عن أعين الاستطلاع المعادى وهى نقاط يمكن فيها لنقاط الملاحظة والمواقع النيرانية الدفاعية ان تمنع العدو من الاختراق وتتميز بصعوبة اجتيازها وأفضل الموانع الطبيعية ضد الدبابات على سبيل المثال هى المنحدرات شديدة الانحدار والمستنقعات الغير متجمدة والمجارى المائية الواسعة العميقة وحقول الأرز والمساحات المليئة باللافا الناتجة عن النشاط البركانى والمواقع الشبيهة ومن الأفضل دائما توفير الوقت فى تحويل الموانع الطبيعية إلى موانع قوية بدلا من إهدار الوقت فى تشييد موانع صناعية لتؤدى نفس الغرض

تحتفظ بالجيش الذى أتى لتخفيف الضغط تحت الهجوم ولهذا الهدف يجب عليك أن تشكل جيشا للمراقبة والذى لا يجب أبدا أن يضيع الجيش من نظره والذى قد يكون لديه الوقت دائما للتراجع إلى مؤخرته أو أجنابه بينما تسد أمامه كل طرق الاقتراب من المكان إذا ما أراد الاقتراب منك سرا وعن طريق الاستفادة من خطوط متاريسك يمكنك توظيف جزء من القوات المحاصرة فى شن قتال مع الجيش الذى أتى لتخفيف الضغط إذا فالحصار فى وجود جيش معاد يتطلب ان تتم تغطية الخطوط بالمتاريس وإذا ما كان جيشك قويا بحيث يتمكن من ترك حامية رباعية أمام المكان بحيث يمكنه أن يكون بنفس حجم الذى أتى لتخفيف الضغط فيمكنه التحرك لمسافة أكبر من مسيرة يوم واحدة وإذا ما أرسلت جزءا منه وكان ما يزال أقل من الذى أتى لتخفيف الضغط فينبغى أن يتم إرساله على مسيرة يوم واحد قصير من المكان المحاصر بحيث تتمتع بالحرية فى التراجع إلى الخطوط الخلفية أو تتلقى النجدة فى حالة ما تتم مهاجمتك إذا ما اتصل جيشى الحصار والمراقبة وتساويا مع حجم الذى أتى لتخفيف الضغط فانه يجب على الجيش الذى يقوم بالحصار أن يبقى مجتمعا أو قرب خطوطه وأن يتم توظيفه فى دفع الحصار بكل الطرق الممكنة.

المبدأ العسكرى ٤٢

لقد قال فوكيير Feuquieres: إنه لا يجب عليك أبدا أن تنتظر العدو خلف خطوط متاريسك ولكن يجب عليك أن تخرج وتهاجمه وهذا مبدأ خاطئ فليس هناك قاعدة مطلقة فى الحرب بدون أن تسمح باستثناءات ولا يجب النظر إلى أنتظار العدو خلف خطوط المتاريس على أنه عمل طائش فى كل الأحوال.

لا شك أن بونابرت محق فى قوله هذا فليس التحصن وراء القلاع عمل أحمق على الدوام ففى الحرب العالمية الأولى وبعد أن فشلت الخطة الألمانية فى تحقيق أهدافها وفقدت ألمانيا كل أمل لها فى الانتصار فى الحرب رأى رئيس الأركان الألمانى الجنرال اريش فون فالكنهاين Erich Von Falkenhayn أنه يمكن هزيمة فرنسا إذا ما تمت مهاجمتها عند موقع لا يمكنها الانسحاب منه واختيرت مدينة فردان Verdun نظرا لموقعها الإستراتيجى حيث تتحكم فى الطريق إلى باريس وكانت تلك المدينة تلعب دورا إستراتيجيا هاما فى الدفاع عن فرنسا طيلة قرون وذلك نظرا لموقع المدينة الإستراتيجى على نهر الموز فلعبت فردان دورا مهما فى الخط الدفاعى الذى تم إنشاؤه بعد أن انتهت الحرب الفرنسية البروسية فى عام ١٨٧٠ ولحماية فرنسا ضد التهديدات الألمانية بطول الحدود الشرقية تم انشاء خط قوى من التحصينات بين فردان وتول وبين أبينال وبلفور وكانت فردان تحرس المدخل الشمالى لسهول شامبانى وبذلك تحمى الطريق إلى العاصمة الفرنسية باريس وفى صيف عام ١٩١٤ وخلال الغزو الألمانى لفرنسا وأثناء معركة المارن صمدت مدينة فردان فى وجه الغزو الألمانى بل إن بعض التحصينات بالمدينة صمدت فى وجه

القصف المدفعى الألمانى الذى كانت تقوم به مدافع بيرتا[53] العملاقة وكانت

---

[53] قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى انتج الألمان مدفعا ثقيلا حتى تتمكن قواتهم من تدمير القلاع البلجيكية والفرنسية لتحقق عنصر السرعة فى احتلال بلجيكا وقد طورت ذلك المدفع مصانع كروب Kropp الألمانية الشهيرة التى تخصصت فى مجال صناعة السلاح وكان يسمى مدفع برتا Bertha على اسم زوجة مالك المصنع كروب الذى قام بتصنيع ذلك المدفع وكان الحلفاء يسمونه مدفع " برتا الكبير " وكانوا يطلقون ذلك الاسم على أى مدفع ألمانى كبير مثل مدافع البوارج التى كان يتم تركيبها على قضبان السكك الحديدية والذى يعرف باسم لانجر ماكس Langer Max وكان ذلك الطراز من المدافع من عيار ٤٢ سم وقد فكر الألمان فى صناعة ذلك المدفع أساسا بعد الدروس التى استفادها الألمان والنمساويون من الحرب اليابانية الروسية بين عامى ١٩٠٤ و١٩٠٥ ففى أثناء تلك الحرب قام اليابانيون بفك عدد من مدافعهم الساحلية الدفاعية من عيار ٢٨ سم واستخدموها للمساعدة فى كسر الحصار حول القاعدة الروسية البحرية المحصنة فى ميناء آرثر Arthur وكان ذلك فى وقته يعد اختراعا حديثا فحتى ذلك الوقت كان الخبراء العسكريون يفترضون ان أكبر مدفعية يمكن نقلها هى من عيار ٢٠ سم غير أن معظم دول أوربا فشلت فى الاستفادة من تلك الدروس اليابانية فيما عدا الألمان والنمساويين وقد طوروا سلسلة من المدافع الثقيلة ذاتية الحركة منها مدفع شلانكه إيما *Schlanke Emma* من عيار ٣٠,٥ سم وباربارا Barbara وجودرون Godron من عيار ٣٨ فى عام ١٩٠٠ وعليه بدأت شركة كروب فى تطوير سلسلة من المدفعيات والهاونات بمدى ما بين ٢٨ سم إلى ٣٠,٥ سم وقد تم استيحاء تصاميمها من خبرات شركة كروب فى تصميم المدفعيات الساحلية *küstenmörser* مثل Beta-Gerät من عيار ٣٠,٥ سم وقد تم تقديم اول نموذج له فى عام ١٨٩٧ وفى عام ١٩٠٨ تم تطوير شكل جديد من نفس المدفع ولكنه أفضل بكثير من سابقه وعندما اختبرته اللجنة المختصة فى الجيش الألمانى وهى لجنة اختبار المدفعية الألمانية التابعة للجيش الألمانى *artillerieprüfungskommission* طلبت من شركة كروب زيادة القدرة الهجومية به حتى يكون قادرا على دك التحصينات الجديدة وبداية بدأت الشركة تبحث إمكانية بناء نموذج من عيار ٣٥ سم ولكن انتهى بها الأمر إلى عيار ٤٢ سم حيث كانت الدانة من ذلك العيار هى أصغر دانة يمكنها حمل شحنة متفجرة للقيام بما طلبته منها اللجنة وكان أول تصميم للمدفعية من عيار ٤٢ سم هو مدفع جاما وهو أساسا طراز معدل من مدفع بيتا وكان مدفع جاما كبيرا وكان محمولا على عربة

كانت توضع على منصة خرسانية استغرق إعدادها أيام وكان ذلك المدفع العملاق يزن مائة وخمسون طنا وكان يتم نقله على مراحل فى عشرة عربات قطار ستة عربات للمدفع وأربعة لقاعدته وكان مدفعا رهيبا حيث كان يطلق دانات تزن ألف ومائة وستين كيلو جراما تقريبا ولكن مجرد نقله كان مشكلة لوجيستية ضخمة بل كابوسا وطلبت لجنة اختبار المدفعية مدفعا أكثر قدرة على الحركة وطلبت اللجنة مدفعا فى يوليو ١٩١٢ ثم طلبت عينة أخرى فى فبراير ١٩١٣ وتم تسليمه فى يونيو ١٩١٤ وكان المدفع الجديد يمكنه الحركة على الطريق على عربة ميدانية كبيرة الحجم وكان يتشابه قليلا مع مدفع جاما بل ويمكن اعتباره سلاحا مختلفا تماما فقد كانت ماسورته أقصر وكان يعتمد على وتد منثن لرفعه وخفضه وكانت الماسورة أخف فى بنائها من سابقتها وعليه فكانت أوزان الدانات التى تستطيع إطلاقها أخف وزنا من السابقة حيث كانت تطلق دانات تزن ثمان مائة وثلاثين كيلو جراما وعندما كان يتم تجميعه بالكامل كان وزنه يبلغ ثلاثة وأربعين طنا فقط ولم يكن يتعين وضعه على قاعدة خرسانية فقد تم تطوير قواعد من الصلب كانت يتم تركيب العجلات عليها وقوس للتنشين فى مؤخرة العربة ولمنع السلاح من الغرز فى الطين عند نقله فقد تم تزويد العربة بسيور للإطارات بأذرع مختلفة لتقوم بتوزيع الحمل وطورت شركة كروب بالتعاون مع شركة ديملر Daimler الشهيرة جرارا لجر المدفع وكان يتم فكه إلى خمسة أجزاء عند نقل المدفع على الطريق وفيما بعد قام مصمم المدفع البروفيسور فريتز راوزنبورجر Fritz Rausenburger بتصميم المدفع الذى عرف فيما بعد باسم مدفع باريس والذى كان يتم استخدامه فى أواخر أيام الحرب لقصف العاصمة الفرنسية وبالنسبة لعدد قطع المدفعية من ذلك الطراز فلم يكن متوفرا منها عند بداية الحرب إلا قطعتان وتم استخدامهما لدك القلاع البلجيكية فى لييج ونامور وانتورب وكذلك القلاع الموجودة فى شمال فرنسا وأثبتت مدافع البرتا أنها فى غاية الكفاءة عند قصف القلاع المبنية قديما مثل القلاع البلجيكية التى تم تصميمها وبناؤها فى ثمانينات القرن التاسع عشر فقد كانت مدفعية البرتا تدمر الكثير منها فى أيام معدودة وكان أكثر النجاحات إبهارا فى قلعة لونسان Loncin عندما دمرتها قذيفة واحدة مباشرة سقطت على مخزن ذخيرتها ونتيجة للنجاحات الأولى المبهرة التى حققتها مدافع البرتا فقد اكتسبت سمعة جيدة على الجانبين فأخذت الصحافة الألمانية تشيد بتلك المدافع وتذكر مزاياها بحماس وسمتها السلاح المعجزة Wunderwaffe ولكنها لم تثبت جدارتها تلك عندما تم استخدامها فيما بعد فى الهجوم على مدينة فردان Verdun الفرنسية فى فبراير من عام ١٩١٦ فكانت كفاءتها

الحامية الخاصة بالمدينة تقبع داخل القلعة التى تم بناؤها فى القرن السابع عشر وبحلول نهاية القرن التاسع عشر تم بناء شبكة من الأنفاق وكان يتم استخدامها كورش ومخازن للذخيرة ومستشفى ومقر للقوات الفرنسية وعلاوة على ذلك كانت المدينة تقع على محور الحلقة الخارجية للتحصينات والتى تم بناؤها خلال عام ١٨٨٠ وقد جعل هذا من المدينة قلعة داخل قلعة ومنطقة محصنة تمتد إلى خارج أسوار المدينة وكانت قلاع فردان من نوعيات وأحجام مختلفة وبذلك تمكنت من توفير الأساس لمقاومة قصف المدفعية الألمانية الثقيلة بأعيرتها المختلفة وكانت القلاع التى تقع إلى الشمال وإلى الشرق من فردان قد تم تقويتها فى اوائل عام ١٩٠٠ باستخدام اسطح خرسانية مسلحة بكثافة شديدة من الحديد الصلب وتم تزويد تلك القلاع بمدافع ميدان اضافية من عيار ٧٥ ملم وتم تركيبها على منصات خرسانية مدعمة تطل على الأجناب حتى تقوم بتوفير نيران الأجناب فى الفواصل بين القلاع وكذلك كان قد تم بناء عدة قلاع فى عام ١٨٨٠ على نفس الخط الدفاعى ولكن إلى الغرب والجنوب من فردان تركت تلك القلاع ولم يطرأ عليها أى تحسين وكان السبب فى ذلك القرر

ضعيفة نوعا حيث كانت جدران القلعة الموجودة فى مدينة فردان مبنية حديثا بالخرسانة المسلحة بالصلب وكان بمقدورها أن تصمد أمام قذائف البرتا الخارقة للدروع ويتراوح عدد مدافع البرتا التى تم إنتاجها أثناء فترة الحرب بين اثنى عشر مدفعا وثمانية عشر حسب بعض المصادر وفيما بعد وأثناء الحرب تم تطوير مواسير البرتا من عيار ٣٠,٥ سم لتتناسب عربات البرتا وتوفر مدى أطول وفى نهاية الحرب تم الاستيلاء على مدفعين من ذلك الطراز وتم نقل أحدهما إلى الولايات المتحدة حيث تم إجراء الاختبارات عليه هناك ثم وضع فى متحف المدفعية التابع للجيش الأمريكى أما المدفع الثانى فلا يعرف مصيره على وجه التحديد وتمكن الألمان من الاحتفاظ بأحد تلك المدافع بعد الحرب وتم بالفعل استخدامه فى معركة سيفاستوبول Sevastopol فى الحرب العالمية الثانية وكذلك استخدم مدفع بيرتا للهجوم على قطاع الراين من خط ماجينو

هو أن الهجوم الألمانى المحتمل كان سيأتى من الشمال والشمال الشرقى وهو افتراض ثبتت صحته إلى حد كبير فيما بعد، قبيل الهجوم الألمانى أصبحت دفاعات المدينة ضعيفة للغاية لان معظم المدفعيات كانت قد اخليت من التحصينات المحلية إلى مناطق أخرى ولكن المخابرات الفرنسية وفرت الإنذار للجيش وكان الفرنسيون على علم بالهجوم الوشيك كذلك تعطل الهجوم الألمانى بسبب سوء الأحوال الجوية الأمر الذى منح الفرنسيين الوقت الكافى فدفعوا بفرقتين إلى منطقة الدفاع وكانت القوة الفرنسية التى تدافع عن المدينة تتكون من أربعة وثلاثين فرقة فى مواجهة اثنين وسبعين فرقة ألمانية وكانت القيادة العليا الألمانية تخطط للهجوم فى الثانى عشر من فبراير غير أن الضباب والأمطار الغزيرة والرياح العاصفة تسببت فى تعطيل الهجوم لمدة أسبوع وبدأت المعركة فعليا فى الحادى والعشرين من فبراير من عام ١٩١٦ بطلقات مدفع بحرى من عيار ٣٨ سم على بعد ٢٠ ميلا من المدينة أطلق أول دفعة من طلقاته على الجسر الذى يعبر نهر موز Meuse وكانت تلك الطلقة التى أخطأت هدفها هى بداية تسع ساعات من القصف المدفعى العنيف الغير مسبوق فى وحشيته على المدينة وقلاعها فقد أطلقت المدفعية الألمانية حوالى مليون قذيفة بما فيها قذائف الغاز أطلقها ألف ومائتان من قطع المدفعية موزعة على جبهة طولها أربعين كيلو مترا وتبع ذلك هجوم من ثلاثة فيالق من الجيش الألمانى وسقطت على غابة كور وحدها ثمانون ألف قذيفة[54] وأدى

[54] بلغ التدمير الذى لحق بمدينة فردان والغابات والقرى المحيطة بها حدا مروعا فمحيت قرى بأكملها من الوجود وسويت بالتراب قرى أخرى وانتشرت الجثث فى الطرقات وفوق الخنادق وأحيانا داخلها وانتشر مرض الطاعون بين الفرنسيين المحاصرين وأصبح من المشاهد العادية أن ترى بعض الفئران تعبث فى جثة ملقاة بإهمال على الطين وقد سجل أحد الطيارين الأمريكيين ذلك الدمار بقوله " منذ شهور كانت هناك إلى الشرق والشمال من فردان حقول واسعة تبعث فى النفس

ذلك إلى تمزق اتصالات الفرنسيين فى المؤخرة وكان المدافعون فى حالة من الذهول لم تسمح لهم بصد أى هجوم كبير ولحسن حظ الفرنسيين كان المخططون الألمان حذرين للغاية مما أدى بهم إلى تقليص عمليات المشاة فى اليوم الأول إلى دوريات قتالية قوية تستخدم تكتيكات الاقتحام للبحث عن النقاط الضعيفة فى الخط الفرنسى ولم يتجاهل تلك الأوامر سوى قائد أحد الفيالق فقام بنشر قوات اقتحام خلف الدوريات القتالية وتمكن فى خمس ساعات من تأمين غابة أومون وفى غابة " كور " اعتمد " دريان " فى دفاعه على النقاط الحصينة بدلا من خطوط الخنادق المستمرة والتى مكنت المدافعين من قوات الشاسور Chasseur[55] من الدفاع عن ذلك الموقع بعناد فى مواجهة القوات الألمانية، واستخدم الألمان قاذفات اللهب للمرة الأولى فى تاريخ الحروب لاخلاء الخنادق الفرنسية وقام الألمان بتوظيف قوات الاقتحام الألمانية الجديدة لقيادة الهجوم وبنادقهم معلقة وكان هذا يحدث لأول مرة فى الحرب العالمية الأولى وكان كل جندى يمسك بقنبلة يدوية فى يده وكانت تلك التكتيكات الصادمة جديدة تماما على الفرنسيين

الطمأنينة وتزين المزارع والقرى ذلك المشهد والآن هناك فقط ذلك النطاق الكئيب بنى اللون، شريط من الطبيعة تم اغتياله إنه يبدو كما لو كان ينتمى لعالم آخر لقد محيت كل علامة على وجود البشر واختفت الغابات والطرق كما يمحى الطباشير من السبورة ولم يتبقى من القرى سوى بقع رمادية اللون لجدران منهارة وتبدو قلعتا دوومون وفو كأثر اصبع خط على رمل مبتل ولا يمكن للمرء ان يميز الفوهات التى صنعتها دانات المدافع وترتفع باستمرار اعمدة من الدخان الملطخ بالطين عندما تمزق القذائف شديدة الانفجار تلك المنطقة وخلال القصف الشديد والهجمات رأيت القذائف تسقط كالامطار وسحابة من الدخان الكثيف تغطى المنطقة تصل إلى ارتفاع ألف قدم ومن حين لآخر تعبر القذائف فى الجو وتشطر الطائرات إلى نصفين."

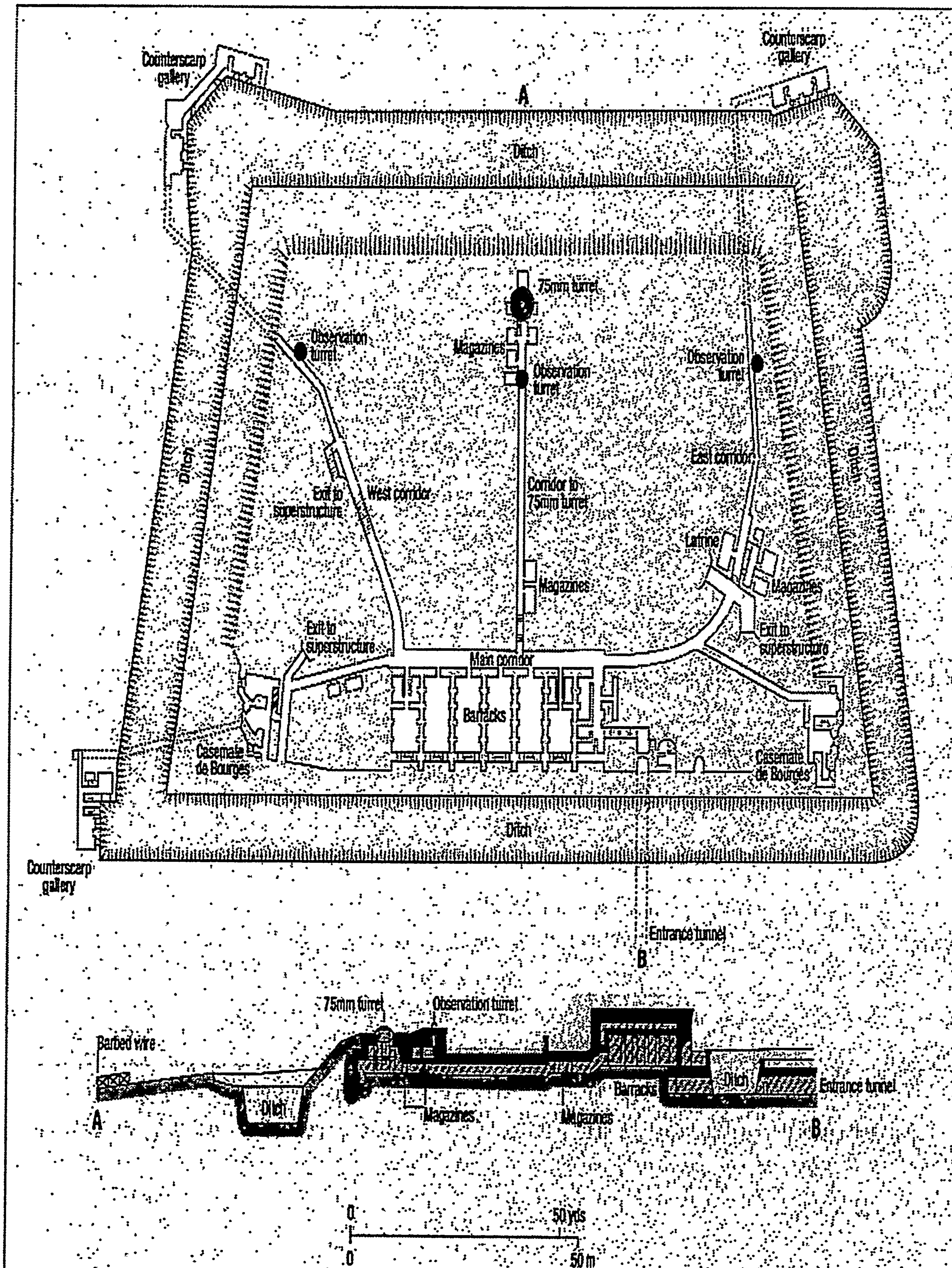
[55] الشاسور تعنى الصياد بالفرنسية وهو اسم كان يطلق على بعض أفواج المشاة الخفيفة الفرنسية أثناء الحرب العالمية الأولى واطلق عليهم الصيادون لأنهم كان يتم تجنيدهم أصلا من بين الصيادين العاملين فى الغابات

وهو السبب فى فقدان الفرنسيين لأراضى فى اليوم الأول للمعركة فى مواجهة الألمان وبحلول الثانى والعشرين من فبراير كان الألمان قد تمكنوا من التقدم لمسافة خمسة كيلو مترات وتمكنوا من الاستيلاء على غابة كور وكان الفرنسيون قد استماتوا فى الدفاع عن المدينة لدرجة أن كتيبتين من الجيش الفرسى قد تمكنتا من الصمود أمام الألمان فى غابة كور لمدة يومين قبل أن ينجح الألمان أخيرا فى الاستيلاء عليها وعلى الرغم من تدمير جزء كبير من الخط الأمامى الفرنسى وبالرغم من الخسائر المروعة التى تكبدها الفرنسيون إلا أن المتبقى منهم كان مايزال بامكانه تكبيد الألمان خسائر متزايدة وخصوصا بين قوات الاقتحام الرئيسية واستمر الألمان فى شق طريقهم وقاموا بدفع القوات الفرنسية إلى التراجع باتجاه سامونيو وبومون وأورن فى الخلف وفى الحقيقة قاتل الفرنسيون بشكل ممتاز فى معركة فردان بالذات ربما لأنهم يدركون أهمية المدينة وفى اليوم التالى كان الألمان يواجهون خط الوسط والذى تم إنشاؤه حديثا ولم يكن ذلك الخط موجودا بالخرائط الألمانية وتم التغلب فى ذلك المساء على الدفاع الفرنسى الضعيف فى أربيوا ولكن المكاسب الألمانية فى الثالث والعشرين من فبراير كانت مخيبة للامال ولسوء حظ الألمان كانت المدفعية الفرنسية القوية تحتشد على الضفة اليسرى لنهر الموز وعلى المدى القصير كانت تلك التطورات قد اراحت الفرنسيين بشكل ضئيل وقبل حلول فجر الرابع والعشرين من فبراير كانت سامونيو فى أيدى الألمان وكانت الفرقتان الفرنسيتان قد قاربتا على الانهيار ونظرا لضعف الاتصالات فإن القيادة الفرنسية لم تعلم إلا فى اليوم الثانى من الهجوم بحجم الخسائر المريع التى تكبدها جنودها فى اليومين الاولين من المعركة وفى الرابع والعشرين من فبراير تقهقر المدافعون الفرنسيون مرة أخرى وتركوا خط الدفاع الثانى ولكنهم انقذوا من كارثة محققة بظهور فيلق

فرنسى والذى يضم الفرقة السابعة والثلاثين الافريقية والتى قد بدأت فى الوصول إلى ميدان القتال لدعم الوحدات المستنزفة من الفيلق الخامس عشر الفرنسى وكان ارسال ذلك الفيلق يهدف لإحلاله محل الفيلق الخامس عشر اصلا ولم يكد الجنود يصلون إلى الموقع وقبل حتى أن يتمكنوا من التقاط انفاسهم تم الدفع بهم على الفور إلى المعركة.

وفى تلك الليلة أوصى رئيس أركان الجيش الفرنسى الجنرال رئيسه قائد عام الجيش الفرنسى الجنرال بأنه يجب إرسال الجيش الثانى الفرنسى بقيادة الجنرال فيليب بيتان إلى قطاع فردان لاستكمال احتياجات الدفاع هناك وكان الألمان فى ذلك الحين يسيطرون على بومون وغابة فوس وغابة كورييه وجزء من الطريق إلى سهل لا فوش والذى كان يقود إلى قلعة دوومون وفى حوالى ثلاثة ساعات تقريبا كان الموقع الفرنسى الثانى قد أنهار وكان المشاة الجزائريون والرماة المغاربة من الفرقة السابعة والثلاثين قد دخلوا فى المعركة تدريجيا وبدون حماية كافية من البرد القارس والمدافع الألمانية ولم يكن بإمكانهم أن يرجحوا الكفة لصالح الفرنسيين وفى الحقيقة فإن الكتيبة الثالثة الجزائرية قد اندحرت أمام القوات الألمانية لتترك لها الطريق مفتوحا إلى دوومون وفى الخامس والعشرين من فبراير استطاعت دورية ألمانية مكونة من عشرة جنود الاستيلاء على قلعة دوومون واستولوا على المدافع الثلاثة التى كانت موجودة بها بينما كان الحامية الفرنسية من رجال المدفعية الفرنسية يغطون فى النوم. وبغض النظر عن قلعة دوومون التى استولى عليها الألمان إلا أن الموقع الحصين للمدينة وشراسة القوات الفرنسية فى الدفاع عنها منعت القيادة الألمانية من تحقيق هدفها الأساسى وهو هزيمة فرنسا واحتلال باريس صحيح أن الهدف كان استنزاف الجنود الفرنسيين أو كما قال رئيس الأركان الألمانى فالكنهايم " أن نجعل فرنسا تنزف جنودها " إلا أن خسائرهم أيضا كانت كبيرة فقد كانت أهداف القيادة الألمانية عند التخطيط لمعركة فردان أن يكبدوا الفرنسيين خسائر أكبر مما تتكبده قواتهم وقد

حدث ذلك بالفعل ولكن معدل الخسائر كان أكبر من المعدل المخطط له وهو اثنان إلى واحد الذى كان الألمان يأملونه برغم أن أعداد القوات الألمانية كانت تفوق أعداد القوات الفرنسية هناك بشكل كبير وكانت الخسائر الفرنسية مروعة لذا أصر الجنرال بيتان المارشال فيما بعد على تدوير القوات بشكل دوري فى وجه الآلة الحربية الألمانية وكان تدوير القوات يعنى أن سبعين بالمائة من الجيش الفرنسى قد مر بمفرمة فردان يواجهم خمسة وعشرون بالمائة فقط من القوات الألمانية التى كانت تحارب على تلك الجبهة وكانت هناك أربع وعشرون فرقة فرنسية تحارب فى فردان وتقدر الخسائر الفرنسية برقم كبير وهو حوالى ١٦١٠٠٠ قتيل وحوالى ١٠١٠٠٠ مفقود و٢١٦٠٠٠ جريح بينما تقدر خسائر الألمان بحوالى ١٤٢٠٠٠ قتيل و١٨٧٠٠٠ جريح وتشير الإحصائيات الخاصة بنوعية الخسائر إلى أن معظم القتلى على الجانبين كانوا نتيجة لنيران المدفعية وتشير الوثائق الفرنسية إلى أن معدل استهلاك الفرنسين لدانات المدفعية فى الخمسة شهور الأولى بلغ خمسة عشر مليونا من القذائف معظمها قذائف مدفعية ميدان وكانت النيران الأساسية تأتى من خمسة وسبعين بطارية مدفعية والتى كانت تتكون من ألف مدفع بطول خط جبهة فردان وتبين الصور التى التقطت لميدان المعركة أن الفوهات الناتجة عن قذائف المدفعية تتداخل مع بعضها البعض على مساحة بمئات الاميال المربعة مما يبين عنف القصف وكثافته وتعرف معركة فردان أيضا بمفرمة فردان أو مطحنة نهر الموز وأصبحت رمزا للإرادة القتالية الفرنسية أثناء الحرب العالمية الأولى بل وأثرت تلك المعركة فى الفكر الإستراتيجى الفرنسى وخصوصا بعد ثبوت نجاح نظام التحصينات الثابتة مما أدى فيما بعد إلى إنشاء خط ماجينو الدفاعى كأفضل وسيلة تفتق عنها ذهن القيادة العسكرية الفرنسية للدفاع عن الحدود الفرنسية الألمانية بعد انتهاء الحرب.



رسم توضيحى لقلعة فو وهى إحدى القلاع الفرنسية فى نظام تحصينات مدينة فردان

المبدأ العسكرى ٤٣

إن أولئك الذين يحرمون خطوط المتاريس وكل المعاونة التى يمكن أن يقدمها الفن الهندسى يحرمون انفسهم مجانا من اية قوات معاونة سديدة وغالبا ما تكون مفيدة وعادة ما لا يكون الاستغناء عنها ممكنا غير ان مبادئ تحصين الميدان تحتاج إلى تحسينات ولم يحرز هذا الفرع المهم من فن الحرب أى تقدم فى العصور الحديثة بل إنه حتى فى هذه الأيام على مستوى اقل مما كان عليه منذ الفى عام، ويجب أن يتم تشجيع ضباط سلاح المهندسين على إجادة هذا الفرع من فنهم وان يرتفعوا به ليكون على مستوى الآخرين .

يعرف الجيش الأمريكى الموانع الطبيعية بأنها اية ملامح للأرض أو حالة التربة أو المناخ أو الأشياء المصنوعة بخلاف النيران والتى تستخدم لإيقاف أو تحويل حركة العدو وينبغى أن تكون الموانع جزءا من الخطة الشاملة لتقييد حركة القوات المعادية وتعطيلها أو جعلها تحتاج إلى اعادة التجميع وهناك أيضا الموانع التكتيكة والتى تنقسم إلى :

مضادة للدبابات

مضادة للأفراد

مضادة للمركبات

الموانع النهرية والساحلية

وهناك الموانع غير التكتيكية وتستخدم لإخفاء المواقع المهمة ومنع المخربين والمتسللين من التسلل إليها وينبغى لتحقيق اقصى استفادة من الموانع التكتيكية أو الطبيعية أن تبقى تحت الملاحظة وأن تكون مغطاة

جيدا بالنيران حيث إنه فى غير هذه الحالة تكون الموانع غير ذات فائدة .

المبدأ العسكرى ٤٤

عندما يكون لديك مستشفى ومخازن فى مدينة محصنة وتحتم عليك الظروف ألا تتمكن من ترك حامية كافية للدفاع عنها فيجب عليك على الأقل أن تبذل كل مجهود ممكن فى أن تجعل القلعة فى أمان من ضربة قوية.

المبدأ العسكرى ٤٥

يستطيع الموقع المحصن أن يقدم الحماية للحامية وأن يوقف العدو لوقت معين فقط وعندما ينقضى هذا الوقت ويتم تحطيم دفاعات الموقع قد تلقى الحامية بأسلحتها وكل الأمم المتحضرة كان لها رأى واحد فى هذا الصدد والاختلاف الوحيد كان فى درجة المقاومة زادت أم قلت والتى ينبغى على القائد أن يبديها قبل التسليم غير أن هناك قادة ومن بينهم فيار Villars يرون أن القائد لا يجب عليه أبدا أن يستسلم ولكن عند أحلك اللحظات يجب عليه أن يقوم بتفجير التحصينات ويستفيد من الليل لشق طريقه عبر الجيش الذى يحاصره وفى حالة عدم قدرتك على تفجير التحصينات فيمكنك بأى شكل أن تخرج بحاميتك وأن تنقذ رجالك والقادة الذين طبقوا تلك الطريقة تمكنوا من إعادة الاتصال بجيشهم مع ثلاثة أرباع الحامية.

ينطبق هذا القول بشدة على خط ماجينو الفرنسى Ligne Mginot والذى اخذت الصحف الفرنسية بعد بنائه تشيد بقوته وضخامته وكيف أنه منيع لا يمكن اختراقه بل إن الصحافة الألمانية نفسها تأثرت بذلك وأخذ خط ماجينو فى التضخم كأسطورة عسكرية إلا أنه سقط أمام الألمان خلال أيام فى الحرب العالمية الثانية فبعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى وضم إقليمى الألزاس واللورين بعد انتزاعهما من ألمانيا فى عام ١٩١٨ والتهديد الذى واجهته العاصمة الفرنسية باريس من قبل القوات الألمانية التى كادت أن تحرز انتصارا على القوات الفرنسية كذلك كانت خسائر فرنسا فى الأرواح ضخمة حيث قتل فى فترة الحرب ستة ملايين فرنسى وانشغلت الدوائر العسكرية الفرنسية فى بحث أفضل الأساليب للرد على أى هجوم ألمانى فى المستقبل فرأى البعض أن فرنسا يمكنها أن تنجح فى صد غزو ألمانى إذا ما قامت ببناء خط دفاعى قوى تتكبد أمامه القوات الغازية خسائر كبيرة كما حدث فى معركة فردان والتى كانت دروسها ما تزال ماثلة فى الأذهان بينما رأى فريق آخر أن أفضل دفاع ممكن هو أن تقوم فرنسا بالرد على أى هجوم ألمانى مستقبلى بالاندفاع عبر الراين وكان ذلك هو رأى المارشال فوش Foch إلا أن آراء أصحاب المذهب الدفاعى الذى ينادى ببناء خط دفاعى طويل بطول الحدود مع ألمانيا وإيطاليا لتلافى أى تهديد مستقبلى من جانبهما هى التى سادت فى نهاية الأمر وكان الغرض من إقامة خط ماجينو هو تفادى الهجوم المفاجئ وتوفير فترة إنذار للقيادة الفرنسية وتغطية تعبئة الجيش الفرنسى والتى كانت تستغرق من أسبوعين إلى ثلاثة اسابيع وكذلك لتعويض الفارق العددى بين الألمان والفرنسيين حيث كان عدد السكان فى ألمانيا يساوى تقريبا ضعف عدد سكان فرنسا علاوة على أنه كان من المفترض أن يعمل على تأمين الألزاس واللورين وكذا ليعمل كقاعدة لشن هجوم مضاد فى حالة قيام الألمان بمهاجمة فرنسا بالإضافة إلى أنه كان من المفترض أن يعطل القوات الألمانية حتى يتمكن

الفرنسيون من تعزيز القوات الموجودة فى الخط واستغرق العمل فى خط ماجينو مدة خمس سنوات بدءا من عام ١٩٣٥ حتى عام ١٩٤٠ ولم تكن أعمال البناء قد اكتملت بعد وسمى هذا الخط على اسم وزير الحربية الفرنسى فى ذلك الوقت أندريه ماجينو André Maginot وقد بلغت تكاليف أعمال الإنشاء فى خط ماجينو خمسة مليارات فرنك فرنسى وهو ما قارب ضعف الميزانية التى خصصت له ولا شك فى أن خط ماجينو كان أقوى خط دفاعى تم بناؤه حتى ذلك الوقت إذا ما نظرنا إليه من ناحية قوة التحصينات إلا أنه أثبت عند بدء العمليات أنه لم يكن يستحق فرانكا واحدا مما أنفق عليه[56] وقد وظفت فيه فرنسا أعلى مستوى من التكنولوجيا المتقدمة فى ذلك الوقت وبلغ من ضخامة أعمال البناء فيه أن تم استهلاك مائة وخمسين ألف طن من الحديد الصلب ومليون ونصف متر مكعب من الخرسانة واحتوى خط ماجينو على مائة متر من الانفاق واثنى عشر مليونا متر مكعب من الأعمال الهندسية وأربع مائة وخمسين كيلو مترا من الطرق والسكك الحديدية وظل العمل فى بنائه مستمرا حتى الغزو الألمانى لفرنسا فى عام ١٩٤٠ ولم تكن كل الأجزاء التى تقرر إضافتها إليه قد اكتملت بعد، تلك الإضافات التى كانت ستقويه وتدعمه بشكل أكبر، كان الخط قد أضيف إليه الكثير من التعديلات والتطويرات وتم العدول عن إنشاء بعض الأجزاء وهكذا حتى أخذ تصميم الخط صورته النهائية وكانت

---

[56] زار أحد قادة الفيالق البريطانية خط ماجينو قبل الحرب العالمية الثانية وهو السير جنرال آلان بروك Alan Brooke فعلق عليه قائلا " لا شك أن خط ماجينو هو ضرب من العبقرية ولكنه ما زال غير قادر على جعلى أشعر بالأمان بشكل كامل وأعتقد انه كان من الأفضل للفرنسيين لو استثمروا أموالهم فى دفاع متحرك مثل طائرات أفضل أو فرق مدرعة أقوى بدلا من سكب المال على الأرض " ثم قال بعدها " إن أخطر تأثيرات خط ماجينو هو التأثير النفسى الذى يولد الإحساس الزائف بالأمان ، الإحساس بأنك تجلس خلف سور حديدى منيع فإذا انهار هذا السور انهارت معه الروح المعنوية للقوات الفرنسية " وهو ما حدث بالفعل فيما بعد

الفكرة هى بناء خط من التحصينات تدعمه قوات من المشاة ووحدات من المدفعية ويبدأ الخط من مدينة لونجويون الفرنسية حتى ينتهى عند الحدود الفرنسية السويسرية مرورا بالجبال الشمالية الفرنسية ونهر الراين وكانت هناك قلاع تتحكم فى الممرات والمناطق المهمة وتعمل على تأمينها فى حالة وقوع هجوم عليها وقد ساهم فى بنائه عدد كبير من العمال منهم عمال أجانب بما فيهم الألمان[57] وكان الخط يمتد بعمق عشرين كيلو مترا فى مناطق وخمسة وعشرين كيلو مترا فى مناطق أخرى واحتوى على نظام معقد من النقاط الحصينة والتحصينات ونقاط حراسة حدود ومراكز اتصالات وملاجئ للمشاة وحواجز ومدفعية ومواقع للمدافع الرشاشة وللمدفعية المضادة للدبابات ومستودعات للإمداد ونقاط ملاحظة وكانت تلك الأبنية تشكل خط دفاع أساسى مكون أساسا من دشم ثقيلة من الخرسانة المسلحة وكانت بمثابة الحصون وكان الخط ينقسم إلى عدة مراحل:

مواقع حدودية أمامية وكانت تتكون من مجموعة من المواقع المموهة فى شكل منازل وكان غرضها أن تقاوم تقدم العناصر المدرعة وتقوم بتعطيلها بعض الوقت عن طريق حواجز الدبابات والمتفجرات وكانت القوات التى تعمل بها توفر الإنذار ضد محاولات التسلل والهجمات المفاجئة.

بالإضافة إلى نقاط متقدمة على مسافة خمسة كيلو مترات تقريبا من

---

[57] يبدو أن هذا هو احد الأسباب التى مكنت المخابرات الألمانية من التعرف بشكل دقيق على تحصينات خط ماجينو حيث أعدت تقريرا مفصلا قدم للقيادة الألمانية فى عام ١٩٣٦ يصف تسليح الخط وحصونه وأعداد جنوده وما إلى ذلك من التفصيلات وتبعه تقرير آخر قدم للقيادة الألمانية فى عام ١٩٣٧ واحتوى على رسم دقيق للحصون الكبيرة التى اشتمل عليها خط ماجينو أعده الملحق العسكرى الألمانى فى فرنسا من الذاكرة بعد زيارته لخط ماجينو

الحدود وهدفها تعطيل المدرعات حتى تتأهب باقى القوات وتتخذ مواقعها فى الخط الأساسى ثم بعد ذلك الخط الأساسى وكان هذا الخط يقع على بعد عشرة كيلو مترات من الحدود وكان أمامه خط من الموانع المضادة للدبابات وقضبان حديدية موزعة بشكل رأسى على ستة صفوف يتراوح طولها من سبعين سنتيمترا إلى متر وأربعين سنتيمتر مدفونة على عمق مترين ويمتد هذا الخط من الموانع المضادة للدبابات على مسافة مئات الكيلو مترات تقطعها الغابات الكثيفة ويلى ذلك الخط خط آخر من الموانع المضادة للأفراد مكون أساسا من الأسلاك الشائكة إضافة إلى غلق الطرق التى من الممكن ان تسلكها الدبابات بخط ثان من الموانع المضادة للدبابات يأتى بعد ذلك دشم المشاة وكانت تلك الأخيرة مسلحة برشاشات مزدوجة ومدافع مضادة للدبابات وكان يمكنها أن تطلق النار فى اتجاه واحد أو فى اتجاهين وتتكون تلك الدشم من طابقين احدهما لإدارة النيران والآخر للدعم وبه مبيتات للجنود منطقة شئون إدارية ثم يلى كل ذلك حصون صغيرة للمشاة ترتبط بشبكة من الانفاق وكان الطاقم الذى يشغل تلك الحصون يتراوح بين مائة ومائتين ثم بعد ذلك يأتى الجزء الأكثر أهمية من خط ماجينو وهى القلاع أو التحصينات وكان بناؤها أكثر قوة وتم تسليحها بالمدفعية الثقيلة وكانت تتكون من ستة مبان خرسانية متراكبة تربطها شبكة من الأنفاق مركب بها قضبان سكك حديد تعمل بالكهرباء وكانت تلك الأبنية تحتوى على محطات للكهرباء ونظم تهوية وثكنات للجنود وأماكن لتناول الطعام ومطابخ مخازن مياه وذخيرة ومخازن لقطع الغيار والطعام وكانت اطقمها تتراوح ما بين خمس مائة إلى ألف فرد وهناك أيضا نقاط الملاحظة والتى كانت قد بنيت على التلال لتوفر الرؤية الجيدة للمنطقة المحيطة وكانت تعمل كنقاط ملاحظة وإدارة نيران لتوجيه وتصحيح نيران المدفعية وكانت عبارة عن مبانى كبيرة من الخرسانة يتم

دفنها فى الأرض وتزود بأبراج مسلحة تحتوى على أجهزة مراقبة عالية الدقة وترتبط بالقلاع الأخرى عن طريق التلفون واللاسلكى إضافة إلى هذا كله كانت كل مبانى الخط ترتبط بشبكة تلفونية وكان الربط يتم بين كل مبنيين عن طريق خطى تلفون ميدانيين تلافيا لاحتمال قطع الاتصال وكان هناك جنود مخصصون لإصلاح الأعطال التى قد تصيب تلك الأسلاك كذلك كان هناك احتياطى من جنود المشاة على بعد خمس مائة إلى ألف متر من خد الدفاع الرئيسى فى مخابئ مصنوعة من الخرسانة ومدفونة تحت الأرض وكان المخبأ الواحد قادر على استيعاب سرية مشاة من مائتى إلى مائتين وخمسين جنديا ومزود كسابقيه بالمولدات الكهربائية ونظم التهوية والمياه والمطابخ والتدفئة مما يمكنهم من تحمل حصار طويل كذلك كانت تلك المخابئ تعمل كقيادة يمكن منها شن هجوم مضاد وبعد ذلك كانت توجد بعض الموانع المائية الطبيعية مثل الأنهار الصغيرة والبحيرات والتى كان سيتم استخدامها لإغراق المنطقة عند حدوث اختراق كبير لها وكانت هناك مخابئ آمنة مصممة بحيث يمكن لطاقم الحصون أن يصلوا إلى مواقعهم بسرعة فى حالة حدوث هجوم مفاجئ أو تسلل وهناك مستودعات للمؤن ومخازن ذخيرة وقد تم انشاء نظام يعمل على قضبان السكك الحديدية لتزويد الحصون بالذخيرة من مخازن الذخيرة الموجودة على مسافة خمسين كيلو متر وكانت عبارة عن قاطرة مدرعة تعمل بالجازولين وتجر خلفها عربات الذخيرة عبر تلك الخطوط الضيقة مع شبكة من الكهرباء لتزويد الحصون كلها بالطاقة ثم المدفعية الثقيلة التى تعمل على قضبان وكانت تجرها عربات إلى مناطق محددة من قبل لدعم المفعية الموجودة أصلا بتلك الحصون والتى كان مداها من عشرة إلى اثنى عشر كيلو مترا أى أن الخط تحول بعد خمسة سنوات من العمل فيه إلى تحفة فنية من الناحية العسكرية لذا كان التخطيط الألمانى ألا يتم

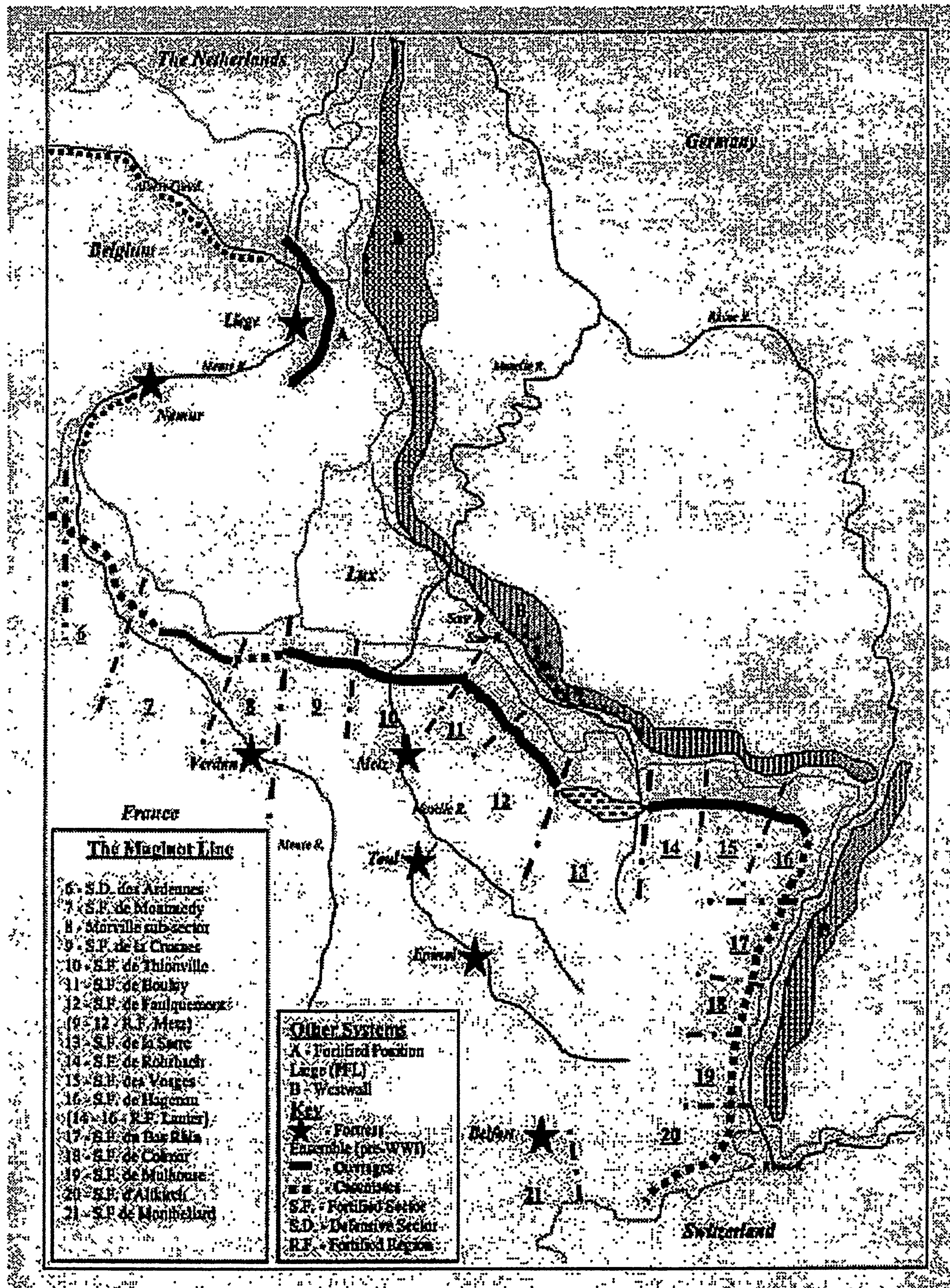
مهاجمة الخط بصورة مباشرة وبدلا من ذلك يقوموا بالالتفاف حوله وقد بدأ التوتر بين الفرنسيين والألمان فى التصاعد بعد احتلال النمسا[58] وكانت الخطة الألمانية تعتمد على هجوم منظم بطول الحدود البلجيكية والهولندية تدعمه هجمات من سلاح الجو الألمانى وسلاح المظلات لاحتلال الجسور المهمة وقلعة آيبن إيمايل على أن يقوم بالمجهود الرئيسى القوات المدرعة والميكنة عن طريق الاندفاع عبر لوكسمبورج وغابات الاردين بهدف تخطى دفاعات الحلفاء واختراق خطوطهم فى أضعف النقاط وحسب الخطة الألمانية كانت قوات الحلفاء ستندفع إلى بلجيكا لملاقاة الهجوم الألمانى ومحاولة احتوائه ونجح الألمان فى سحق الدفاعات الهولندية والبلجيكية وكان رد الفعل الذى اتخذه الحلفاء هو بالضبط ما توقعه الألمان واشتبكت قوات الحلفاء مع الألمان فى الثانى عشر من مايو وفى اليوم التالى بدأ رأس الحربة المدرع الألمانى فى التحرك من الاردين ليستولى على رؤوس جسور عبر نهر موز Meuse وشعر الحلفاء بالخطر فطلبوا دفع التعزيزات باتجاه التقدم الألمانى ولكن الحلفاء كانوا أكثر بطئا من القوات الألمانية التى كانت تتحرك وتقاتل بتكتيكات جديدة لم يكن الحلفاء على علم بها من قبل بالإضافة إلى الدعم اللصيق الذى كان يقدمه سلاح الجو الألمانى لقواته واخترق رأس الحربة الألمانى الخطوط الفرنسية وبدأ ما عرف فيما بعد باسم السباق إلى البحر ووصلت طلائع القوات الألمانية إلى نهر السوم وبذلك شقت صفوف قوات الحلفاء إلى نصفين وتم عزل القوة الهجومية البريطانية التى اتجهت إلى دانكيرك Dunkirk وتحولت إلى جيب اخذ ينكمش باستمرار حتى استطاعت البحرية البريطانية اخلاء

---

[58] سماه هتلر الضم Anschluss حيث كان يعتبر النمسا جزءا من الأراضى الألمانية ويجمعها بألمانيا وحدة الأصل الآرى والجدير بالذكر أن هتلر من النمسا أصلا

جنودها المحاصرين فى دانكيرك فيما بعد وتوقع الحلفاء أن يأتى الهجوم الألمانى على محور آيين - السوم Aisne - Somme وتقرر تشكيل خط دفاعى لصد الهجوم الألمانى المتوقع وصدرت الأوامر إلى كل القوات المتاحة بالتوجه إلى تلك المنطقة وهو ما حرم خط ماجينو من احتياطاته المتحركة ومن المدفعية التى سوف يحتاجها فيما بعد لاحتواء الاختراق الألمانى وبعد أن انجز الألمان مهمتهم فى دانكيرك أعادوا نشر قواتهم للبدء فى المرحلة الثانية من الغزو وهاجموا خط آيين - السوم وعلى الرغم من المقاومة الشرسة التى واجهوها إلا أنهم نجحوا فى الاختراق فى عدة مناطق تتقدمهم القوات المدرعة واستمروا بالاندفاع إلى داخل فرنسا وانسحبت القوات الفرنسية التى لم تجد إلا الانسحاب سبيلا أمام القوات الألمانية وتحولت القوات الألمانية على الجناح الايسر للاستيلاء على خط ماجينو من الخلف كان الألمان قد تركوا قوات أمام الخط لتبدأ هجومها على خط ماجينو وبالفعل بدأت هجومها فى الرابع عشر من مايو بعد أن انسحبت القوات التى كانت مكلفة بحماية الفراغات بين التحصينات واخترق الألمان عند السار فى الطرف الغربى للخط عند المؤخرة الضعيفة وكانت هناك مسافة تفصل الحصون الصغيرة عن بعضها البعض ولم تكن قادرة على تقديم الدعم النيرانى لبعضها البعض مما سهل مهمة القوات الألمانية والتى استخدمت كل ما بحوزتها من مدافع ثقيلة لإنجاز المهمة بأسرع وقت بما فى ذلك مدفع بيرتا الكبير Big Bertha من عيار ٤٢٠ والذى كان يستخدم بكفاءة فى الحرب العالمية الأولى ضد التحصينات الفرنسية والبلجيكية وبالرغم من كل ذلك لم يتم إحراز تقدم كبير أمام الحصون الكبيرة ولكن دفاعات الخط أصبحت محاصرة ومن ناحية أخرى كان الألمان يخططون لعبور نهر الراين ولأجل تحقيق ذلك الهدف كان عليهم تدمير دشم خط ماجينو القابعة على الضفة الأخرى للنهر

وكانت جدرانها بسمك متر وسبعين سنتيمترا من الخرسانة المسلحة فبدأ الألمان فى حشد ستمائة وخمسين قطعة مدفعية بما فى ذلك المدفعية المضادة للطائرات وكان الغرض من استخدامها هو استغلال المعدل النيرانى السريع الذى توفره فى تحقيق اختراق سريع للدشم الفرنسية وتم نقل المدفعية إلى الضفة المقابلة وإخفاءها باستخدام شباك التمويه وبدأ الهجوم الألمانى فى الخامس عشر من مايو عن طريق قصف مدفعى مركز من مدى مائتى متر وتمكنت المدفعية الألمانية مع التركيز على نقطة واحدة فى الدشمة وبالتحديد الجزء المكشوف من الدشمة وحقق ذلك القصف المركز الهدف منه فأنهارت الدشم تحت القصف وتم اختراق الخرسانة بالفعل وهو ما كان يكشف القوات الموجودة بداخلها بالكامل وبدأت القوات الألمانية فى العبور إلى الضفة الأخرى ومع انسحاب احتياطيات المشاة وبدون المدفعية التى كان قد تم سحبها إلى خط ايين - السوم أصبح استيلاء الألمان على دفاعات ماجينو على الراين مسألة وقت فحسب وهو ما حدث بعد ذلك بيومين فى السابع عشر من مايو وسقط قطاع خط ماجينو المطل على الراين فى ايدى الألمان مما دفع الحكومة الفرنسية فى ذلك الوقت إلى طلب الهدنة حيث كانت العاصمة الفرنسية باريس قد سقطت فلم يعد هناك امل فى القتال وتم توقيع الهدنة بالفعل فى الثانى والعشرين من الشهر نفسه. . . . . . .



خريطة تبين مواقع وعمق تحصينات خط ماجينو على الحدود الألمانية الفرنسية

أما فيما يتعلق بالجزء الأخير من الفقرة والمتعلق بالخروج من خلف المتاريس ومهاجمة العدو فنجد تشابها كبيرا بينها وبين ما يقوله ماكيافيللى فى كتابه فى الكتاب السابع عن كيفية الرد المناسب الذى ينبغى على المحاصرين اتباعه "ان ما يجعل الدفاع عن المدن أو المعسكرات أمرا صعبا هو أن عليك أن تحتفظ بكل القوات التى لديك غير موحدة (متفرقة) لأن العدو يمكنه القيام بمهاجمتك بكل قواته حين يرغب وأنت تدافع ضده بجزء من قواتك ويمكن أيضا أن يتم التغلب على المحاصرين بالكامل بينما لا يمكن أن تتغلب على أولئك الذين بالخارج إلا أن تقوم بصدهم ولذا فإن الكثيرين الذين تم حصارهم سواء فى المدن أو فى المعسكرات وبالرغم من قلة قوتهم قد انطلقوا فجأة بكل قواتهم وهزموا العدو وقد فعل مارسيللوس Marcellus ذلك فى نولا Nola وفعل قيصر ذلك فى الغال حيث تمت مهاجمة معسكره من قبل أعداد كثيفة من الغال فرأوا انه لن يكون قادرا على الدفاع عنه إلا عن طريق تقسيم قواته إلى عدة أجزاء ولم يكن قادرا على البقاء خلف المتاريس مع اندفاعة هجوم العدو ففتح المعسكر فى أحد جوانبه وتحول إلى ذلك الجانب بكل قوته وهاجمهم بمنتهى الشراسة والإصرار بحيث تغلب عليهم وهزمهم وكان ثبات الذين يتم حصارهم دائما ما يزعج ويرعب من يقوم بمحاصرتهم "

المبدأ العسكرى ٤٦

إن مفاتيح المواقع المحصنة هى المقابل الكبير للسماح لحامية ما أن تتراجع بدون إزعاج عندما تظهر تلك الأخيرة عزما على الموت بدلا من قبول شروط غير مواتية ولذا فإنه دائما ما يكون ضمان تسليم مشرف للحامية التى قاومت بضروة أفضل من المخاطرة بمحاولة الاجتياح.

تتناول هذه الفقرة أمرين، الأول هو كيفية الاستيلاء على المواقع المحصنة والثانى تقليل الخسائر إلى اقصى درجة فى صفوف القوات المهاجمة وفيما يخص الأمر الأول فقد اختلفت الطرق عبر التاريخ فى الاستيلاء على الأماكن المحصنة والقلاع ففى الفصل السابع من كتابه فى فن الحرب يقول ماكيافيللى " بالإضافة إلى ذلك فانه من السهل الاستيلاء على المدن ان قمت بالانقضاض عليها على حين غرة وهو أمر يمكنك فعله عندما تجد نفسك مع جيشك بعيدا جدا بحيث لا يصدقون أنك تنوى مهاجمة المدينة أو مهاجمتهم أو أن تفعل ذلك بدون أن تظهر نفسك بسبب المسافة من المكان ولذلك فإن قمت بمهاجمتهم سرا وبشكل سريع فلسوف يحدث دائما تقريبا أن يمكنك الاعلان عن انتصارك ولسوف اناقش عن طيب خاطر تلك الامور التى وقعت فى عصرنا حيث سارهقك بافكارى وأنا لا عرف ماذا اقول عند مناقشة امور أخرى ومع ذلك.فبخصوص تلك المسألة فلا استطيع إلا أن اسوق مثال سيزار بورجيا Cesare Burgia والذى كان يسمى الدوق فالينتين والذى حينما كان فى نوتشيرا Nocera مع قواته بحجة الذهاب لمهاجمة كاميرينو Camerino استدار نحو ولاية اوربينو Urbino واحتل ولاية فى يوم واحد وبدون مجهود وهى مدينة

كان آخرون بالكاد سيحتلونها فى وقت طويل وبنفقات باهظة " ثم يقول بعدها " كان القادة القدماء يستخدمون وسائل متعددة لنهب حاميات المدن التى يريدون الاستيلاء عليها فعندما كان سكيبيو فى افريقيا وأراد احتلال عدة قلاع كان القرطاجيون قد وضعوا فيها حاميات تظاهر عدة مرات بأنه يريد مهاجمتها ولكن الخوف فقط هو ما منعه وانسحب بعيدا عنها وصدق هانيبال ان ذلك الأمر حقيقى ولاجل أن يقوم بمطاردته بقوات أكبر وأن يكون قادرا على مهاجمته بشكل أكثر سهولة سحب كل الحاميات منها وعلم سكيبيو بذلك فأرسل القائد ماكيسموس Maximus للاستيلاء عليها وبيروس Pyrrhus[59] عندما كان يشن الحرب فى سكلافونيا

---

[59] بيروس الإياكيدى Pyrros Aiakides (٣١٨ – ٢٧٢ قبل الميلاد) قائد إغريقى وملك القبائل المولوسية Molossians وابيروس Epirus ومقدونيا وهو ابن العم الثانى للإسكندر الأكبر Alexander the Great واحد اقوى خصوم روما فى ذلك العصر وقد انتصر على الرومان فى عدد من المعارك وقد بدات الحروب بينه وبين روما بعدما استنجدت به بعض المدن اليونانية فى ذلك الوقت بعد أن اصطدمت بروما فوجدها فرصة سانحة لتقويض نفوذ روما وتأسيس إمبراطورية جديدة يحكمها على أنقاض روما وقد دخل روما على رأس جيش مكون من ثلاثة آلاف من الفرسان وألفين من الرماة وخمس مائة من رماة المقالع وعشرين ألفا من المشاة وعشرين فيلا حربيا وقد هزم الجيش الرومانى فى معركة كبيرة عرفت باسم معركة هيراقليا Heraclea نظرا لتفوق فرسانه وأفياله الحربية وذلك فى عام ٢٨٠ قبل الميلاد ثم انتصر على الرومان مجددا فى معركة اسكولوم Asculum والتى كلفته كثيرا إلا أن الجيش الرومانى وبالرغم من هزيمته فى تلك المعركة فقد نجح فى كسر العمود الفقرى لجيش بيروس مما أدى فيما بعد إلى عدم قدرة بيروس على استكمال حملته على روما وفيما بعد وأثناء حملته على روما استنجد به اليونانيون فى صقلية الذين كانوا بين شقى الرحا وهما الدولة الرومانية والقرطاجية وبالفعل هزم بيروس القوات القرطاجية وتم إعلانه ملكا على صقلية ثم عاد إلى إيطاليا ليواجه جيشا رومانيا ضخما قرر هو انه غير قادر على مواجهته فاتخذ قرارا بالانسحاب وذلك فى معركة بينيفينتوم Benevenetum وهى المواجهة التى نتج عنها خسارته للأراضى التى استولى عليها فى إيطاليا نتيجة لعدم قدرته من الناحية العسكرية على الاحتفاظ بالأراضى التى

وفى إحدى المدن الرئيسية فى البلاد وعندما تم جلب قوة Sclavonia[60] أكبر لحمايتها تظاهر بأنه يئس من قدرته على الاستيلاء عليها وتحول إلى أماكن أخرى مجبرا إياهم على إخلائها من الحامية لانقاذ تلك الأماكن ولذلك أصبح سهلا عليه أن يستولى عليها وقد قام الكثيرون بتلويث المياه وتحويل الأنهار للاستيلاء على مدينة حتى ولو لم ينجحوا والحصار والاستسلام يمكن تنفيذه بسهولة عن طريق إرعابهم بالإشارة إلى نصر تم إحرازه أو مساعدة جديدة تأتى فى غير صالحهم " والأمر الثانى هو تقليل الخسائر فى صفوف القوات المهاجمة وفى هذا الصدد يقول ماكيافيللى "هو أمر يسعى أولئك الذين يدخلون المدينة إلى الفوز به من خلال طريقتين، الأولى هى فتح بوابات المدينة وإفساح الطريق لسكان المدينة بحيث يتمكنون من الهروب بشكل آمن والثانية هى أن يقوموا عن طريق النداءات بالإعلان فى المدينة انه لن يتم ايذاء احد إلا إذا كان مسلحا وأنه سيتم العفو عن كل من يلقى بسلاح أرضا وهو أمر جعل الفوز بمدن كثيرة أمرا سهلا " واتفقت الأدبيات العسكرية والواقع التاريخى متمثلا فى مئات المعارك التى خاضها قادة كبار فى العصور القديمة والحديثة على هذا المبدأ وهو أنه من الحكمة عدم مهاجمة عدو محاصر لا يملك فرصة واحدة للنجاة حيث إنه فى هذه الحالة سيقاتل باستماتة للدفاع عن حياته ذاتها وفى الفصل السابع بعنوان المناورة من كتاب فن الحرب يقول سون تزو فى القرة السادسة والثلاثين منه " عندما تحاصر جيشا قم بترك مخرج حر ولا تضغط بشدة على عدو يائس " ولا يعنى ذلك السماح للعدو

اكتسبها أو استكمال حربه على روما ومن اسمه ونتيجة معركى اسكولوم اشتق التعبير الإنجليزى pyrrhic victory والذى يعنى نصر بخسائر فادحة أو بتكاليف باهظة

[60] هى أراض زراعية خصبة تقع شرق كرواتيا الحالية وهى بالإضافة إلى خصوبتها مليئة بالغابات ويمر عبرها ثلاثة أنهار منها نهر الدانوب

بالهرب ولكن معناه ان تقوده إلى الاعتقاد بأن هناك طريقا امنا وبالتالى تمنعه من القتال والأمر هنا سيكولوجى بحت وهو أن القائد أثناء القتال لا يقود جنود عدوه إلى الاعتقاد بأنهم سيهلكون حتى لا يدفعهم هذا إلى القتال باستماتة وإنما يدفعهم إلى مواقف يائسة من كل الجهات ويترك لهم مخرج بحيث ينظرون إليه على أنه الخلاص الوحيد لهم من الهلاك ثم بعد ذلك يقوم القائد بالقضاء عليهم كما يحلو له ويقول تو مو فى هذا إن القائد هنا يمنع العدو من قتاله بشجاعة اليأس ثم يمكنه بعد ذلك سحقهم ويقول تشين هاو إن الطيور والحيوانات عندما يتم دفعها إلى البحر ستستخدم أنيابها ومخالبها ويقول تشانج يو عندما يحرق خصمك سفنه ويدمر أوانى طهيه ويقرر المخاطرة بكل شىء من أجل المعركة فلا ينبغى عليك دفعه إلى أقصى الحدود ويصور هو شي المعنى بقصة مأخوذة من حياة يين تشينج Yin Ching فقد حوصر هذا القائد مع زميله تو تشونج ويى Tu Chung Wei من قبل جيش كبير العدد فى عام ٩٤٥ ميلادية وكان الريف حينئذ مثل الصحراء فى جفافه وسرعان ما انت القلعة الصينية هناك تحت وطأة احتياجها الشديد للمياه وجفت الآبار التى حفرها الجنود واضطروا لعصر الطين من أجل الشرب وامتصاص الماء منه وبدأت صفوفهم فى التداعى بسرعة حتى صاح أحد الضباط قائلا إننا رجال يائسون فخير لنا أن نموت من أجل بلدنا عن أن نسير مكبلين فى الأغلال بعد الأسر وهبت نوة عنيفة من الشمال الشرقى غيمت الموقع بسحابة كثيفة من الأتربة والغبار وكان على تشونج ويى أن ينتظر انقشاعها حتى يقرر متى يبدأ الهجوم ولكن ولحسن حظه فإن ضابطا آخر رأى فى ذلك فرصة فاقترب منه قائلا نحن قليلو العدد وهم كثير ولكن فى وسط هذه العاصفة الرملية فإنهم لن يتمكنوا من تمييز أعدادنا وسيكون النصر للمقاتل العنيد وستكون الريح أفضل حليف لنا وبالفعل قام الضابط نفسه بهجوم مفاجئ

غير متوقع بكل خيالته وهزم الجيش المعادى ونجح فى شق طريقه إلى الأمان..

المبدأ العسكرى ٤٧

لا يستطيع المشاة أو الفرسان أو المدفعية الاستغناء عن بعضهم البعض ويجب أن يتم توزيعهم بطريقة تمكنهم دائما من دعم بعضهم البعض فى حالة المفاجأة.

المبدأ العسكرى ٤٨

إن المشاة التى تتشكل فى خط يجب أن تكون من صفين فقط لأن بندقية الماسكيت لا يمكن استخدامها بطريقة أخرى بتأثير مساو، ومن المعترف به ان نيران الصف الثالث غير دقيقة بالمرة بل إنها قد تكون طائشة بالنسبة لنيران الصفين الأول والثانى ولكن بالرغم من أن القوة الأساسية للمشاة يجب أن يتم تشكيلها فى صفين كما قيل فإن غياب الصف الثالث الاعتيادى يجب أن يتم تعويضه باحتياطى من عدد كبير من الرجال يتكون من جندى واحد لكل تسعة أو واحد كل ياردتين.

المبدأ العسكرى ٤٩

إن ما جرى عليه العمل من خلط سرايا الفرسان والمشاة معا هو أمر سيئ فالفرسان تحرم من ميزتها فى سرعة الحركة وتصبح مشلولة فى كل حركاتها وتفقد الاندفاع وكذلك المشاة تصبح مكشوفة لأنه عند التحركات الأولى للفرسان يبقى المشاة بلا دعم وأفضل طريقة لحماية الفرسان هو دعم الأجناب.

المبدأ العسكرى ٥٠

إن الهجمات بالفرسان هى أمر مفيد عند بداية ووسط ونهاية المعركة ويجب أن يتم تنفيذها كلما تتمكن من تنفيذها على أجناب المشاة وخصوصا عندما تشتبك تلك الأخير من الأمام.

طبق خالد بن الوليد رضى الله عنه ذلك التكيتك فى معركة اليرموك التى دارت بين المسلمين والروم فى عام ٢٦ هجرية أى تنفيذ هجوم بالفرسان على أجناب مشاة العدو بينما كانت قوات المشاة الإسلامية مشتبكة مع المشاة البيزنطية من الأمام والواقع أن معركة اليرموك [61] غنية بالدروس التى يمكن الاستفادة بها فى التكتيك واستخدام الفرسان والاحتياطى المتحرك ... إلخ وقد دامت المعركة لمدة ستة أيام ثم فى اليوم السادس قدم خالد بن الوليد تحفته الفنية المبهرة حين ففى اليوم السادس من

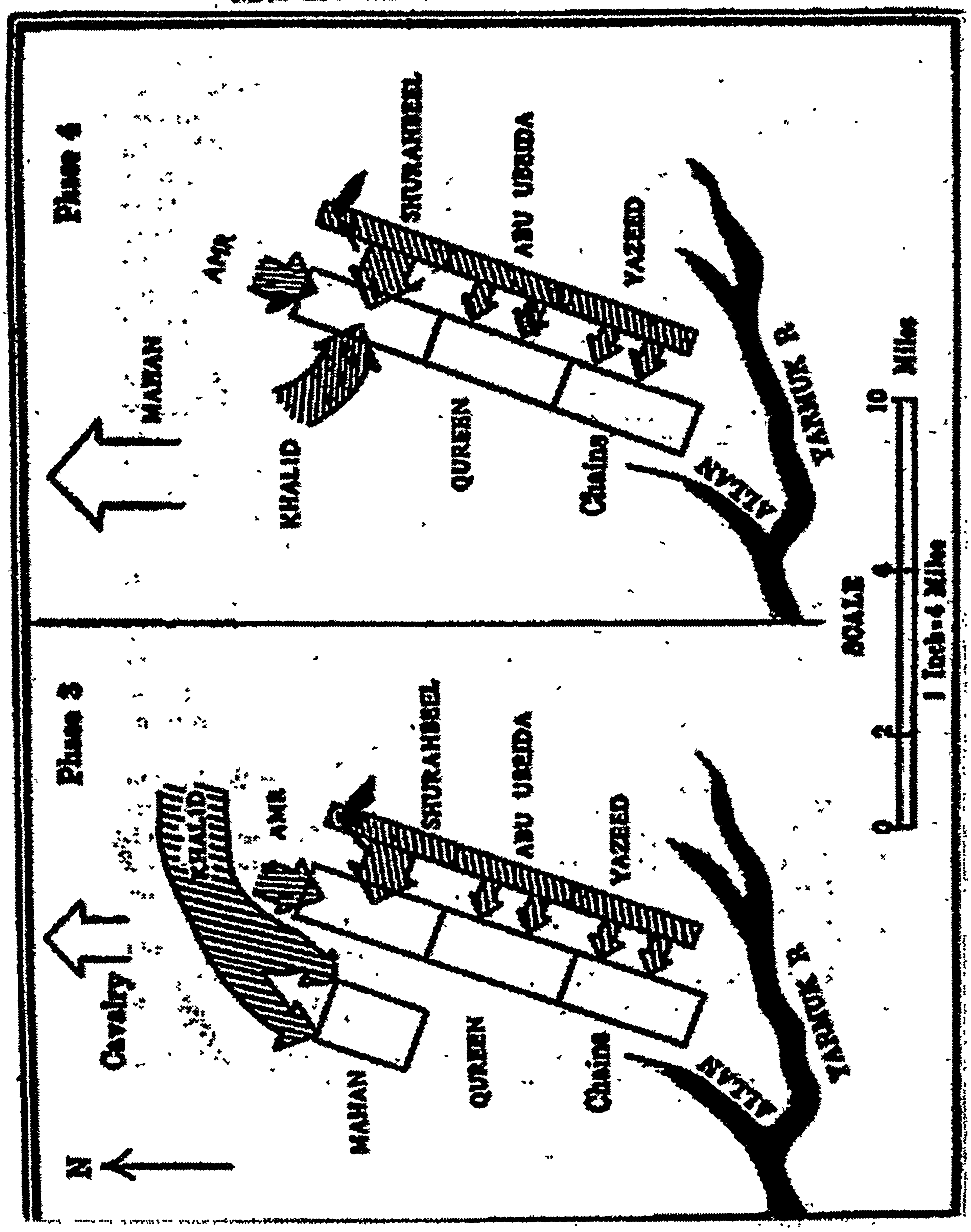
---

[61] ورد شرح معركة اليرموك فى التعليق على كتاب فن الحرب لسون تزو كذلك وردت فى التعليق على كتاب فى فن الحرب لنيكولو ماكيافيللى لشرح مبدأ عسكرى آخر ولكنى لم أجد مثالا أفضل منها لشرح المبدأ الخمسين لنابوليون

معركة اليرموك قام خالد بوضع خطة جزئية لهجوم فقد خطط لإخراج الفرسان الرومان من ميدان القتال مستخدما فى ذلك تشكيل الفرسان الذى يقوده وبذلك يُصبح الجيش الرومانى عاريا وفاقدا لدعم الفرسان وبذلك يتمكن خالد من الهجوم عليه من أى من الأجناب أو من المؤخرة وفى نفس الوقت خطط للقيام بهجوم خاسم على ميسرة الجيش الرومانى لدفعه باتجاه الوادى الواقع إلى الغرب وبينما كان القلب والميمنة للجيش الإسلامى يشتبك مع الجيش الرومانى من الأمام قام خالد بدفع قوات الفرسان تحت قيادته بحيث يقوم جزء منها بمهاجمة الجناح الأيسر الرومانى أما الجزء الآخر فيقوم فى نفس التوقيت بمهاجمة الفرسان الرومان على اليسار بينما تقوم قوات مشاة ميمنة جيش المسلمين بالهجوم من الأمام على القوات الرومانية التى كانت تتكون فى هذا الجانب من المشاة الصقالبة وقد حاولوا صد الهجوم ولكنهم ما لبثوا أن تداعوا تحت ضغط المشاة المسلمين خصوصا عندما فقدوا دعم الفرسان نتيجة لمناورة خالد بن الوليد ومن ناحية أخرى نجح هجوم الفرسان المسلمين فى تشتيت الفرسان الرومان فتراجعوا تحت وطأة الهجوم ولاحظ فاهان Vahan القائد الرومانى تشكيل الفرسان الضخم الذى يقوده خالد بن الوليد فامر قوات الفرسان بالتجمع ولكن هجوم الفرسان المسلمين لم يمهله حيث شن خالد بن الوليد هجوما خاطفا من الأمام ومن الأجناب على الفرسان الرومان التى كانت تحاول الاحتشاد وتنظيم صفوفها لاتخاذ تشكيل قتالى وكانت قوات الفرسان الإسلامية خفيفة الحركة وبلا دروع تقريبا مما منحها مزية نسبية من ناحية سرعة الحركة والقدرة العالية على المناورة أمام قوات الفرسان الرومانية الثقيلة كثيفة التدريع وما لبث هجوم خالد ان حقق نتائجه فأنهارت مقاومة الفرسان الرومان وتبعثروا هاربين نحو الشمال تاركين المشاة الرومان عرضة لهجوم كاسح من ثلاثة جهات فمع انسحاب

الفرسان الرومان ركز خالد مجهوده على مهاجمة مؤخرة ميسرة القوات الرومانية واضطروا للانسحاب وأخذت صفوف المشاة الرومانية فى التراجع بغير انتظام نحو قلب الجيش الرومانى وسرعان ما كان الجيش الرومانى كله ينسحب نحو الممر حيث كانت قوات الفرسان تغلق الطرق الأخرى عليهم فلم يبق لديهم سوى طريق واحد للانسحاب وهو الطريق المؤدى إلى وادى الرقاد وعلى أثر ذلك قاد خالد بن الوليد فرسانه باتجاه الشمال الغربى بحيث لا تتمكن أية قوات من الهروب من ذلك الاتجاه إلا أن عدة آلاف من فلول الجيش الرومانى تمكنت من الهرب باتجاه دمشق وكجزء من خطة خالد كانت قوات من الفرسان المسلمين قوامها خمس مائة فارس قد احتلت جسر عين الذكر فى الليلة السابقة على المعركة لتسد الطريق على القوات الرومانية التى قدر خالد بن الوليد أنها ستنسحب من هذا الاتجاه عند الضغط عليها وفى الحقيقة فإن هذا هو بالضبط الطريق الذى أراد خالد بن الوليد أن ينسحب الرومان عبره فبعد أن سمح لهم بالانسحاب عن طريق الضغط عليهم من ثلاثة جهات وإخلاء طريق واحد لإجبارهم على الانسحاب عبره أصبح الرومان الآن محاصرين فوقع بعضهم فى الوادى الذى يبلغ عمقه مائتى مترا وحاول البعض الفرار عبر الماء ولكنهم إما غرقوا أو تحطمت أجسادهم على الصخور أما الآخرون فقد قتلوا أثناء القتال واستسلم من بقى منهم على قيد الحياة وهكذا هزم جيش يزيد فى عدده على مائتى ألف أمام قوة يبلغ عددها على أكثر تقدير ستة وثلاثين ألفا .

MAP 25: AL YARMUK—SIXTH DAY, II



تبين الخريطة هجوم الفرسان على جناح الجيش الرومانى
بينما يشتبك معهم المشاة من الأمام

المبدأ العسكرى ٥١

إن من وظائف المشاة أن تتابع النصر وأن تمنع قوات العدو المهزومة من التجمع.

المبدأ العسكرى ٥٢

إن المدفعية أكثر ضرورية للفرسان من المشاة لأن الفرسان لا يستطيعون إطلاق النار ولا يقاتلون إلا من قريب ولمعالجة هذا العيب تم اللجوء إلى مدفعية الفرسان ولذلك فإنه يجب دائما أن يكون الفرسان مصحوبين بالمدفعية سواء عند الهجوم أو عند بقائهم فى مواقعهم أو عندما يقوم بالتجمع.

المبدأ العسكرى ٥٣

يجب أن يكون الجزء الأساسى من المدفعية مع فرق المشاة والفرسان سواء كان ذلك أثناء السير أو فى المواقع ويجب أن يتم الاحتفاظ بالباقى كاحتياطى ويجب أن تكون كل قطعة مصحوبة بثلاثمائة شحنة من البارود والكرات هذا إلى جانب محتوى صندوق الذخيرة وتلك تقريبا الكمية التى يتم استهلاكها فى معركتين.

المبدأ العسكرى ٥٤

يجب أن يتم وضع البطاريات فى المواقع التى تتمتع بافضل المزايا على الإطلاق وأمام خطوط المشاة والفرسان كلما كان ذلك ممكنا وبدون المخاطرة بالمدافع فمن المطلوب أن يكون للمدافع السيطرة على الميدان بارتفاع المكان الذى يتم نصبها عليه ولا يجب تعويق حركتها من اليمين أو اليسار بحيث تكون قادرة على إطلاق النار فى كل الاتجاهات.

المبدأ العسكرى ٥٥

يجب على الجنرال أن يتجنب وضع قواته فى ثكنات مريحة طالما كانت لديه الفرصة فى جمع مخازن المؤن والطعام وبهذا يوفر تلك الاحتياجات لجنوده.

أى أنه يجب أن يتمتع الجنود والضباط بالخشونة وبالقدرة على التكيف مع الظروف المعيشية الصعبة حتى يتمكنوا من القتال كجنود حقيقيين وتحملوا الظروف الصعبة التى قد يلاقونها فى بعض المعارك من قلة المياه والطعام وسوء الأحوال الجوية والحملة الفرنسية على مصر تحمل دروسا من هذا النوع فبعد زحف القوات الفرنسية على دمنهور بعد أن أتمت احتلالها لمدينة الإسكندرية عقد مؤتمر عسكرى عاصف ضم قادة الحملة وعلى رأسهم نابوليون ووجه الجميع النقد لسياسة نابوليون والأخطاء التى ارتكبها والتى نتج عنها خسائر فى الأرواح وكاد الجنود أن يهلكوا لقلة الماء والطعام أحيانا وهذا وإن كان صحيحا إلا أن نابوليون

بونابرت فى مذكراته يسجل أن قواته لم تكن على القدر المطلوب من الخشونة فيتحدث عن هذا المؤتمر قائلا " إن القواد والضباط جهروا بتذمرهم جهرا أشد حتى من الجنود وزاد فى مشقة هذا الضرب من الحرب عليهم عظم الفرق بينه وبين أسباب الراحة التى نعموا بها فى القصور والمقاهى الإيطالية ". ونقل عنه بعد ما ذهب إلى منفاه فى سانت هيلانه قوله " ليس فى الدنيا جيش اقل استعدادا للقيام بحملة على مصر من الجيش الذى قدته هناك وهو جيش إيطاليا ومن العسير أن يصف المرء ما كان عليه هذا الجيش من تقزز وسخط واكتئاب وقنوط فى الأسابيع الأولى التى مكثها فى مصر " ويقول كريستوفر هيرولد ان المشاق البدنية لم تكن هى السبب الوحيد وإنما كان الإحساس بالانفصال وعدم القدرة على السيطرة على النفس وهو ما يفصح بجلاء عن ضعف قدرة الجيش الفرنسى الذى كان ينعم بأماكن اللهو فى فرنسا وإيطاليا على القتال فى جو صحراوى حارق مثل جو مصر.

المبدأ العسكرى ٥٦

الجنرال الجيد والضباط الجيدون وصف الضباط الجيدون والتنظيم الجيد والتعليمات الجيدة والانضباط الصارم يصنعون قوات جيدة بغض النظر عن القضية التى يحاربون من أجلها ولكن الحماسة وحب الوطن والرغبة فى الإسهام فى المجد القومى قد تمنح القوات الصغيرة ميزة.

فى الفصل الرابع (الأوضاع التكتيكية) يقول سون تزو فى الفقرة السادسة عشرة " القائد النابه هو الذى يغرس القانون الأخلاقى ويلتزم

التزاما صارما بالنظام والانضباط وهكذا يكون بمقدوره التحكم فى النجاح " وفى كتابه يؤكد سون تزو فى أكثر من موضع على أهمية الالتزام بالانضباط ويضعه من ضمن العوامل التى تؤدى إلى النصر أو الهزيمة وفى نفس السياق يتناول كارل فون كلاوزفيتس فى كتابه " فى الحرب " الموضوع بشكل اعم ويتحدث عن العوامل التى تمكن الجيش من أن يصبح قوة ضاربة محترفة مؤكدا على ضرورة اجتماع الروح المعنوية مع الخبرة والانضباط بطريقة توضح هذا المبدأ بشكل أكثر تفصيلا وتجعل من كل عامل من العوامل التى تناولها نابوليون أمرا لا غنى عنه فى المنظومة العسكرية فلا يمكن الاستغناء عن الانضباط كما انه لا يصنع وحده جيشا محترفا بل لا بد أن يصقل هذا الانضباط بالخبرة وبالمعارك فيقول " لا ينبغى أن نقارن الخيلاء والإحساس المفرط بالذات الذى يسرى فى جيش عامل كل ما يربطه ببعضه البعض هو لوائح الخدمة العسكرية وكتيبات التدريب مع الروح النبيلة للمحاربين القدماء الذين يقفون فى صف واحد تغطى وجوههم الندوب والمتمرسين على القتال فالجدية والانضباط الصارم قد يحتفظان بالفضائل العسكرية لوقت طويل ولكنهما لا يستطيعان خلقه أبدا إذا فتلك الأمور لها قيمة ما ولكن لا يجب المبالغة فى تقييمها فالنظام والذكاء وقوة الإرادة ودرجة ما من الفخر والمشاعر الجياشة هى أيضا من الصفات الحميدة لجيش يتم تشكيله فى وقت السلم ولكن ليست كافية بذاتها فالكل يحافظ على الكل فالزجاج الذى يصل إلى درجة برودة شديدة ان أصابه صدع واحد أنشقت كل كتلته وقبل كل شىء فالروح القوية تنكسر إذا ما أصابها اليأس ..... فمثل هذا الجيش يمكنه تحقيق شىء ما فقط من خلال قائده ويجب قيادته بحذر مضاعف حتى يصقله النصر والمصاعب لتتحول قوته إلى درع كامل فاحذر إذن من الخلط بين الروح المعنوية للجيش ومزاجه "

المبدأ العسكرى ٥٧

من الصعب جدا على أمة ما ان تؤسس جيشا عندما لا يكون لديها مجموعة من الضباط وصف الضباط تعمل كنواة (عندما لا يكون لديها) منظومة لنظام عسكرى.

المبدأ العسكرى ٥٨

إن من أول سمات الجندى هى الجلد فى احتمال التعب والصعاب وتأتى الشجاعة فى المرتبة الثانية فقط فالفقر والحرمان والحاجة هم مدرسة للجندى الجيد.

المبدأ العسكرى ٥٩

هناك خمسة أشياء لا يجب أن يستغنى عنها الجندى أبدا، بندقيته وعلبة الذخيرة الخاصة به وجربنديته ومؤنه لمدة أربعة أيام على الأقل وبلطته القصيرة قلل جربنديته إلى أصغر حجم ممكن أن كنت تعتبر ذلك ضروريا ولكن دع الجندى دائما يحملها.

يرتبط الوزن الذى يحمله جندى المشاة ارتباطا عكسيا بخفة الحركة والقدرة على المناورة ففى اليوم الأول لمعركة السوم Somme على سبيل المثال والتى دارت فى عام ١٩١٦ أثناء الحرب العالمية الأولى بين قوات كل من بريطانيا وفرنسا وأستراليا من جانب وألمانيا من جانب آخر كان

على الجنود البريطانيين في الموجات الأولى أن يحملوا ٣٢ كيلو جراما من العتاد يشمل بنادق وسونكيات وذخيرة وقنبلتين ومعدات لحفر الخنادق وشكائر رمل فارغة ومقصات لقطع الأسلاك وطلقات مضيئة وكان لتلك التكتيكات اعظم الاثر في أحداث أكبر الخسائر في صفوف القوات البريطانية حيث كان جندى المشاة البريطاني يرزح تحت وطأة الوزن الذى يحمله ويسير سيرا بطيئا مما يجعله هدفا سهلا للرشاشات الألمانية وقد أجريت تجربة في كلية ساندهيرست Sandhurst العسكرية الملكية البريطانية لتقصى افضل ما كان يمكن فعله لتفادى الخسائر البريطانية فوجد أن الخسائر تصل إلى عشرين في المائة فقط إذا تخلى الجنود عن الأوزان التى كانوا يحملونها وبدلوا طريقة الهجوم من السير في موجات إلى الركض عبر ميدان القتال وكذلك ففى حرب العاشر من رمضان كان تقدير اليادة المصرية أن تبدأ المعديات على جنود الموجات الأولى للمشاة أن يحملوا أوزانا فى العمل بعد حوالى من ٥ إلى ٧ ساعات بعد بدء العبور وتعمل الكبارى بعد ذلك بساعتين أى أنه كان على جنود المشاة أن يواجهوا الهجمات المضادة المدرعة طوال هذه المدة ولذا كان عليه أن يحمل عددا مناسبا من الأسلحة المضادة للدروع والصواريخ المضادة للطائرات إضافة إلى الذخائر والطعام والمياه التى تكفيه ليوم واحدعلاوة على الألغام المضادة للدبابات وقاذفات اللهب فتمت صناعة شدة ميدانية يمكنها توزيع كل هذا القدر من الأحمال على الجسم بشكل جيد ثم تم ادخال عربة جر ميدانية يمكنها أن تحمل مائة وخمسين كيلوجراما من الذخائر ويقوم بجرها اثنان من الجنود وهو حل ممتاز فالعربة تحمل الأوزان الضرورية وفى نفس الوقت لا تعيق حركة الجندى فتسبب خسائر عالية.

المبدأ العسكرى ٦٠

يجب عليك بكل الطرق أن تشجع الجنود على الاستمرار فى الخدمة ويمكنك فعل ذلك بسهولة عن طريق إظهار تقدير كبير للجنود القدامى ويجب أيضا أن يتناسب الراتب مع عدد سنوات الخدمة فليس من العدالة فى شىء أن تعطى راتبا للمجند الجديد يتساوى مع رتب المحارب القديم.

يتحدث نابوليون هنا عن نظام الخدمة الاختيارى الموجود حتى الآن فى دول كثيرة ومنها أمريكا وفرنسا وبريطانيا وألمانيا وحتى إسرائيل ولكن بطبيعة الحال لا ينطبق هذا الأمر على القوات العاملة فى الدول التى تتبع نظام التجنيد الاجبارى وإن كان من الحكمة زيادة المقابل المادى بشكل يتناسب تناسبا طرديا مع عدد سنوات الخدمة وهو تقريبا نفس النظام المعمول به حتى فى الدول التى تتبنى نظام التجنيد الإجبارى

المبدأ العسكرى ٦١

لا تحول الخطب الجنود عند لحظة الاشتباك إلى شجعان فالمحاربين القدماء لا يكادون يستمعون إليها والمجندون الجدد ينسونها عند أول طلقة مدفع وإن كان هناك نفع على الإطلاق للخطب والمناقشات فإن ذلك يكون أثناء الحملة عن طريق الرد على التقارير الكاذبة ومقاومة أسباب السخط وهو ما يحفظ الروح المعنوية فى المعسكر ويوفر مادة للكلام فى المبيتات ويمكن بلوغ هذه الأهداف العديدة عن طريق الأوامر اليومية المطبوعة.

صحيح أن الخطب لا تحول الجبناء إلى رجال شجعان ولكنها أمر لا

غنى عنه فى الحروب فبعث روح الحماس والقوة فى الجنود هو من الفنون التى لا بد للقائد الناجح أن يجيدها وتوجيه الجنود نحو غاية معينة وشرح عدالة قضيتهم التى يحاربون من أجلها هو أمر غاية فى الأهمية فلا بد أن يكون الجندى مقتنعا بعدالة القضية التى يقاتل من اجلها تماما مثل القائد ولا يتناقض ذلك مع ضرورة أن يكون الجندى محترفا مطيعا للأوامر بل إن تحميس الفرد المقاتل وإشعال روحه المعنوية قد يزيد من قدرة الفرد على القتال بلا شك ومثلما يجب أن يتم توضيح الحقائق للجنود وتفنيد التقارير الكاذبة والشائعات التى يبثها العدو بغرض تدمير الروح المعنوية للقوات المحاربة من خلال تبيان الحقائق بما لا يخل بمبدأ الامن وتوعية الجنود ببعض الحيل التى قد يتخذها العدو سبيلا لخداع القوات فإن الأمر على هذه الصورة لا يكفى لرفع الروح المعنوية بل يبدو أقرب للدفاع السلبى ضد ما يقوله العدو وسرعان ما ستجد شائعات العدو من بين الجنود من يصدقها ولن تجدى أساليب إزالة سخط الجنود عن طريق الطعام الجيد والراحات وما إلى ذلك من وسائل فى الحفاظ على الروح المعنوية للقوات فما أيسر أن يصدق الجنود البسطاء الشائعات فعلى سبيل المثال أطلق الحلفاء أثناء الحرب العالمية الأولى إشاعة مفادها أن ألمانيا أنشأت مصنعا لتحويل الجثث إلى سلع عسكرية وسرعان ما صدقت الجماهير تلك الادعاءات فليس إذا من الصعب أن يتقبل الجندى البسيط الإشاعة مهما كانت غرابتها ومهما كان بعدها عن المنطق السليم، إذا فهذه الطريقة العلمية نوعا ما فى تناول وتفنيد التقارير الكاذبة كما يصفها نابوليون قد تجدى نفعا مع قطاع من الجنود المتعلمين بينما لا تجدى نفعا مع قطاع آخر سيشعر حتما بالحماسة والرغبة فى القتال والإيمان بعدالة قضيته ويتحول إلى آلة للقتل إذا جاز التعبير إلا عندما يستمع لكلمات رنانة مجنحة تداعب شعوره بالفخر بجيشه أو بوطنه .. إلخ ومن ناحية أخرى فاساليب الحفاظ على الروح المعنوية للقوات عن طريق توفير الطعام وخلافه قد لا تجدى فى

أغلب الأحيان نفعا مع الفرد المثقف الذى نال قسطا معقولا من الثقافة يؤهله بشكل جيد لتخليل الوقائع والحكم على الأمور فينبغى إذا أن يتم انتهاج سياسة ذات شقين احدهما سلبى والآخر إيجابى، والشق الايجابى هو رفع الروح المعنوية للجنود باستمرار وبث المبادئ التى تحض على القتال من اجل الوطن والأرض والشرف والفخر ... إلخ ويختلف سون تزو مع نابوليون فى هذه الناحية فنجده فى كتابه يقول فى الفصل الثانى (شن الحرب) ما نصه " ولأجل قتل العدو ينبغي على رجالنا أن يتم تحميسهم إلى درجة الغضب، وليكون هناك ميزة تعود عليهم من هزيمة العدو يجب أن يأخذوا نصيبهم من المكافآت " فهو هنا يتحدث عن شقين الشق المادى والشق المعنوى وما يعنينا هنا هو الشق المعنوى الذى أشار إليه بتعبيره " تحميس الرجال إلى درجة الغضب " والمقصود بهذا الوصول بالمقاتلين إلى درجة الاستعداد النفسى القصوى لبذل أرواحهم فى سبيل عدالة قضيتهم ولا شك فى أن الجندى الذى يقاتل لأنه تلقى أوامر بالقتال يختلف بشكل كبير عن الجندى الذى تلقى الأمر بالقتال وهو يريده، إن الوصول بالروح المعنوية للقوات المقاتلة إلى درجة الاشتعال التى تجعل منها طوفانا مندفعا كاسحا ينطلق فى وجه الأعداء هو أمر لا يقل أهمية عن الحفاظ على الانضباط الصارم والتدريب العنيف وكانت تلك الموهبة من الأمور التى اشتهر بها القادة الكبار على مر التاريخ فنجد طارق بن زياد عند بداية فتح الأندلس يخطب خطبة بليغة فى رجاله بعد ما عبر بجيشه مضيق جبل طارق حيث خطب في جنوده قائلاً:

" أيها الناس، أين المفر البحر من ورائكم، والعدو أمامكم، وليس لكم - والله- إلا الصدق والصبر، واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته، وأقواته موفورة، وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم، ولا أقوات إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم، وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم، ولم تنجزوا لكم أمرًا ذهبت

ريحكم، وتَعَوَّضتِ القلوب من رعبها منكم الجراءة عليكم، فادفعوا عن أنفسكم خِذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية، فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة، وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن، إن سمحتم لأنفسكم بالموت " واستمر طارق بن زياد يخطب فيهم إلى أن قال " وإني عند مُلتقى الجمعين حامل نفسي على طاغية القوم لذريق، فقاتله -إن شاء الله- فاحملوا معي، فإن هلكت بعده فقد كفيتكم أمره، ولم يعوزكم بطلب عاقل تسندون أموركم إليه، وإن هلكت قبل وصولي إليه؛ فاخلفوني في عزيمتي هذه، واحملوا بأنفسكم عليه، واكتفوا لهم من فتح هذه الجزيرة بقتله؛ فإنهم بعده يُخذلون " وكان لخطبته هذه أبلغ الأثر في تحميس جنوده فانطلقوا لمحاربة الأسبان في المعركة التي عرفت فيما بعد باسم معركة وادي لكة، والتحموا معهم في قتال ضار دام ثمانية أيام، ومهدت هذه المعركة لفتح الأندلس بالكامل فيما بعد. وخلال حرب البلوبونيز التي دامت عشرين عاما ضد إسبرطة وقف الملك الإسبرطي آرخيداموس Archidamos في قواته قبل حملته على أثينا وخطب فيهم قائلا " يا أهل البليبونيز وحلفائهم لقد اشتبك آباؤنا في حملات عدة داخل البليبونيز وخارجها وكبار الرجال في جيشنا هذا ليسوا قليلي الخبرة في الحرب، ومع ذلك فإننا لم نزحف قط في عدد أكبر من عددنا الآن ومثلما نتحرك نحن الآن في أعداد أكبر وبعزة أقوى مما كنا عليه في أي وقت مضى فإن المدينة التي نزحف ضدها الآن تقف في ذروة قوتها ولذلك فإننا يجب ألا نكون أقل من آبائنا وألا نكون أقل مما عرف عنا واشتهرنا به. وإن اليونان كلها تراقب تحركنا بلهفة ... فتذكروا إذن أنكم تزحفون ضد مدينة عظيمة وفكروا أيضا في المجد أو إذا انعكست الأمور في العار الذي سوف تجلبونه لأسلافكم ولأنفسكم وإذ تذكرون كل هذا اتبعوا قائدكم وانتبهوا أعظم انتباه إلى النظام والأمن وأطيعوا من فوركم ما تتلقونه من أوامر فإن أفضل وآمن الأمور يكون

حين تنتظم قوة عظيمة حتى لتبدو وهي تتحرك مثل رجل واحد. ونذكر هنا أن هتلر دفع بأجيال كاملة من شباب ألمانيا إلى آتون الحرب بخطبه الرنانة وبإجادته لفن الدعاية وتحريك الجماهير فكان يتعمد أن يصعد إلى المنصة التي سيلقي خطابه من عليها تصحبه دقات الطبول وفي إضاءة خافتة تجعل جمهور المستمعين مخدرا منساقا وراء كلماته التي كان يبث بها فيهم روح الحماسة والتعصب، من ناحية أخرى قد لا تجدى الأوامر المطبوعة فى الحفاظ على الروح المعنوية إلا إذا كانت مصحوبة بسياسة ذات شقين كما سبق احدهما مادى والآخر معنوى ومما يدعو للاستغراب ان نابوليون جرب الوسيلة نفسها فى حملته على مصر ولم تفلح فبعد أن أصدر الأوامر لقواته بالزحف على دمنهور وعانت الفرقتان التان أرسلهما من الجوع والعطش وهلك بعض الجنود فى الطريق إما جوعا وعطشا وإما بسبب هجمات البدو التى لم تنقطع، أخذ قائدا الفرقتين فى الإلحاح على نابوليون بإرسال المؤن اللازمة لإعاشة القوات وأرسلا له أكثر من مرة يلحون فى طلبهما فما كان منه إلا أن أرسل المنشور العجيب الذى كان قد أمر بطباعته وتوزيعه عند وصوله إلى مصر وإنه لمن المضحك تصور رد فعل القادة عندما تلقوا هذا المنشور فلا بد أنهم شعروا بالسخط أو مزقوا المنشور، لاعنين نابوليون ومنشوره

المبدأ العسكرى ٦٢

الخيام مضرة بالصحة والمعسكرات المقامة فى العراء أفضل كثيرا للجندى حيث إنه يمكنه النوم وقدمه باتجاه النار والتى سرعان ما تجفف الأرض التى يرقد عليها وعدة ألواح أو ملجأ صغير من القش تقيه من الرياح غير أن الخيام ضرورية للقادة الذين عليهم الكتابة والاستعانة بالخرائط ولذا يجب إعطاؤها إلى الضباط الكبار والذين يجب إصدار الأوامر إليهم بألا يبيتوا أبدا فى البيوت وتجتذب الخيام استطلاع قيادة أركان العدو وتفصح عن إعدادك والموقع الذى تحتله ولكن ان كان هناك جيش يعسكر فى العراء فى صفين أو ثلاثة صفوف فلا يمكن إدراك أى شىء على البعد إلا الدخان والذى قد يخلط العدو بينه وبين الضباب فى الجو ولا يمكنه أن يعد النيران.

المبدأ العسكرى ٦٣

إن المعلومات التى يتم الحصول عليها من الجواسيس ينبغى أن يتم تقييمها حسب قيمتها الحقيقية فالجندى نادرا ما ينظر إلى ما هو أبعد من سريته بينما يفعل الضابط ذلك وفى الأغلب ما يكون منتبها إلى مواقع أو تحركات الفرقة التى ينتمى إليه فوجه ولذا فلا ينبغى على الجنرال أن يسمح لنفسه بتأكيد تخميناته فيما يتعلق بموقع العدو عن طريق اعطاء أى وزن لأقوال الأسرى إلا لو تطابقت مع تقارير الحرس المتقدم.

المبدأ العسكرى ٦٤

لا شىء فى الحرب أهم من وحدة القيادة ولذا فإنك عندما تقوم بشن أعمال عدائية ضد قوة واحدة فقط فلا يجب أن يكون لديك إلا جيش واحد فقط يعمل فى خط واحد ويقوده قائد واحد فقط.

المبدأ العسكرى ٦٥

إن تأثير المناقشات وإظهار المواهب والدعوة لعقد مجالس الحرب سيكون لها دائما نفس التأثير الذى كان لها فى كل العصور وستنتهى بتبنى أكثر القرارات جبنا إذا جاز التعبير وأكثر الإجراءات تعقلا والتى تكون على نفس الوتيرة فى الحروب هى أسوأ ما يمكن تبنيه فالحكمة الحقيقية بقدر ما يخص الجنرال تكمن فى القرار النشط.

فى الحقيقة ليس كل ما يذكره نابوليون هنا من الأمور المسلم بها ويبدو الأمر نوعا من الغضب أو التحيز لسياسة اتخاذ القرار داخل الجيوش المختلفة ويبدو هنا كما لو كان متأثرا بخبرته الشخصية وفى نفس الوقت نجده كما لو كان يفضل اتخاذ القرار من جانب القائد فقط والتحلل من أية قيود قد تفرضها عليه القواعد المستقر عليها منذ القدم والواقع أن نابوليون كان ديكتاتورا فى اتخاذ قراراته ولم يكن يسمح لأحد بمعارضته وهو وإن كان يتمتع بقدر لا شك فيه من العبقرية والنبوغ العسكريين إلا أنه لا بد للمرء أن يخطئ ويبدو أن طفولة نابوليون القاسية فى كورسيكا وفترة شبابه التى عانى فيها من شظف العيش فى باريس قد أثرتا بشكل كبير فى

رسم ملامح شخصيته الديكتاتورية[62] التى لا تقبل المعارضة، كانت قراراته باتة لا تقبل المناقشة، أوامر يجب على الكل طاعتها وإن كان فيها حتفهم وفى المقابل لم يكن نابوليون يتورع عن إلصاق تهمة الفشل بغيره بعد أن يثبت خطأ قراره فنجده فى معركة أبو قير وبعد تدمير الأسطول الفرنسى يلقى بالمسئولية كاملة على بروى قائد القوات البحرية المصاحبة له فى حملته على مصر على الرغم من انه كان من أصدر القرار بأن ترسو السفن فى ذلك الموقع ولا يتورع عن إلقاء المسئولية على عاتق رجل ميت وفى الحقيقة كان نابوليون ماكيافيليا، لا يتورع عن فعل أى شئ كان يجلب النفع مهما كانت الوسائل المتخذة غير أخلاقية ولم تكن تعنيه قيم مثل الشرف والطهر ونبل الأخلاق وكان كل ما يشغله هو مجده الشخصى، ويمثل قوله هنا تجسيدا لطبيعته الهجومية التى ترى الهجوم أفضل وسائل الدفاع " ويبدو متأثرا بمواقف وخبرات خاضها على الصعيد الشخصى فعلى سبيل المثال نجد نابوليون يتعرض للوم الشديد من قبل جنرالاته وضباطه فى مؤتمر عقده فى دمنهور حيث يروى احد العسكريين الفرنسيين القصة بقوله " ما كاد الاجتماع يبدأ حتى نفس القواد عن مشاعرهم المكظومة وانهالوا باللوم على نابوليون فالجرايات لم توزع وقت نزول الجنود إلى البر وهذا الإهمال نفسه كلف فرقة ديزيه أكثر من ١٥٠٠ من الضحايا بل إن الجنرال ميرور وهو من قواد المدفعية بلغ به الأمر أن يحكم على الحملة كلها فى خطبة طويلة بأنها مغامرة يائسة مستهترة وبعد أن استمع نابوليون فى صمت أجل الاجتماع وغادر الجلسة دون أن ينبس بكلمة " إذن لم تكن خبرة نابوليون ذاته مع المؤتمرات والاجتماعات العسكرية مما يسره وفى المقابل ربما يكون نابوليون قد

[62] كان نابوليون ديكتاتورا طاغية على المستويين السياسى والعسكرى حتى أنه لم يبق فى فرنسا سوى أربع صحف فقط بعد أن قام بغلق الباقى وكان يقول " لو أننى سمحت بصحافة حرة لما بقيت أكثر من ثلاثة أشهر"

تحيز مسبقا ضد فكرة إدارة الحرب هذه الطريقة المنظمة نتيجة لخلفياته التاريخة حيث كان نابوليون محبا لقراءة التاريخ والعسكرى منه على وجه الخصوص وقد امتلأت كتب التاريخ بأمثلة لمجالس الحرب تلك والتى تفضى فى النهاية إلى اتخاذ قرار جبان وأقرب لمصالح العدو من مصلحة الأمة التى يتم الاعتداء عليها، فعلى سبيل المثال عندما قرر الفرس غزو اليونان فى عام ٤٩٠ قبل الميلاد وعقد مجلس حرب طالب فيه ليونيداس ملك إسبرطة بحشد جيش قوى لمواجهة القوات الفارسية التى كانت تتمتع بتفوق عددى ساحق امتنع المجلس عن الاستجابة لطلب ليونيداس نظرا لإقامة الاحتفالات فى ذلك الوقت من السنة ولم يخرج معه سوى ثلاث مائة من الحرس الملكى.

المبدأ العسكرى ٦٦

هناك أشياء معينة فى الحرب لا يفهم أهميتها سوى القائد ولا شىء مثل ثباته الشديد وقدرته يستطيع التغلب على المصاعب وإخضاعها.

المبدأ العسكرى ٦٧

إن الترخيص للجنرالات والضباط بإلقاء اسلحتهم ليستسلموا بشكل خاص تحت أية ظروف غير أنهم يكونون جزءا من حامية موقع محصن ستتبعه بلا شك عواقب وخيمة، وفتح هذا الباب للجبناء وللرجال الذين تنقصهم القوة وحتى للرجال الشجعان الذين تم تضليلهم هو تحطيم للروح العسكرية للامة فالموقف الغير عادى

يتطلب تصميما غير عادى فكلما زادت مقاومة القوة المسلحة عنادا كلما زادت فرصها فى تلقى النجدة أو فى شق ممر لها فكم من الأشياء التى بدت مستحيلة وبالرغم من ذلك نفذها رجال ذوو تصميم[63] لم يكن أمامهم بديل سوى الموت.

المبدأ العسكرى ٦٨

لا يمكن لأى حاكم أو شعب أو جنرال أن ينعم بالأمن إذا ما سمح للضباط بأن يستسلموا فى الميدان ويلقوا بأسلحتهم بموجب اتفاقية فى صالحهم وفى صالح القوات التى يقودونها ولكنها ضد مصالح بقية الجيش، إن انسحابهم من أمام الخطر بأنفسهم وبالتالى تعريض مواقع رفاقهم للخطر هو أمر أكثر خطورة وهو عمل وضيع بشكل واضح ويجب أن يتم تجريم مثل هذا التصرف وأن يتم إعلانه تصرفا شائنا وأن يعاقب عليه بالموت، فالجنرالات والضباط والجنود الذين أنقذوا حياتهم أثناء المعركة عن طريق الاستسلام يجب أن يتم قتلهم، من يقود من عليهم الاستسلام وأولئك الذين يطيعونه هم سواء، خونة ويستحقون عقوبة الموت.

---

[63] ورد فى كتاب مذبحة الأبرياء في ٥ يونيو ١٩٦٧ للكاتب وجيه أباظة ذكر واقعة جرت أحداثها في بداية حرب الخامس من يونيو فى اليوم الأول وإن أغفلت معظم المراجع التي تكلمت عن تلك الحرب ذكرها، وهي أن ضابطًا مصريًا واحدًا قدم من غزة بعد احتلالها، ونجح وحده في التشبث بموقع يشرف على الصحراء الواقعة أمام مدينة العريش، وتمكن برشاش واحد أن يوقف تقدم قوات العدو لعدة ساعات، فما كان منهم إلا أن قصفوا موقعه بالطيران، فاستشهد من فوره، وذهل قائد قوات العدو عندما وجد أن ما كان يمنع قواته من دخول مدينة العريش هو رشاش واحد يدير نيرانه ضابط واحد فقط، فدفنه وهو يؤدي له التحية العسكرية

المبدأ العسكرى ٦٩

هناك فقط طريقة واحدة مشرفة لأسرى الحرب وهى أن يتم أسره وحده وعندما لا يعد قادرا على استخدام سلاحه ولا توجد هناك شروط لأنه لا يمكن أن توجد شروط تتوافق مع الشرف غير أن يكون الجندى مجبرا على الاستسلام لضرورة مطلقة.

المبدأ العسكرى ٧٠

إن سلوك الجنرال فى دولة تم غزوها محاط بالصعوبات فإذا ما كان صارما فإنه يسخط أعدائه ويزيد من عددهم وإذا كان لطيفا فإنه يلهمهم بالآمال التى يتسبب الفشل فى تحقيقها فى وجود مطاعن وتكون مصدرا للتهييج مما يجعل نشوب حرب وشيكة أمرا لا يمكن تجنبه والجنرال الفاتح لا بد وأن يعرف كيف يستخدم بشكل متعاقب الصرامة والعدالة والتساهل فى قمع أو منع الاضطرابات.

يبتعد نابوليون بونابرت فى هذه الفقرة قليلا عن الشئون العسكرية ويتحدث كسياسى ولا ينسى أنه كان إمبراطورا وحاكما لدولة كبيرة ويورد بشكل عام كيف يمكن للقائد الفاتح أن يتعامل مع الأمة التى قام بغزوها وفى كتابه بونابرت فى مصر يصف كريستوفر هيرولد بإسهاب كيف كان نابوليون يحاول إحكام سيطرته على مصر فيقول " ليس لدينا دليل على أن بونابرت كان يستمتع بأعمال الثأر أو الانتقام أو يمقتها فلا هو بالقاسى ولا الرحيم ولا هو بالوحشى ولا الرقيق الطبع ولكن العدوان فى رأيه يجب أن

يعاقب، لئلا يكون إهمال عقابه تشجيعا له ومن ثم كانت جماعات وقرى بأكملها تحرق وتنهب بأمره وقطعان الغنم والماشية وهى مورد الرزق الوحيد لقبائل البدو تنتزع منها والرؤوس تطيح بالعشرات وكتب للجنرال مينو فى ٣١ يوليو يقول فى كل يوم آمر بقتل خمسة أو ستة فى شوارع القاهرة " وفى موضع آخر يقول هيرولد "كان هذا التلميذ النجيب لمكيافيللى يرى أن الشدة إذا التزمها المرء تولد الاحترام لا الكراهية وتحقن الدماء فى النهاية أكثر من اللين الأخرق "

المبدأ العسكرى ٧١

لا يمكن التماس العذر للجنرال الذى يستفيد من المعرفة التى اكتسبها أثناء خدمته لبلاده فى تسليم متاريسه لأمة أجنبية وتلك جريمة تمقتها مبادئ الدين والأخلاق والشرف.

المبدأ العسكرى ٧٢

لا يمكن للقائد العام أن يتحلل من المسئولية عن أخطائه بادعائه صدور أمر من الحاكم أو من الوزير عندما يكون الشخص الذى يتحدث عنه بعيدا عن ميدان العمليات وليس على علم إلا بشكل جزئى أو ليس على علم على الإطلاق بالظروف الحقيقية للأمور وبناءا على ذلك فإن هذا يستتبع أن كل جنرال يقوم بتنفيذ خطة هو على علم بكونها سيئة يكون مذنبا وعليه أن يقوم بأبلاغ أسبابه وأن يصر على خطته ثم فى النهاية عليه أن يستقيل من منصبه بدلا من أن يصبح أداة لتدمير جيشه وكل قائد عام يقوم

بشن معركة بناءا على أوامر صادرة له من رؤسائه وهو على يقين من الهزيمة يكون مذنبا بشكل مساو وفى تلك الحالة الأخيرة عليه أن يرفض أن ينصاع للأوامر لأن الأمر يتطلب طاعة سلبية عندما يصدره رئيس أعلى يجلس على مقعد الحرب لأن الرئيس الأعلى يكون حينئذ على علم بحالة الامور ويمكنه الاستماع للاعتراضات وتقديم الشروح اللازمة للضباط الذين يقومون بالقيادة ولكن لنفترض أن القائد العام يتلقى أمرا من الحاكم بالدخول فى معركة مع نية أن يمنح خصمه نصرا ويصبح هو مهزوما، فهل عليه أن يطيع ؟ لا ! إذا أدرك الجنرال نفع قرار عجيب كهذا فعليه أن ينفذه ولكن إذا لم يفعل فعليه أن يرفض الانصياع للأوامر.

المبدأ العسكرى ٧٣

إن أول مؤهلات القائد العام هى أن يمتلك قلبا باردا بحيث يمكن للأشياء أن تظهر له فى أبعادها الحقيقية وكما هى حقا ويجب ألا يزعج نفسه بأن يتأثر بلا داعى بالأخبار الجيدة أو السيئة، ويجب أن يقوم بتصنيف الانطباعات التى تعرض لعقله بشكل متوال أو متزامن أثناء اليوم فى ذاكرته بحيث تحتل كل منها مكانها الطبيعى لأجل التسبيب المنطقى والحكم على النتائج من خلال فحص كل من هذه الانطباعات المتنوعة كل على حدة ثم القيام بمقارنتها ببعضها البعض وهناك بعض الرجال الذين بسبب تكوينهم الجسمانى أو الأخلاقى يكسون كل شىء بألوان خيالهم وأيا ما كانت معارفهم ومواهبهم وشجاعتهم وكل السمات الأخرى الجيدة التى قد تكون

لديهم فإنهم غير مؤهلين لقيادة الجيوش وإدارة العمليات الكبيرة في الحرب.

المبدأ العسكرى ٧٤

أن يكون ملما بالجغرافيا والطوبوغرافيا للبلد وأن يكون ماهرا فى القيام بالاستطلاع وأن يكون منتبها عند إصدار الأوامر وأن يكون قادرا على إظهار البساطة فى أكثر تحركات الجيش تعقيدا تلك هى مؤهلات الضابط الذى يتم تعيينه فى منصب رئيس الأركان.

المبدأ العسكرى ٧٥

يجب على جنرال المدفعية أن يكون ملما بكل عمليات الجيش حيث إنه مجبر على توفير السلاح والذخيرة للفرق المختلفة التى يتكون منها الجيش ويجب أن تجعله اتصالاته بضباط المدفعية فى المواقع التقدمة على علم بكل تحركات القوات ويجب أن تكون إدارته لقواته الكبيرة مبنية على هذه المعلومات.

المبدأ العسكرى ٧٦

إن استطلاع الشعاب الجبلية والمخاضات النهرية بسرعة والحصول على الأدلاء الذين يمكن الوثوق بهم واستجواب

القساوسة والمسئولين عن البريد وإقامة تفاهم سريع مع السكان وارسال الجواسيس والاستيلاء على الخطابات والبريد وترجمة واستخلاص محتواها وباختصار إجابة كل أسئلة القائد العام عند وصوله مع كل الجيش تلك هى الواجبات التى تدخل فى نطاق (عمل) القائد الجيد فى الموقع المتقدم.

لكى يتم إقامة تفاهم مع السكان المحليين يجب أن يكون هناك عدد من الضباط ملما بلغة الدولة التى يقاتلون فيها وينقل ليفي Livy المؤرخ الرومانى الشهير مسجلا حملة هانيبال الشهيرة حيث أمر أحد الأدلة أن يقوده إلى ما بجوار كاسينوم Casinum حيث كان هناك ممر مهم ينبغي احتلاله ولكن لهجته القرطاجية لم تكن تناسب نطق الأسماء اللاتينية، وتسببت في أن يفهم الدليل أنه يقصد كاسيلينوم Casilinum بدلا من كاسينوم، وخرج من طريقه الصحيح وقاد الجيش في ذلك الاتجاه، ولم يتم اكتشاف الخطأ إلا عندما كانوا قد وصلوا تقريبًا.

المبدأ العسكرى ٧٧

ينبغى أن تمثل عبقرية القائد العام أو خبرته مرشدا له ويمكن تعلم تطور التكتيكات والفنون الهندسية والمدفعية يمكن للضابط أن يتعلمها من الابحاث ولكن القيادة يمكن اكتسابها فقط بالخبرة ودراسة حملات القادة العظام، فقد كان جوستافوس أدولفوس وتورين وفريديرك وكذلك الإسكندر الأكبر وهانيبال يعملون وفقا لنفس المبادئ وهى الإبقاء على قواتك متحدة وتؤمن النصر.

المبدأ العسكرى ٧٨

قم بقراءة حملات الإسكندر الأكبر وهانيبال وقيصر وجوستافوس أدوفوس وتورين ويوجين وفريدريك وأعد قراءتها، اجعلهم قدوة لك وتلك هى الوسيلة الوحيدة لتصبح جنرالا عظيما ولتجيد أسرار فن الحرب وعندما تستنير عبقريتك بهذه الدراسة فإنك سترفض كل المبادئ التى تتعارض مع مبادئ هؤلاء القادة العظام.

المبدأ العسكرى ٧٩

إن أول مبدأ للقائد العام هو أن يحسب ما يجب عليه أن يفعله وأن يبحث ما إذا كانت لديه كل الوسائل لتغلب على العقبات التى يمكن للعدو أن يضعها فى طريقه وعندما يقوم باتخاذ قراره لفعل كل شىء للتغلب عليها.

المبدأ العسكرى ٨٠

إن فن الجنرال فى الحرس المتقدم أو فى حرس المؤخرة هو أن يقوم باحتواء العدو بدون أن يعرض نفسه للخطر وأن يعطله ويجبره على أن يقضى ثلاثة أو أربعة ساعات للتقدم ميلا واحدا، والتكتيك يوفر الوسيلة الوحيدة لبلوغ مثل تلك النتائج العظيمة وهى أكثر ضرورية للفرسان منها للمشاة وللحرس المتقدم

وحرس المؤخرة أكثر من أى موقع آخر.

المبدأ العسكرى ٨١

إنه لأمر استثنائى وصعب أن نجد كل مؤهلات الجنرال العظيم تجتمع فى رجل واحد وأكثر السمات المطلوبة والتى تميز الرجل الغير عادى هو التوازن بين الذكاء والقدرة مع سمات شخصية أو شجاعة وإذا كا كانت الشجاعة غالبة فإن الجنرال سوف يخاطر أبعد مما تفرضه عليه أفكاره وعلى العكس فإنه لن يتجرأ على تنفيذ أفكاره إذا ما كانت سماته الشخصية أو شجاعته أقل من ذلك المستوى.

المبدأ العسكرى ٨٢

مع الجنرال العظيم لا يوجد أبدا ثمة استمرار للأعمال العظيمة والتى يمكن إرجاعها إلى الصدفة والحظ الحسن، فهى دائما نتيجة الحسابات والعبقرية.

المبدأ العسكرى ٨٣

لا يجب أبدا على القائد العام أن يسمح بأى راحة سواء لمن قام بالغزو أو لمن تم غزوهم

المبدأ العسكرى ٨٤

إن الجنرال الغير حازم الذى يعمل بلا مبادئ وبدون خطة حتى ولو كان يقود جيشا متفوقا عدديا على جيش العدو فدائما ما يجد نفسه فى موقف أقل من ذلك الأخير فى ميدان القتال فتحسس الطريق والضياع فى منتصفه كلها أشياء تتسبب فى خسارة الحرب.

المبدأ العسكرى ٨٥

إن جنرال المهندسين الذى يجب عليه أن يتخيل ويعرض ويوجه كل تحصينات الجيش يحتاج إلى قدرة جيدة فى الحكم على الأمور وقبل كل شىء يحتاج إلى عقل عملى.

المبدأ العسكرى ٨٦

يجب على جنرال الفرسان أن يكون مجيدا للعلم التطبيقى (تكتيكات وإستراتيجيات الفرسان فى الميدان) وان يعرف قمية الثوانى وان يزدرى الحياة ولا يثق بالصدفة.

المبدأ العسكرى ٨٧

إن الجنرال الموجود تحت سلطة العدو لا يعد لديه أوامر ليصدرها وكل من يطيعه فهو مجرم.

المبدأ العسكرى ٨٨

يجب أن تكون قوات الفرسان الثقيلة مع الحرس الأمامى ومع جرس المؤخرة وعلى الجناحين وفى الاحتياطى لتدعم قوات الفرسان الخفيفة.

المبدأ العسكرى ٨٩

إن من يرغب فى الاحتفاظ بالفرسان كاحتياط فى نهاية المعركة هو من ليست لديه أية فكرة عن قوة اتحاد الفرسان والمشاة فى الهجمات سواء فى الهجوم أو الدفاع

المبدأ العسكرى ٩٠

إن قوة الفرسان هى فى الاندفاع ولكن ليست سرعتها فقط هو ما يؤمن النجاح بل كذلك نظامها وتشكيلها واستخدام الاحتياطيات.

المبدأ العسكرى ٩١

يجب أن تشكل قوات الفرسان ربع الجيش فى الفلاندرز أو ألمانيا وعشرين بالمائة فى جبال البرانس أو الألب والسدس فى إيطاليا أو أسبانيا.

المبدأ العسكرى ٩٢

فى المعركة كما فى الحصار تكمن المهارة فى تركيز قوة نيرانية كبيرة على نقطة واحدة وبمجرد اندلاع المعركة فإن القائد الماهر سوف يقوم بفتح النار فجأة وبصورة غير متوقعة بعدد كبير مفاجئ من قطع المدفعية على واحدة من تلك النقاط وسيكون على يقين من الاستيلاء عليها.

يتشابه المفهوم فى هذه الفقرة مع العقيدة العسكرية الألمانية أثناء الحرب العالمية الأولى والتى تعرف باسم BLITZKRIEG أو الحرب الخاطفة والتى تتضمن قصفا أوليا بالطيران يتبعه استخدام القوات المميكنة للهجوم باستخدام عاملى السرعة والمفاجأة لمنع العدو من القيام بدفاع مترابط وكانت تلك الإستراتيجية التى استخدمتها ألمانيا لأول مرة فى الحرب العالمية الثانية أثناء غزوها لبولندا وفرنسا والاتحاد السوفييتى تعتمد بشكل كبير على المفاجأة والاختراق وضرب العدو فى أماكن لا يتوقعها لشل قدرته على اتخاذ ردود الأفعال الملائمة وتنبنى إستراتيجية الحرب الخاطفة على الأسس الثلاثة الآتية

نقطة التركيز

كان واضعوا النظرية يدعون إلى حسم المعارك أيا كانت ولهذا الغرض تم تطوير نظرية نقطة التركيز Schwerpunkt وهى النقطة التى تركز عندها مجهودات القوات وكانت القوات الأرضية الميكانيكية والسلاح الجوى تستخدم عند تلك النقطة فقط بأكبر قدر من التركيز كلما امكن وباستغلال النجاح المحلى الذى يحققه التركيز فى تلك النقطة تقوم قوة صغيرة بفتح ثغرة وتكتسب ميزة القتال عند مؤخرة العدو ويلخص ذلك

جودريان بقوله إن على القوات أن تسحق تلك النقطة سريعا لا ان تضيع وقتها ولتحقيق الثغرة تقوم القوات المدرعة بمهاجمة خط الدفاع للعدو مباشرة وتدعمها فى ذلك قوات المشاة الخاصة بها ونيران المدفعية والقصف الجوى ومن خلال تلك الثغرة كان بمقدور المدرعات أن تشق طريقها عبر الثغرة بدون ان تتسم بالبطء اللوجيستى الذى كانت تتسم به أفواج المشاة العادية ولم تكن القوات التى تقوم بالاختراق تضيع وقتها فى تأمين أجنابها أو فى اعادة التجمع بل كانت تستمر فى هجومها إلى عمق خطوط العدو وأحيانا بشكل مائل وكانت تلك المرحلة من الهجوم تدعى المفصل وأثناء المراحل الافتتاحية للهجوم كان من المفترض ان تحقق القوات الجوية التفوق الكامل على العدو وذلك عن طريق مهاجمة الطيران المعادى على الأرض وقصف المطارات وكذلك تدمير طائرات العدو فى معارك جوية والعنصر الأخير هو استخدام القوات المحمولة جوا وإسقاطها خلف خطوط العدو وذلك لتعطيل انشطته والاستيلاء على المواقع المهمة وبينما لا يمثل الاستيلاء على موقع ما فى حد ذاته جزءا من نظرية الحرب الخاطفة إلا أن التأثير الذى كان ينتج عنه كان باستطاعته ممتزجا مع العناصر الأولى التى سبق ذكرها أن يؤدى إلى إحداث آثار جيدة

شل الخصم

بعد تحقيق الثغرة والنفاذ إلى عمق دفاعات العدو ومؤخرة قواته كان الألمان يسعون إلى شل قدرات صنع القرار وسلسلته التنفيذية لدى العدو وذلك بالتحرك بشكل أسرع من قوات العدو وتقوم القوات الميكانيكية باستغلال الضعف وتقوم بالمبادرة قبل أن تستعيد تشكيلات العدو قدرتها على الرد وكتب جودريان فى هذا الصدد قائلا يجب أن يستغل النجاح بدون كلل وبكل ما نمتلك من قوة حتى ليلا فلا يجب منح العدو المهزوم أى وقت للراحة ودورة صنع القرار كانت أمرا محوريا بالنسبة للنظرية سواء

بالنسبة للقوات المهاجمة أو تلك المعادية فعملية صنع القرار العسكرى تتضمن وقتا لجمع المعلومات وإصدار القرار وتوزيعه على الوحدات الفرعية ثم تنفيذه عمليا ومن خلال القدرة على الحركة السريعة ودورة اتخاذ القرار السريعة فإن القوت المتحركة كان بمقدورها اتخاذ القرار فى موقف ما بصورة أسرع من القوات المعادية كذلك كان ما يعرف باسم السيطرة التوجيهية طريقة أسرع وأكثر مرونة للقيادة وأفضل من تلقى أمر صريح فكان القائد يتم تلقينه بصدد نوايا القيادة العليا والدور المنتظر أن تلعبه وحدته فى هذا المفهوم وكانت طريقة التنفيذ حينئذ هى مسألة متروكة لمستوى القيادات الأدنى لتقرير افضل ما يناسب الموقف وكان ذلك يقلل من عبء قيادة الأركان فى القمة ويوزعه بين قادة أكثر علما بمواقفهم الميدانية الحقيقية وبالإضافة إلى ذلك كان يتم تشجيع المبادرة على كل المستويات وكنتيجة لذلك فإن القرارات كان يتم اتخاذها بسرعة سواء بشكل شفهى أو فى أوامر مكتوبة

المرحلة النهائية

كانت المرحلة النهائية تسمى معركة الإبادة Kesselschlacht [64] هى المرحلة النهائية من أية عملية وهى عبارة عن هجوم شديد التركيز على الجيوب التى تم تطويقها وحيث كان يتم تكبيد العدو أكبر قدر من الخسائر وذلك عن طريق جمع الأسرى والعتاد المستولى عليه وكان ذلك المصطلح يستخدم بكثافة أثناء الحملة الروسية حيث كانت القوات الروسية تتجمع فى

---

[64] فى معركة الإبادة أو معركة التطويق يقوم طرف بمحاصرة طرف آخر بكامل قواته ومعداته وأسلحته وبخلاف الحصار فإن معركة الإبادة تتم على أرض واسعة مفتوحة علاوة على أنها تتم بصورة مفاجئة بحيث لا تجد القوات التى تم تطويقها فرصة للاحتماء خلف مواقع محصنة

جيوب معزولة تحاول المقاومة بينما كانت الجيوش الألمانية تندفع متجاهلة إياها تاركة التعامل معها للقوات التى تليها

المبدأ العسكرى ٩٣

كلما كانت قوات المشاة أفضل كلما يزداد واجب استخدامها بعناية وأن تدعمها بطاريات جيدة والمشاة الجيدة هى بلا شك عصب الجيش ولكن إن اجبرت على العمل لمدة طويلة ضد مدفعية متفوقة جدا فسوف يصيب الإحباط القوات وسرعان ما سيتم تدميرها ومن الممكن إذا كان الجنرال أكثر مهارة وأكثر قدرة على المناورة من خصمه ولديه مشاة أفضل أن يحرز نجاحات خلال جزء من الحملة على الرغم من المدفعية التابعة له أقل بكثير ولكن فى يوم حاسم فى القتال الدائر فسيشعر بقسوة بنقص المدفعية لديه.

المبدأ العسكرى ٩٤

يجب على جيش جيد يتكون من خمسة وثلاثين ألفا من الرجال وفى أيام قليلة وخصوصا إن كان مدعوما بقلعة أو نهر أن يجعل معسكره غير قابل للهجوم عليه من قبل جيش أكبر منه فى العدد بمقدار الضعف.

المبدأ العسكرى ٩٥

الحرب ليست إلا عبارة عن حوادث وعلى الرغم من تمسكه بالمبادئ العامة فإن على الجنرال ألا يحول نظره عن كل شيء يمكنه من الاستفادة من هذه الحوادث، فتلك هى علامة العبقرية وفى الحر ليس هناك إلا لحظة واحدة مواتية والفن فى اغتنامها.

المبدأ العسكرى ٩٦

إن الجنرال الذى يحتفظ بقو ت جديدة لليوم الذى يلى المعركة فإنه دائما ما يهزم فيجب عليه إذا كان فى ذلك نفع له أن يلقى برجاله حتى آخر رجل لأنه فى اليوم الذى يلى النجاح الكامل لا توجد هناك عقبات أمامه والهيبة وحدها ستمن انتصارات جديدة للغازى.

المبدأ العسكرى ٩٧

إن قواعد القتال تحتم أن يتجنب جزء من الجيش القتال بمفرده ضد جيش كامل قد أحرز نجاحا بالفعل.

المبدأ العسكرى ٩٨

عندما يضرب جنرال حصارا مفاجئا على موقع ما ويكون سابقا لخصمه بعدة أيام فيجب عليه أن يستفيد من هذا عن طريق تغطية موقعه بخطوط من التحصينات الدفاعية فمن هذه اللحظة يكون قد حسن من موقعه واكتسب عنصرا جديدا من عناصر القوة ودرجة جديدة من القوة فى الإطار العام.

المبدأ العسكرى ٩٩

فى الحرب لا يكون قائد التحصين حكما على الأحداث بل يجب عليه الدفاع عن تحصينه حتى آخر لحظة ويستحق الموت ان سلمه قبل لحظة من إجباره على ذلك.

المبدأ العسكرى ١٠٠

إن الاتفاقيات التى تعقدها قوات محاصرة سواء كان ذلك أثناء المعركة أو أثناء حملة دائرة هى عبارة عن عقود تحمل كل الشروط النافعة لصالح الأفراد الذين يتعاقدون عليها وكل البنود المرهقة ضد الأمير وباقى جنود الجيش، أما أن يبعد المرء الخطر عن نفسه بينما يعرض مواقع الباقى للخطر فهو عمل جبان.

المبدأ العسكرى ١٠١

فى الحرب الدفاعية لا يتم استبعاد الهجوم بالضبط كما أن فى الحرب الهجومية لا يتم استبعاد الدفاع على الرغم من أن هدفه قد يكون اقتحام الحدود وغزو بلاد العدو.

المبدأ العسكرى ١٠٢

يملى عليك فن الحرب أنه من الضرورى عند الالتفاف أو تطويق جناح ألا تفصل الجيش (عن بعضه البعض).

المبدأ العسكرى ١٠٣

عندما تفهمها بالكامل فإن تحصينات الميدان دائما ما تكون مفيدة وغير ضارة.

المبدأ العسكرى ١٠٤

يستطيع الجيش أن يسير فى أى مكان وفى أى وقت من السنة طالما وحيثما يستطيع رجلان أن يضعا أقدامهما.

المبدأ العسكرى ١٠٥

لا يجب أن تقرر طبيعة الأرض وحدها تنظيم المعركة والتى يجب أن يتم أخذ قرار بشأنها بناءا على أخذ كل الظروف فى الاعتبار.

المبدأ العسكرى ١٠٦

يجب أن تتجنب السير بالأجناب وعندما يجب أن ينفذ ذلك فيجب أن يكون أقصر ما يمكن وأن يتم باقصى سرعة.

المبدأ العسكرى ١٠٧

لا شىء يمكنه تدمير وبعثرة نظام جيش أكثر من الانشغال بسلب الغنائم .

فى التاريخ الإسلامى واقعتان شديدتا الأهمية وتعتبر هاتان الواقعتان مثالا جيدا على هذا المبدأ الواقعة الأولى فى غزوة أحد عندما انشغل الرماة المسلمون بجمع الغنائم بعد هزيمة جيش الكفار فدارت عليهم الدائرة بعد أن كانوا هم المنتصرين والثانية فى عام ٧٣٢ ميلادية عندما هاجمت قوات عبد الرحمن الغافقى القوات الفرنسية بقيادة شارلمان ووصلت إلى حدود باريس ولكنهم هزموا فى نهاية الأمر نظرا لأنهم كانوا مثقلين بالغنائم

غزوة أحد

بعد هزيمة الكفار فى غزوة بدر الكبرى وضياع هيبتهم بين العرب حاولوا الثأر لتلك الهزيمة ومحو العار الذى لحق بهم فجمعت قريش ثلاثة

آلاف رجل بسلاحهم ودروعهم بالإضافة إلى مائتا فرس وخمس عشرة ناقة عليها ركب الهوادج التى كانت تحمل النساء لتحميس الكفار على عدم ترك ميدان القتال وكان العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم بمكة آنذاك وقد دعى إلى الخروج مع جيش قريش فأبى وأرسل كتابا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يخبره فيه بخروج قريش لحربه ولما وصل ذلك الكتاب إلى النبى صلى الله عليه وسلم استشار أصحابه وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يرى البقاء فى المدينة والدفاع عنها والتحصن فيها فإذا دخل الكفار أزقتها قاتلوهم فيها ورموا من فوق البيوت إلا أن بعضنا من الصحابة ممن لم يشهدوا بدرا اشاروا على النبى صلى الله عليه وسلم بالخروج إلى كفار قريش ومقاتلتهم فخرج النبى ومعه جيش قوامه ألف مقاتل وأثناء سير الجيش انسحب رأس المنافقين ابن سلول بثلاث مائة من المنافقين متذرعا بالاحتجاج على ترك رأيه وكان يرى القتال فى المدينة وعدم الخروج منها فأصبح الجيش حوالى سبع مائة وواصل المسلمون سيرهم حتى جبل أحد وجعلوه خلف ظهورهم ثم جعل الرسول صلى الله عليه وسلم خمسين من الرماة على جبل "عينين" لحماية المسلمين وأمّر عليهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه وشدد عليهم بلزوم أماكنهم وقال لهم:

"انضحوا الخيل عنّا بالنبل، لا يأتونا من خلفنا، إن كانت الدائرة لنا أو علينا فالزموا أماكنكم، لا نؤتين من قبلكم" وفي رواية أخرى قال صلى الله عليه وسلم:

"احموا ظهورنا إن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وإن رأيتمونا نغنم فلا تشركونا". وبعد أن اطمأن صلى الله عليه وسلم إلى مؤخرة جيشه أقبل يتعهد مقدمته، وأمر أن لا ينشب قتال إلاّ بإذنه.

وبعد عدة مبارزات قتل فيها على بن أبى طالب رضى الله عنه بعض

المشركين بدأ الجيشان بالاشتباك ودارت معركة عنيفة بين الطرفين واشتد القتال واستبسل المسلمون فبدأت ثقة الكفار تنهار شيئًا فشيئًا وبدأ المسلمون فى الاندفاع خلال صفوفهم فى الوقت الذى كان فيه الفرسان التابعون لجيش الكفار عاجزين عن التدخل فى المعركة بسبب الرماة المسلمين فكلما حاولوا الهجوم على ميسرة المسلمين دفعتهم نبال المسلمين إلى الخلف من الموقع الممتاز الذى تحتله وتسيطر به على ميدان القتال وبدأ الكفار يتقهقرون وأخذت صفوفهم فى التداعى وبدأوا يتخففون من دروعهم استعدادا للفرار من ميدان القتال وبدا المسلمون فى مطاردتهم وعند رؤية الرماة لما حدث من هزيمة الكفار نزلوا من الجبل من أجل الاشتراك فى جمع الغنائم مخالفين بذلك أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم المشددة لهم بالبقاء فى مواقعهم مهما حدث وتبقى منهم على الجبل عدد لا يجاوز العشرة فى تلك اللحظة زالت الحماية التى كان يوفرها الرماة عن جيش المسلمين ورأى خالد بن الوليد وكان ما يزال مشركا ما قام به الرماة فقام بالالتفاف حولهم وهاجم من تبقى منهم من الخلف فاستشهدوا جميعا بما فيهم قائدهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه. إلا أن الله تكفل بحماية نبيه صلى الله عليه واستبسل الصحابة فى الدفاع عنه وحمايته وسلم فعاد إلى المدينة بعد أن كان المسلمون قد انتصروا فى المعركة لولا عدم إطاعة معظم الرماة لأوامر النبى صلى الله عليه وسلم وانشغالهم بجمع الغنائم بعد.

والوقعة الثانية حدثت فى معركة بلاط الشهداء عندما كان جيش المسلمين الذى انطلق من الأندلس وكان على مشارف باريس يقوده عبد الرحمن الغافقى مثقلا بالغنائم التى جمعها من معاركه السابقة مع القوات الفرنسية بقيادة شارلمان .

المبدأ العسكرى ١٠٨

إن الثناء من جانب العدو لهو أمر يثير الشك ولا يمكن أن يشعر رجل محترم بالإطراء تجاهه إلا إذا كان بعد وقف الأعمال العدائية.

المبدأ العسكرى ١٠٩

لا ينتمى أسرى الحرب للدولة التى كانوا يحاربون من أجلها وكلهم يخضعون للمعاملة الكريمة التى تتميز بالشرف من قبل الأمة التى جردتهم من سلاحهم

فى الفصل الثانى من فن الحرب يؤكد سون تزو على مبدأ حسن معاملة الأسرى فيقول فى الفقرة السابعة عشرة " وبناء على ذلك ففى القتال بين العربات الحربية وعند الإستيلاء على عشرة عربات حربية أو أكثر فإن الجنود الذين يقومون بالاستيلاء عليها يجب مكافأتهم ويجب أن تحل أعلامنا محل أعلام الأعداء وان يتم خلط العربات بعرباتنا واستخدامها معا ويجب أن يعامل الجنود الأسرى معاملة طيبة والاحتفاظ بهم " والغرض من ذلك هو حرمان العدو من قوته البشرية وزيادة أعداد القوات لدي القائد عندما ينضم جنود العدو إلى جانبه أو على الأقل يمتنعون عن الانضمام للجانب المعادى وقد اشتهر القادة الاذكياء عبر التاريخ بحسن معاملتهم للأسرى " اشتهر صلاح الدين الأيوبى بحسن[65] معاملته للأسرى فبعد

---

[65] على الرغم من التسامح الذى عرف عن السلطان صلاح الدين فى معاملته للأسرى

فتحه لبيت المقدس ضمن للأسرى الصليبيين العبور بشكل آمن إلى سواحل فلسطين ليتمكنوا من العودة إلى بلادهم وذلك بعد فدية بسيطة فرضا عليهم بمقدار دينارين للرجل ودينار للمرأة.

المبدأ العسكرى ١١٠

ينبغى أن تسود الطاعة فى المقاطعات التى تم غزوها عن طريق وسائل أخلاقية مثل مسئولية الحكومات المحلية وطريقة التنظيم والإدارة. أما الأسرى فهم من ضمن أقوى (تلك) الوسائل ولكى يكونوا مؤثرين ينبغى أن يكونوا كثيرين وأن يتم اختيارهم من بين العناصر الراجحة (أى ذات الأهمية) وينبغى أن يدرك الشعب أن موت الرهائن سيكون عقوبة انتهاكهم لتعهداتهم.

المبدأ العسكرى ١١١

إن الظروف الجغرافية فى البلد والحياة فى السهول أو الجبال والتعليم والانضباط لهم أثر كبر من المناخ على طبيعة القوات.

إلا انه قام بنفسه بذبح أرناط أمير حصن الكرك نظرا لأعماله الإجرامية ووضاعته فى معاملة الحجاج المسلمين وتهديده بنبش قبر النبى صلى الله عليه وسلم

المبدأ العسكرى ١١٢

إن كل القادة العظام قد قاموا بأمور عظيمة فقط عن طريق اتباع القواعد والمبادئ الطبيعية للفن (العسكرى) بمعنى آخر عن طريق الحكمة فى الخلط بينها، والموازنة المنطقية بين الوسائل والنتائج وبين الجهود والعقبات، وقد نجحوا فقط عن طريق اتباعهم لهذه القواعد وبغض النظر عن مدى جرأة مشاريعهم ومدى نجاحها فلم يتوقفوا عن جعل الحرب علما حقيقيا، وتحت هذا التعريف فقط أصبحوا نماذج عظيمة لنا ويمكن للمرء أن يقترب منهم (مستواهم) فقط عن طريق تقليدهم.

المبدأ العسكرى ١١٣

ينبغى أن تكون أول قاعدة فى التكتيكات البحرية هى أنه بمجرد أن يعطى الأدميرال الإشارة أنه سوف يهاجم فإن على كل قبطان أن يقوم بالتحركات الضرورية لمهاجمة واحدة من سفن العدو ويشارك فى المعركة ويدعم جيرانه.

تتناول هذه الفقرة بحثا عاما فى التكتيكات البحرية وواجبات السفن أثناء الاشتباك مع سفن العدو وتتناول ضمنا أسلوب القيادة الذى كانت تتبعه القوات البحرية فى ذلك الوقت وكانت العقيدة التكتيكية للأسطول فى تناوله للمعركة هو أن يكون فى تشكيل مدمج من صفوف متوازية تسمح بقدر خفيف من المناورة وتعطى خطوط رؤية قصيرة داخل التشكيل والذى يسهل تمرير الإشارات الضرورية للقيادة والسيطرة وكانت ميزة

أساسية لمثل ذلك التشكيل أن يتشكل الأسطول فى خطوط قصيرة متعددة ليتمكن من تغيير وجهته بشكل أسرع مما يستطيع أسطول مكون من خط واحد طويل حيث كانت إشارات القيادة فى ذلك العصر مقصورة على الوسائل المرئية فقط مثل الأعلام أو الطلقات المضيئة بين السفن وكانت سفينة العلم يتم وضعها على رأس الخط الموجود فى المركز بحيث يتم استلام إشاراتها بشكل أكثر يسرا ويمكن للكثير من سفن التشكيل أن تراها وكانت الرؤية الضعيفة فى ذلك الوقت تعنى أن تستطيع السفينة أن تتعرف على إشارات اقرب السفن المجاورة لها فى الأسطول وتلك الظروف كان ضروريا أن تقوم كل سفينة بإعادة الإشارة حتى تصل أوامر الأدميرال إلى كل سفن الأسطول وكانت تلك الوسيلة يعيبها الدخان الكثيف الذى كان ينبعث مع الفحم الذى يستخدم للإشارات والذى تقوم كل سفينة بإطلاقه مما يعوق بدوره الرؤية ويساهم فى تشويشها ولذا فكان من الممكن أن تتاخر الإشارة التى تطلقها سفينة العلم فى الوصول إلى كل سفن الأسطول مما يفقدها وقتا ثمينا تحتاجه فى العمليات بل والأصعب من ذلك أن كانت كل سفينة تحتاج إلى تأكيد الإشارة قبل أن تصل إلى السفينة التالية لها وعلى سبيل المثال كان الأمر بالتحرك يتم استقباله وإعطاء التاكيد عليه قبل أن يتم تنفيذ الحركة نفسها وفى تشكيل الخط الطويل كان إرسال الإشارة يستغرق عشر دقائق أو أكثر لتمريرها من نهاية الخط إلى نهاية الخط الاخر بينما كانت الرؤية على القطر فى تشكيل الخطوط المتوازية افضل بكثير وكانت تستغرق عادة وقتا اقصر من ذلك الذى تستغرقه فى عمود أو خط واحد كبير وكان نظام الخطوط أو الاعمدة المتوازية يعطى فرصة افضل لرؤية الإشارة وترجمتها بشكل صحيح غير انه وقبل المعركة فإن الوحدات الثقيلة تقوم بالانتشار ان امكنها ذلك فى خط واحد وذلك من اجل تشكيل معركة افضل لقائد المعركة الذى كان يرغب دائما فى معرفة مسافة تواجد الأسطول المعادى وحمولته واتجاهه وسرعته وكانت تلك

مهمة قوات الاستطلاع التى تتكون أساسا من طرادات وزوراق للعثور على العدو وإعطاء تقرير بتلك المعلومات فى وقت كاف وان تحرم قوة الاستطلاع للأسطول المعادى من أية فرصة للحصول على معلومات مثيلة كلما أمكنها.

المبدأ العسكرى ١١٤

إن الحرب على البر عموما تستهلك رجالا أكثر من الحرب البحرية وهى أكثر خطرا والبحار فى الأسطول لا يحارب إلا مرة واحدة خلال الحملة بينما يحارب الجندى البرى كل يوم والبحار مهما كانت متاعب وأخطار البحر فإنه يعانى أقل من الجندى ولا يجوع ولا يعطش أبدا ولديه دائما مكان للنوم ولديه مطبخه ومستشفاه وصيدليته وهناك عدد أقل من المرضى فى الأسطولين الإنجليزى والفرنسى حيث يحتفظ الانضباط بالنظافة وكشفت الخبرة عن كل وسائل الحفاظ على الصحة أكثر مما فى الجيوش (البرية) وإضافة إلى أخطار المعارك فإن البحار يتعرض لمخاطر العواصف ولكن فن الملاحة قلل إلى حد كبير من تلك الأخيرة بحيث لا يمكن مقارنتها بأخطار البر مثل النفاضات الشعبية وحوادث القتل الجزئية والهجمات المفاجئة من قبل قوات العدو.

المبدأ العسكرى ١١٥

إن الأدميرال الذى يقود أسطولا والجنرال الذى يقود جيشا هما رجلان يحتاجان إلى مؤهلات مختلفة، أحدهما ولد بالمؤهلات

المناسبة لقيادة جيش، بينما مؤهلات قيادة أسطول يتم اكتسابها بالخبرة فقط وفن قيادة القوات على الأرض هو فن العبقرية والإلهام أما فى البحر فكل شىء محدد ويخضع للخبرة والأدميرال يحتاج فقط لعلم واحد هو الملاحة أما الجنرال فإنه يحتاج إلى كل شىء أو إلى موهبة تعادل كل شىء وهى الخاصة بالاستفادة من كل خبرة وكل معرفة والأدميرال ليس عليه أن يخمن أى شىء فهو يعرف أين عدوه ويعرف قوته أما الجنرال فلا يعرف أى شىء بشكل يقينى فلا يرى عدوه أبدا بوضوح ولا يعرف موقعه أبدا على وجه الدقة وعندما تلتقى الجيوش فإن أقل انبعاج فى الأرض وأصغر غابة تخفى جزءا من الجيش ولا تستطيع أكثر العيون خبرة أن تحدد ما إذا كانت ترى كل جيش العدو أو فقط ثلاثة أرباعه فالجنرال يرى بعين عقله وبالتسبيب المنطقى لكل شىء وبنوع من الإلهام أما الأدميرال فإنه فقط يحتاج إلى نظرة خبيرة ولا يخفى عليه أى شىء من قوات العدو وما يجعل وظيفة الجنرال صعبة هى الحاجة إلى إطعام مثل ذلك العدد من الحيوانات والرجال وإذا ما سمح لنفسه أن ينساق وراء الإداريين فلن يتحرك أبدا وستفشل حملته أما الأدميرال فلا شىء يزعجه لأنه يحمل كل شىء وليس لدى الأدميرال استطلاع ليقوم به ولا أرض ليفحصها ولا ميادين معارك ليقوم بدراستها، فسواء كان فى المحيط الهندى أو الأمريكى (يقصد المحيط الاطلنطى) أو بحر الشمال فكلها دائما مناطق منبسطة من المياه ولن يكون لأكثرهم مهارة أية افضلية على أقلهم مهارة إلا فى معرفته كيفية التعامل مع الرياح فى هذه المياه الساحلية أو تلك عن طريق التنبؤ بأيها سيأتى أو عن طريق العلامات الجوية وهى مؤهلات يتم اكتسابها بالخبرة وبالخبرة فقط

والجنرال لا يعرف أبدا ميدان القتال الذى قد يقاتل عليه وفهمه لهذا يعتمد على الإلهام وليس لديه معلومات محددة والبيانات التى تؤدى إلى معرفة الأماكن هى شيء يعتمد على الأحداث بحيث لا يمكن معرفة شيء بالخبرة وهو نوع من القدرات لفهم العلاقات بين الأرض على الفور تبعا لطبيعة البلدان المختلفة وهى فى النهاية موهبة تسمى النظرة العسكرية ٦٦ (القدرة على استيعاب الموقف العسكرى فى لمحة) وهى أمر فطرى لدى القادة العظام غير أن الملاحظات التى يمكن ان تستقى من الخرائط الطوبوغرافية والسهولة التى يتيحها التعليم والتعود على قراءة الخرائط قد تكون ذات نفع والأدميرال يعتمد كثر على ضباط لسفينة أكثر مما يعتمد الجنرال على جنرالاته فالأخير لديه الفرصة ليقود قواته بنفسه وبصورة مباشرة وأن يتحرك إلى اية نقطة ويعالج أى تحركات زائفة أما الأدميرال فإنه لا يستطيع التأثير بشكل شخصى إلا على الرجال الموجودين على السفينة التى يجد نفسه عليها والدخان يمنع رؤية الإشارات والرياح تتغير أو تتنوع فى المساحة التى يحتلها خطه وهو الأمر الذى يتعامل معه الضباط الصغار ويجب عليهم استخدام أكبر قدر من المبادرة.

يبدو نابوليون منحازا بتعصب للقوات البرية وهو فى تعصبه هذا ينقصه المنطق واستقراء التاريخ بشكل جيد ويبدو أن تعصبه هذا يرجع إلى أن فرنسا لم تكن فى يوم من الأيام قوة بحرية عظمى يضاف إلى ذلك الهزائم التى تلقتها فرنسا فى عهده على يد الأسطول البريطانى والتى ربما

[66] الاصطلاح بالفرنسية هو coup de oeil militaire ومعناه حرفيا لمحة البصر العسكرية

جعلته يميل إلى إهمال القوة البحرية وينظر إلى القوات البحرية على أنها وسيلة لنقل القوات ليس أكثر فقد هزم الأسطول الفرنسى على يد الأسطول البريطانى فى معركتى ترافلجار وأبو قير البحريتين وفى كتابه الحرب عبر التاريخ يقول الفيلد مارشال مونتجومرى مشيرا إلى هذه النقطة " تمكنت بريطانيا أيضا فى عام ١٨٠٨ من إنزال قواتها على الساحل البرتغالى وبعدها بسنوات هزمت نابوليون الذى كان يملك أكبر قوة عسكرية فى ذلك الوقت ولكنه كان مقيدا بإستراتيجية القوات البرية التى سيطرت على تفكيره " وفى نفس الكتاب يقول مونتجومرى عن أهمية الدور الذى لعبته القوات البحرية عبر التاريخ " منذ أقدم العصور والقوة لها تأثير فاصل وحاسم وكانت تتمثل فى الماضى فى القوة البحرية وقد ظهر ذلك جليا عندما أدركت اليونان أثناء حربها مع الفرس أنه من الصعب عليها القضاء على عدوها طالما كان لديه أسطول بحرى يستطيع به نقل قواته وإمداداته عبر بحر إيجة وإنزالها على الشاطئ اليونانى ولكن بعد مجهود خارق استطاعت اليونان بناء قوتها البحرية فتمكنت من هزيمة الفرس فى معركة سلاميس البحرية عام ٤٨٠ قبل الميلاد وبعد ذلك بسنة سيطرت اليونان على شرق البحر الأبيض المتوسط وانتهت الحملة الفارسية وكان ذلك بداية عهد جديد تمتعت فيه اليونان بالرفاهية والاستقرار التجارى وأنشأت خلاله أعظم الحضارات وتكرر الشئ نفسه مع روما عندما اشتعلت الحرب بينها وبين دولة قرطاجة ووجدت من الضرورى أولا تدمير القوات البحرية القرطاجية ولكنها لم تستطع حتى بنت أسطولا قويا هزمت به الأسطول القرطاجى الذى كان فى ذلك العصر يعتبر من أقوى الأساطيل التى اصطدمت بها روما وفى القرن الثامن عشر كان من المستحيل غزو بريطانيا لوجود قوة بحرية كبيرة لديها وقد مكنتها هذه القوة البحرية من هزيمة الأسطولين الفرنسى والأسبانى فى معركة ترافلجار " وأخيرا يقول " لم تقتصر أهمية القوة البحرية على العصور

الماضية بل ظهرت قيمتها بوضوح فى العصر الحديث ويمكن ملاحظة ذلك فى معركتى ترافلجار والعلمين فكل منهما بمثابة نقطة تحول فى حرب طويلة الأمد ضد عدو قوى ينتمى إلى القارة الأوربية فلولا سيطرة الحلفاء لما استطاعوا الحصول على النصر فى العلمين لأنهم تمكنوا بذلك من بناء قواتهم البرية ونقل الإمدادات بسرعة أكبر من روميل ولولا ذلك لتغيرت النتيجة تماما ولسيطر العدو على ميدان القتال فى العلمين وربما امتد وسيطر على مصر وقناة السويس بل وربما الشرق الأوسط كله والدرس المستفاد الذى يمكن الخروج به من دراسة تاريخ الدول أن السيادة الحربية تكون دائما فى يد الدولة صاحبة السيادة البحرية "

كان ذلك استعراضا سريعا لأهمية القوة البحرية فى العصور القجيمة والحديثة على حد سواء، إلا أنه أيضا ومن ناحية أخرى فمن المشكوك فيه أن تحسم القوة البحرية صراعا مسلحا ما بين دولتين وقلما حدث ذلك عبر التاريخ اللهم إلا فى حالات نادرة كان القول الفصل فيها للقوات البحرية أو كادت القوة البحرية أن تقترب من هذا الهدف ففى الحرب العالمية الأولى على سبيل المثال كادت القوة البحرية الألمانية وعلى الرغم من قوة أسطول سفن السطح البريطانية أن تحسم الصراع بين الدولتين حيث كانت الغواصات هى الجواد الرابح هذه المرة أو كادت أن تكون كذلك فتمكنت ألمانيا من فرض حصار بحرى قوى على بريطانيا فيما عرف باسم حرب الأطلنطى وكانت على وشك خنق بريطانيا لولا تداخل أسباب سياسية واقتصادية وعسكرية فأولا لم تكن ألمانيا قادرة على الحرب على أكثر من جبهة فى وقت واحد ولم تكن لتحتمل تدخل الأمريكيين بقدراتهم الإنتاجية الكبيرة وأعدادهم الضخمة التى ستمكنهم من تعويض الحلفاء عن الخسائر فى الأرواح والمعدات ولذا لم ترد أن تستفز الولايات المتحدة بحصار بريطانيا وغلق الأطلنطى تماما أمام البحرية البريطانية الأمر الذى كان حتما سيستتبع تدمير الكثير من السفن المدنية والتجارية فاوقفت حرب

الغواصات لعدة شهور ثم عادت واستأنفتها ثانية ولكانت ألمانيا قد أنتجت المزيد من الغواصات وجندت جهازها الإعلامى للرد على الحملة العائية التى كانت تشنها بريطانيا ولم تتوقف عن هجومها لكانت بريطانيا قد استسلمت ولربما كانت تغيرت نتيجة الحرب

معركة الاطلنطى (١٩١٤- ١٩١٨)

فى عام ١٩١٤ كانت الدوائر العسكرية ما تزال تنظر إلى الغواصات باعتبارها اختراعا بحريا غير مؤكد النتائج ولا يمكن الاعتماد عليه ولكن بحلول عام ١٩١٨ أصبحت القيمة العسكرية للغواصة كسلاح بحرى خطير لا تخضع للشك بعد النتائج المذهلة التى أظهرها استخدام سلاح الغواصات وبعد أن كانت الغواصات قد قاربت بشكل أو بآخر على تحديد نتيجة الحرب فعلى أثر إعلان بريطانيا للحرب على ألمانيا فى السادس من أغسطس ١٩١٤ تحركت عشر غواصات ألمانية من القاعدة البحرية فى هليجولاند Heligoland لتهاجم سفن سلاح البحر البريطانى فى بحر الشمال وكانت تلك الغواصات العشرة هو كل ما تمتلكه ألمانيا من الغواصات فى ذلك الوقت وكانت تلك اول دورية للغواصات فى تاريخ الجنس البشرى كله ولم يحالف تلك الغواصات النجاح حيث غرقت إحداها فى حقل الغام بحرى والأخرى وهى اليو[67] ١٥ قامت بإطلاق كل طوربيداتها على سفن حربية بريطانية ولم تصب هدفها فى أى مرة ثم فيما بعد قام الطراد الخفيف برمنجهام Bermingham من البحرية الملكية البريطانية بالارتطام مما تسبب فى إغراقها فيما بعد بينما كانت قد علقت على السطح بسبب عطل ميكانيكى بعد ذلك بدأ الألمان يغيرون من

---

[67] كان يتم تسمية الغواصات الألمانية فى ذلك الوقت بأرقامها يسبقها حرف يو U والذى يشير إلى كلمة غواصة unterseeboot أو باللغة الألمانية

سياستهم فى استخدام الغواصات وبدأت غواصاتهم فى القيام بدوريات بحرية بأعداد صغيرة وأخيرا حالفها التوفيق فى الخامس من سبتمبر ١٩١٤ عندما أطلقت الغواصة يو ٢١ طوربيداتها على الطراد البريطانى الخفيف باثفايندر Pathfinder وانفجر مخزن الذخيرة بالطراد مما أدى إلى غرقه فى أربعة دقائق فقط آخذا معه مائتين وتسعة وخمسين رجلا من طاقمه إلى قاع المحيط وكان ذلك أول نصر عسكرى تسجله الغواصات منذ اختراعها وكان يوم الثانى والعشرين من سبتمبر هو يوم الحظ الحسن للغواصات الألمانية ففى الصباح الباكر فى ذلك اليوم رصدت نقطة الاستطلاع على جسر الغواصة يو ٩ التى يقودها الليوتنانت أوتو فيديجن Otto Wedigen سفينة فى الأفق وعلى الفور أصدر فيديجن أوامره بالغطس وانطلقت الغواصة للتحرى وعندما اقتربت الغواصة اكتشف فيديجن ثلاثة طرادات بريطانية مدرعة أبو قير وكريسى Crissy وهوج Hogue وعلى الفور أصدر فيديجن الأمر بإطلاق طوربيد على الطراد أبو قير وافترض ربانا هوج وكريسى أن الطراد أبو قير ربما يكون قد اصطدم بلغم بحرى وقدموا على الفور للمساعدة وعند اقترابهم أطلقت الغواصة يو ٩ طوربيدين على الطراد هوج ثم ضربت كريسى بطوربيدين آخرين بينما كان يحاول الهرب وغرقت الطرادات الثلاثة فى أقل من ساعة وقتل بهم حوالى ألف وأربع مائة وستون بحارا وفق التقديرات البريطانية وبعد ثلاثة أسابيع فى الخامس عشر من أكتوبر أغرقت نفس الغواصة الطراد القديم هوك Hook وأصبح أفراد طاقم الغواصة يو ٩ أبطالا قوميين فى وطنهم وتم منح كل منهم وسام الصليب الحديدى من الدرجة الثانية بينما حصل قائد الغواصة فيديجن على وسام الصليب الحديدى من الدرجة الأولى وكان إغراق تلك الطرادات إنذارا للقوات البحرية البريطانية وكانت القاعدة البحرية فى سكابا فلو Scapaflow فى

جزر أوركنى Orkney قرب اسكتلندا تبدو غير منيعة أمام أية هجمات محتملة للغواصات الألمانية وكانت قيادة القوات البحرية الملكية البريطانية متوترة بشكل شديد بخصوص الألغام التى تسببت فى إغراق الطراد الخفيف أمفيون Amphion خارج مصب نهر التايمز فى أول أسبوع من الحرب وأغرقت كذلك البارجة أوداشوس Audacious وأرسلتها إلى قاع البحر الأيرلندى فى السابع عشر من أكتوبر وعلى الرغم من تمكن البريطانيين من إنقاذ معظم أفراد طاقم البارجة أوداشوس إلا أن إغراقها كان يعتبر بمثابة إذلال للقوات البحرية البريطانية وعلى أثر ذلك تم إرسال الأسطول لحمايته إلى إيرلندا وإلى الساحل الغربى لاسكتلندا حتى يتم إنشاء دفاعات مناسبة فى قاعدة سكابا فلو البحرية وكان اضطرار بريطانيا إلى نقل سفنها بعيدا عن قواعدها الرئيسية لحمايتها يعتبر نصرا للألمان فى حد ذاته إذ كانت إنجلترا تعتبر فى ذلك الوقت من أقوى الدول البحرية فى العالم وحتى ذلك الوقت لم تكن الغواصات الألمانية قد ضربت الحلفاء تحت الحزام بعد إذ كانت كل السفن التى تم إغراقها سفنا حربية وتمثل أهدافا شرعية لدولة فى حالة حرب مع دولة أخرى معادية لها وذلك حتى على الرغم من صدمة البريطانيين وذهولهم من أعداد القتلى الكبيرة إلا أن المسألة ظلت فى إطار " إما ان تقتل أو تقتل " والحقيقة أن ألمانيا لم تلتزم حرفيا بتلك القواعد ففى الشهر التالى لتلك الأحداث قامت الغواصات الألمانية بإغراق سفينة تجارية للمرة الأولى ولكنهم فعلوا ذلك حسب القواعد المعمول بها وتصرفوا كجنتلمانات ففى العشرين من أكتوبر صعد طاقم الغواصة يو ١٧ على سطح سفينة شحن تجارية بريطانية تدعى جليترا خارج الساحل النرويجى وسمحوا لطاقمها بأخذ قوارب النجاة ثم قاموا بإغراقها ولم يدم مثل ذلك السلوك المتحضر كثيرا فلم يكن لدى بحرية الألمانية وقت حيث رغبت بشدة فى خنق بريطانيا ومحاصرتها

بحريا وفى السادس والعشرين من أكتوبر أغرقت الغواصة يو ١٧ الباخرة الفرنسية الأدميرال جانتوم Admiral Jantome فى القنال الإنجليزى وكان على متنها ألفان وخمس مائة لاجئ بلجيكى كما تقول التقديرات البريطانية ولكن العبارة الفرنسية نجحت فى الرسو قبل أن تغرق ومات فيها أربعون فقط وكان ذلك نذير شؤم للبريطانيين وفى يناير ١٩١٥ أغرقت الغواصة الألمانية يو ٢٠ ثلاث سفن فى القنال الإنجليزى بدون تحذير مسبق وبعد ذلك بيومين أغرقت السفينة أستوريا Asturia التى كانت تعمل كمستشفى عائم وكانت الغواصة يو ٢٠ تحت قيادة اللوتنانت فالتر شفيجر Walter Schweger الذى اشتهر بشكل غير مسبوق قبل حلول نهاية العام وبدا أن انتهاج ألمانيا لإغراق مثل تلك السفن ليس من قبيل الخطأ أو الحادثة بل هى سياسة رسمها القادة الألمان وفى الحقيقة أصبحت تلك الأعمال الموجهة إلى السفن المدنية سياسة تمارسها الغواصات الألمانية ولم لا وهى تنقل المؤن والعتاد والسلاح بل والمعلومات أيضا إلى عدوتهم بريطانيا وتمدها بشريان ترغب ألمانيا فى قطعه وكانت كل من ألمانيا وبريطانيا تعتمدان بشكل كبير على الصادرات لتوفرا لرعاياهما المؤن الضرورية ولتغذيا صناعاتهما الحربية ولذا فقد لجأ الجانبان إلى محاولة فرض حصار بحرى على الاخر وكانت البحرية البريطانية متفوقة من ناحية العدد وكان أسطول سفن السطح الألمانى قاصرا على الخليج الألمانى وكان يعتمد أساسا على الإغارة على السفن التجارية البريطانية، وفى أوائل عام ١٩١٥ أفاقت الأطراف المتحاربة من وهم فكرة أن الحرب ستكون حربا قصيرة وبدأوا فى اتخاذ اجراءات أكثر صرامة لمحاولة الحصول على أية ميزة قتالية، كان البريطانيون بالطبع قد فرضوا حصارا بحريا على ألمانيا مستغلين فى ذلك قدرات أسطولهم الكبير فى المراحل الأولى للحرب وكذلك لم يتعامل الإنجليز بتحضر فقد

كان حصارهم البحرى على ألمانيا يستهدف فيما يستهدف منع إطعام عن الشعب الألمانى واعتبرت القيادة الألمانية أن ذلك الحصار هو محاولة وقحة من البريطانيين لتجويع الشعب الألمانى وإجباره على الخضوع وسيطرت على الألمان الرغبة فى رد الصاع للإنجليز بنفس الطريقة ولم يكن الألمان يستطيعون التعامل بنفس الأسلوب مع البريطانيين حيث لم يكن لديهم نفس الأسطول القوى من سفن السطح مثل أعدائهم الإنجليز وكانت الطريقة الوحيدة التى أتيحت للألمان لفرض الحصار على الإنجليز هى الغواصات وكان المستشار الألمانى تيوبالد هولفيج يخشى من أن الحصار الذى تفرضه الغواصات المبنى على أسلوب الضرب بدون تحذير سيتسبب فى إثارة الولايات المتحدة والدول الأخرى المحايدة[68] .

---

[68] لعبت الدعاية البريطانية واحدا من ألمع أدوارها على الإطلاق فى واحدة من حلقات حملة الدعاية الشرسة التى كانت تشنها على ألمانيا فى ذلك الوقت بعد أن قامت الغواصات الألمانية بإغراق السفينة البريطانية لوزيتانيا Lusitania وكانت لوزيتانيا فى الأصل سفينة مخصصة لنقل المسافرين عبر المحيط الأطلنطى وبعد نشوب الحرب العالمية الأولى قرر سلاح البحرية البريطانى استغلال جزء من حمولتها فى نقل الأسلحة والذخائر من الولايات المتحدة إلى بريطانيا على الرغم من الخطر الذى يمثله هذا على النساء والأطفال الذين قد يكونون على متن السفينة كانت قيادة السلاح البحرى البريطانى قد فكرت فى تسليحها وضمها إلى سفنها العاملة ولكنها انتهت إلى أن تكاليف تشغيلها ستكون عالية جدا وفى إحدى رحلاتها كانت لوزيتانيا فى طريقها إلى ميناء " كوينزتاون " فى إيرلندا فى السابع من مايو ١٩١٥ عندما رصدتها الغواصة الألمانية "يو ٢٠ فى وقت الظهيرة وأصدر قائدها فالتر شفيجر الأمر بإطلاق النار فأطلقت الغواصة طوربيدا نحو لوزيتانيا مما نتج عنه انفجار أحدث فتحة كبيرة فى جانب السفينة وفى ظرف ثمان دقائق كانت لوزيتانيا تغرق بينما كان بينها وبين الساحل الإيرلندى مسافة ثمانية أميال فقط قتل فى تلك الحادثة ١١٩٨ شخصا بينهم ١٢٨ أمريكيا وحوالى ألف طفل وخوفا من رد فعل أمريكى فرض القيصر فيلهلم عقوبات صارمة على الغواصات التى تقوم بمهاجمة سفن ركاب وبالطبع كان إغراق لوزيتانيا مادة ممتازة للدعاية البريطانية وبدأت حملة بريطانية شرسة ضد الألمان

غير أنه لم يكن قادرا على مقاومة الضغوط التى كانت تمارس من أجل اتخاذ تلك الخطوات وفى الرابع من فبراير ١٩١٥ أعلن فيلهلم الثانى قيصر ألمانيا أن البحار المحيطة بالجزر البريطانية هى منطقة حرب اعتبارا من الثامن عشر من فبراير وأصبح يتم اغراق سفن الحلفاء بدون إنذار وحتى السفن البريطانية التى كانت تختبئ خلف علم محايد لم يكن الألمان يبدون حيالها أى قدر من الرحمة غير أنهم كانوا يبذلون مجهودا للتعرف على السفن المحايدة فعلا إلا أنه وما أن يثبت لديهم أن هذه السفينة أو تلك بريطانية حتى يقصفوها بالطوربيدات ويرسلوها إلى القاع، كانت الغواصات الألمانية متمركزة أساسا فى أوستند ببلجيكا الأمر الذى أعطى الغواصات الألمانية منفذا أفضل للطرق البحرية حول إنجلترا واستغل الألمان تلك الميزة أفضل استغلال وبدءوا حصارهم البحرى بحوالى عشرين غواصة وفى يناير وقبل البدء فى الحصار كانت حمولة ٤٣٥٥٠ طن قد تم إغراقها وتزايدت أعداد السفن التى تم إغراقها بشكل متزايد عندما بلغت الحمولة التى أغرقها الألمان فى اغسطس ١٦٨٢٠٠ طن وكانت خسائر البريطانيين فى السفن الحربية قليلة بالرغم من اغراق البارجة فورميدابل Formidable فى أول يوم من أيام السنة الجديدة فقد مضى الوقت الذى كانت فيه الغواصات الألمانية تهاجم السفن البريطانية بينما قوادها نائمون فقد أصبحت هجمات الغواصات الألمانية كابوسا يؤرق نوم ضباط البحرية البريطانيين وساهمت المدمرات السريعة فى تقليل نسبة الخسائر التى كانت البحرية البريطانية تتكبدها ومن ناحية أخرى فلم يكن هناك ما يمكن عمله حيث لم تكن البوارج البريطانية قادرة على التعامل مع الغواصات أو إغراقها خصوصا إذا كان قائد الغواصة

للدرجة التى جعلت القيصر يلغى حملة الغواصات على السفن التجارية نهائيا فى عام ١٩١٥ وقد جعلت تلك الحادثة الأمريكيين مستعدين تماما لإعلان الحرب على ألمانيا

يتمتع ببعض الحذر وتصبح الغواصة فى مأمن من القصف فى حالة غطسها ولكن يمكن الارتطام بها إن كانت على العمق الذى يسمح للبريسكوب بالمراقبة ولكن تلك الطريقة كانت غاية فى الصعوبة ولكنها نجحت فى بعض المناسبات ففى الثامن عشر من مارس ١٩١٥ عثرت سفن الأسطول البريطانى التى كانت تقوم بمناورات على غواصة " يو ٢٩ " التى كان يقودها الليوتنانت فيديجن وكانت البارجة دريدنوت Dreadnought قد رصدتها وارتطمت بها فأغرقتها بكل طاقمها ولم تكن المدمرات قادرة على اصطياد الغواصات حيث إنها كانت مشغولة بحماية الأسطول وقد أدخل البريطانيون كل السفن التى كانت فى أيديهم إلى الخدمة حتى اليخوت وسفن الصيد كسفن دوريات مساعدة غير أن الغواصات كانت قادرة على تجنب الدوريات وإغراق السفن التى تبحر بدون حراسة وكانت حرب الغواصات تسير بشكل جيد وأثبتت أنها ناجحة إلى حد كبير وبدا أنها تستطيع تجويع البريطانيين ودفعهم إلى الاستسلام غير أنه ومن الناحية الدعائية كانت كارثة كبيرة على ألمانيا إذ أن الحلفاء استغلوا ذلك بشكل جيد ضد الألمان ولم يكن الأمريكيون راغبون فى التدخل فى الحرب ولكن القصص البشعة التى كان الحلفاء يشيعونها عن الحرب مثل اغتصاب بلجيكا فى بداية الصراع قد نجحت فى تحريك الرأى العام الشعبى فى أمريكا ضد الألمان وكانت حرب الغواصات عنصرا آخر يضاف إلى حملة الدعاية للحلفاء التى كانت تقوم على اظهار الألمان بمظهر المتوحشين القساة وبدأت مانشيتات الصحف الأمريكية تعلن عن قتل الرعايا الأمريكيين على متن السفن البريطانية وفى أبريل من عام ١٩١٥ تم ضرب سفينة البضائع البريطانية هارباليس بالطوربيد وإغراقها بدون تحذير وكانت هارباليس فى طريقها إلى أمريكا لجلب الطعام لبلجيكا وكانت تحمل كلمات لجنة الطعام من أجل بلجيكا بحروف بيضاء كبيرة

وكانت تحمل علما أبيض وثار الرأى العالمى على ألمانيا من جديد، لم تفشل الغواصات فى الحرب العالمية الأولى وإن كانت دعاية بريطانيا قد أجبرت الألمان عن التخلى عن تلك الورقة الرابحة فى حربهم على بريطانيا إلا أن الغواصة ظهرت كسلاح بحرى مخيف، كانت سلاح الغواصات حقا قادرا على تغيير مسار الحرب وتركيع بريطانيا، خصوصا بعد التطويرات التى أدخلها الألمان على بعض طرازات غواصاتهم فأصبحت تستطيع حمل أربعة طوربيدات بدلا من اثنين وبعد استئناف حرب الغواصات بعد توقفها لفترة قصيرة أصبح استسلام بريطانيا أمرا يقبل النقاش وقد بلغ اليأس مبلغه من الإنجليز للدرجة التى دفعت الأدميرال سير جون John Gelicoe جليكو قائد البحرية الملكية البريطانية إلى القول بأنه إذا استمرت الأمور تسوء بنفس المعدل فسيكون على بريطانيا أن تطلب السلام قبل حلول صيف ١٩١٧.

إستراتيجية
نابليون بونابرت

بلغ من أهمية حروب نابوليون والإستراتيجيات التى اتبعت فيها أن امتد تأثيرها إلى الحرب الأهلية الأمريكية وإلى المراحل الأولى من الحرب العالمية الأولى وتطلبت التطويرات التى عاصرها نابوليون بونابرت على تشكيلات الجيوش أن يتم تقسيم الجيوش إلى وحدات من فرق Division إلى فيالق Corps ومع تقسيم الجيوش إلى فرق بدأت فى الظهور تشكيلات مدفعية خاصة بكل فرقة وكانت تلك خفيفة الوزن وذات قدرة على الحركة وتمتلك تأثيرا نيرانيًّا كبيرا وأفسحت التشكيلات العتيقة الطريق أمام ظهور تشكيلات المشاة الخفيفة التى تقاتل فى خطوط مناوشة وقد استفاد نابوليون بونابرت من تلك التطورات وانتهج إستراتيجية تدعى بإستراتيجية الإبادة Strategy of Annihilation وكانت تلك الأخيرة فعالة إلى حد كبير وكان الهدف الذى دائما ما يضعه نابوليون نصب عينيه فى أية معركة هو تدمير الخصم بالكامل وكان عادة ما يحقق نجاحا لقدرته المتفوقة على المناورة وبينما لم يكن نابوليون هو مبتكر الطرق التى يستخدمها إلا أنه كان يستخدمها بشكل غاية فى البراعة وكانت معركة أوسترليتز Austerlitz مثالا ممتازا على قدرة نابوليون على المناورة حيث انسحب من موقع قوى ليغرى العدو بتتبعه والهجوم عليه من الأجناب الأمر الذى كان لا بد أن يضعف القلب فيقوم هو بشطر جيش الحلفاء إلى نصفين ليحرز النصر فيما بعد وكان نابوليون يستخدم إستراتيجيتين أساسيتين عند القتال فقد كانت مناورته المسماة بالمناورة الخلفية Maneuvre De Derrière والمقصود بها وضع قواته على طرق مواصلات القوات

المعادية وكان ذلك يجبر العدو على الدخول فى قتال مع نابوليون أو على ايجاد طريق خلفى للهرب فعندما يقوم بالالتفاف بجيشه حول مؤخرة العدو فانه بذلك يقطع خطوط إمداداته ومواصلاته وكان لذلك تأثير سلبى هائل على معنويات أفراد جيش العدو مما يؤثر بالطبع على ادائه فى وقت المعركة ومن ناحية أخرى كانت تلك الطريقة توفر لنابوليون أكثر من طريق يمكنه اتخاذها لدخول ميدان القتال وكان لتلك الطريقة الإستراتيجية ميزة أخرى حيث تنعدم قدرة العدو على تركيز قواته نظرا لانشغاله بعملية جمع الطعام للرجال وحيوانات الجر والجياد وكان ذلك يساهم إلى حد كبير فى إخفاء نوايا نابوليون وموقعه الحقيقى وكانت تلك الإستراتيجية بالإضافة إلى السير الحثيث Forced Marches من العوامل التى تعطى نابوليون تفوقا معنويا هائلا وكان هذا الاقتراب الغير مباشر للمعركة مما يسمح لنابوليون بقطع ارتباط التشكيلات الخطية التى كانت جيوش دول التحالف تستخدمها فى ذلك الوقت ومع تطور سير المعركة كان العدو يزج باحتياطياته فى محاولة للحفاظ على استقرار الموقف وفى تلك المرحلة كان نابوليون يطلق تشكيلا لمهاجمة العدو من ناحية الجناح ولم يكن لدى أعدائه فى تلك الحالة حينما يواجهون تهديدا مفاجئا ومع قلة احتياطياتهم خيار غير اضعاف الجهة المتعرضة للهجوم الجانبى وأن يشكلوا خطا قتاليا بزاوية قائمة فى محاولة لوقف مثل هذا التهديد وبمجرد حدوث ذلك فإن نابوليون سرعان ما كان يجمع احتياطياته عند مفصل الزاوية القائمة ويقوم بشن هجوم عنيف لكسر صفوفهم الأمر الذى يحدث ثغرة تسمح للفرسان بتطويقهم بشكل كامل مما يترك العدو بين خيارين كل منهما اسوأ من الآخر أما أن يستسلموا أو أن يلوذوا بالفرار، وكانت الإستراتيجية الثانية التى يطبقها نابوليون عندما يواجه جيشين أو أكثر هو أن يتخذ موقعا متوسطا وكان ذلك يسمح لنابوليون بدق اسفين بينهما لعزل كل منهما عن

الآخر[69] وكان فى تلك الحالة يستخدم جزءا من قواته لحجب أحد الجيشين

---

[69] تشبه تلك الإستراتيجية التى كان نابوليون يطبقها إلى حد كبير الخطة التى طبقها الألمان فى معركة تاننبرج Tannenberg فى الحرب العالمية الأولى ضد الروس وكان الألمان يواجهون موقفا تكتيكيا حرجا حيث كان على الجيش الثامن الألمانى أن يواجه تفوقا عدديا للروس بنسبة ٢ إلى ١ فقد كانوا يواجهون الجيش الأول والجيش الثانى الروسيين ولم يكن بمقدور القوات الألمانية أن تواجههما مجتمعين وكان الكولونيل ماكس هوفمان Max Hoffman نائب بريتفيتز Prittwitz للعمليات مدركا للمشاكل الكبيرة بين قائدى الجيشين الجنرالين الروسيين سامسونوف Samsonov ورينكامبف Rennenkampf وما الذى يمكن أن يعنيه ذلك بالنسبة لخطط العمل الخاصة بجيشيهما وقدر أنهما قد يظلا منفصلين كما كانا فى ذلك الوقت واقترح تحريك كل من ليس فى خط الدفاع الشرقى عن مدينة كونيجسبرج Königsberg إلى الجنوب الغربى وتحريك الفيلق الأول بالقطار إلى يسار خط سامسونوف على مسافة أكثر من مائة ميل والفيلق السادس عشر إلى الجنوب من الأول سيتم تجهيزه للتحرك مباشرة إلى الجنوب ليواجه الجناح الأيمن لقوات سامسونوف الفيلق الرابع وعلاوة على ذلك فستقوم قوات الخيالة الصغيرة فى الجوار بالتحرك إلى نهر الفيستولا Wistula إلى الغرب ويبدو أنه كان يأمل فى أن تتمكن الخيالة من استدراج سامسونوف إلى الغرب بحيث تقوم بعزل الجيشين عن بعضهما البعض وترك ذلك جزءا صغيرا من منطقة كونيجسبرج محصنا أمام قوات الجيش الأول بينما كانت المداخل من الجنوب مفتوحة بالكامل وكان الغرض من ذلك هو عزل الجيش الأول بقيادة رينكامبف عن الجيش الثانى بقيادة سامسونوف ومنعه من دعمه عند القيام بمهاجمته عند طريق الاشتباك معه وتعطيله عن أى تحرك لدعم رننكامبف ريثما تتمكن القوات الألمانية من هزيمته ونظريا كانت الخطة مليئة بالمخاطر فإذا تحرك الجيش الأول إلى الجنوب الغربى بدلا من التقدم غربا مباشرة باتجاه كونيجسبرج فسيظهر إلى أقصى الجناح الأيسر للجيش الثامن مما يسمح إما بهجوم مضاد على الجيش الثامن أو بدلا من ذلك التحرك شمالا باتجاه كونيجسبرج من الجنوب والتى كانت غير مدافع عنها الآن غير أن هوفمان ظل مقتنعا بالخطة لسببين السبب الأول أنه كان مدركا للعداوة بين الجنرالين والسبب الثانى هو أن الروس اعتادوا أن يرسلوا أوامر التحرك عبر الراديو غير مشفرة ويبدوا أنهم كانوا على قناعة بأن الألمان لن يستطيعوا الحصول على مترجمين للغة الروسية ولكن الألمان اعترضوا الإشارات بسهولة وقاموا بترجمتها وعندما وصل كل من

هندنبورج Hindenburg ولودندورف Ludendorf بدءا على الفور فى تنفيذ خطة هوفمان غير انهما تركا الخيالة حيث كانت تشكل ستارة أو حاجزا أمام الجناح الأيسر للجيش الروسى الأول وتم نقل الفيلق الأول بقيادة هيرمان فون فرانسوا Hermann von François أكثر من مائة ميل بالقطار إلى أقصى الجنوب الغربى لملاقاة الجناح الأيسر للجيش الثانى الروسى وكان على الفيلقين الباقيين واللذين كانا تحت تصرف هندنبورج أن ينتظرا الأوامر بالتحرك جنوبا على الأقدام لمواجهة الجناح الأيمن للجنرال سامسونوف وأخيرا فيلق رابع كحامية وهو الفيلق الأول احتياط والذى صدر له الأمر بالبقاء قريبا من نهر الفيستولا لملاقاة سامسونوف عند تحرك جيشه إلى الجنوب وبذلك تم إحكام الفخ تمهيدا لابتلاع الروس وبدأت المعركة فى صباح السادس والعشرين من اغسطس من عام ١٩١٤ بتقدم الجيش الأول الروسى إلى الغرب ولم يلاقى إلا مقاومة طفيفة وكانت القوات التى كانت فى السابق فى مواجهتهم قد تحركت إلى الجنوب فى مواجهة الجناح الأيمن للجيش الثانى وكان ما يزال هناك وقت لإغلاق الفجوة بين الجيشين وبالتالى تهديد التحركات الألمانية والتى كان يتم تقديم تقارير بها إلى القيادة الروسية غير أنه وفى ليلة الخامس والعشرين من أغسطس اصدر القائد الميدانى الأمر للجيش الروسى الأول بالاستمرار فى التقدم إلى كونيجسبرج مباشرة وقد تم اعتراض تلك الأوامر مجددا وبسبب تأخر فون فرانسوا كان الفيلق السادس عشر هو الذى بدأ بالهجوم فقد قابلا فرقتين منفصلتين من الفيلق الخامس الروسى قرب زيبورج Seeburg وبيشوفشتاين Bischoffstein وتمكن من دفع كليهما إلى الحدود فى حالة من الفوضى وبذلك تم فتح الجناح الأيمن للجيش الثانى الروسى وفى نفس الوقت استمر التقدم الروسى باتجاه تاننبرج ليقوم الفيلق العاشر الألمانى باعتراضه وكان الروس قد حققوا نجاحات محدودة فى الوسط حيث تقدم الفيلق الثالث عشر باتجاه النشتاين Allenstein بدون مقاومة وشن فون فرانسوا هجومه على الجناح الأيسر الروسى المتكون من الفيلق الأول وقامت المدفعية الألمانية بدك المواقع الروسية وكانت عاملا مهما فى حسم المعركة وقبل حلول الليل كان الروس يتراجعون وفى محاولة منه للإبقاء على الخط مستقرا أصدر الجنرال سامسونوف الأمر إلى الفيلق الثالث عشر بإخلاء النشتاين والالتفات نحو الجنوب الغربى للمساعدة فى اختراق تاننبرج وباكتمال تلك المناورة أصبح السواد الأعظم من الجيش الثانى الروسى فى منطقة تاننبرج ويتكون من الفيلق الثالث عشر الذى وصل مؤخرا والفيلق الرابع عشر والفيلق الثالث والعشرين وبحلول ليلة الثامن والعشرين من أغسطس كانت الابعاد الكاملة للخطر المحدق بالقوات الروسية قد

بينما يقوم الجزء الأكبر من قواته بسحق الجيش الآخر ثم يقوم بمهاجمة الجيش الآخر تاركا جزءا من قواته لتقوم بأعمال المطاردة للجيش الأول

اتضحت فكان الفيلق الأول على اليسار والفيلق الخامس على اليمين ينسحبان وفى نفس الوقت كان الوسط يعانى من مشاكل إمداد خطيرة ولم يمض وقت كبير حتى تلاشى أى أمل له فى استكمال الهجوم ولم يكن لدى سامسونوف أى خيار سوى إصدار الأمر بانسحاب إلى الجنوب الشرقى قرب الحدود لإعادة تشكيل الخطوط وفى نفس الوقت طلب من رننكامبف أن يتجاهل كونيجسبرج ويلتفت إلى الجنوب الغربى للمساعدة ولكن كان الوقت قد فات فقد تمكن فون فرانسوا من التقدم إلى الشرق ليشكل خطا إلى الجنوب من القوات الروسية بين نيدنبورج Niedenburg وفيلنبورج Willenburg مباشرة أمام القوات المنسحبة وفى نفس الوقت كان الفيلق الخامس عشر فى الشمال يتحرك لملاقاته فى الجنوب الغربى وفى اليوم التالى كانت القوات الروسية فى الوسط قد قابلت تلك القوات فى طريقهم إلى إعادة التجميع وأدركوا أنهم قد حوصروا فى جيب تشكل إلى الشرق من تاننبرج قرب القرية المعروفة باسم فروجناو Frogenau حيث تم سحقهم فى التاسع والعشرين من أغسطس وحاول الجيش الأول الروسى القدوم لمساعدتهم ولكنهم كانوا قد تأخروا جدا وقد أثبتت ستارة الخيالة أنها فعالة إذ قامت بتعطيل القوات الروسية وقبل انتهاء المعركة بالفعل كانت أقرب الوحدات لا تزال إلى الشمال الغربى من نقطة التماس الأولية بين الفيلق السادس عشر الألمانى والفيلق الخامس الروسى على بعد حوالى اثنين وسبعين كيلو مترا من الجيب الذى أقفلته عليهم القوات الألمانية وكانت هناك وحدات أخرى مبعثرة بطول خط كونيجسبرج وكان الجيش الأول ممتدا بشكل يمثل خطورة وقبل انتهاء المعركة فى الثلاثين من أغسطس كان الألمان قد نجحوا فى أسر خمسة وتسعين ألفا من القوات الروسية وتم قتل ثلاثين ألفا آخرين وتمكن حوالى عشرة آلاف فقط من الهرب وكان معظمهم من الجناحين المنسحبين وبحلول اليوم الأخير للمعركة التى دامت خمسة أيام لم يعد هناك وجود للجيش الثانى الروسى وتكبد الألمان خسائر أقل من عشرين ألفا وتمكنوا من الاستيلاء على أكثر من خمس مائة مدفع وتطلب الأمر ستين قطارا لنقل المعدات التى تم الاستيلاء عليها إلى ألمانيا وبدلا من أن يبلغ قائد الجيش الثانى الروسى الجنرال سامسونوف تقريرا بخسائره إلى القيصر فضل إطلاق النار على نفسه.

المنهزم ويقوم بتكرار العملية الأولى وكان الغرض من ذلك هو تحقيق مبدأ تركيز القوات عند التحام الجيش فى المعركة الأولى وفى نفس الوقت تقييد قدرة العدو على تعزيز الجزء المتعرض للخطر وكان مما يضعف هذه الإستراتيجية حقيقة أن الموقع المتوسط هو أنه لا يستطيع توفير القدرة الكاملة على مطاردة العدو حيث كان الجيش الثانى هو الأجدر بالاهتمام لذا فإن الطريقة المفضلة لدى نابوليون فى الهجوم هى السير نحو الجناح واعتراض خطوط مواصلات العدو وقد استخدم نابوليون إستراتيجية الموقع المتوسط فى معركة واترلو فقد قام بعمل حاجز أمام قوات دوق لينجتولن ارثر ويلزلى Arthur Wellesley البريطانية وركز قواته ضد الجيش البروسى بينما لم يكن قادته قادرين على القيام بعمل حاجز أمام القوات البروسية بعد هزيمتها فى معركة ليني وقد نتج عن ذلك قيام القوات البروسية بتعزيز القوات المتحالفة فى أكثر لحظات معركة واترلو حرجا ليتغير تاريخ أوربا وتنتهى بذلك السيطرة الفرنسية على القارة الاوربية ويمكن القول بغير مبالغة ان نابوليون بونابرت فى المرحلة الأخيرة من المعركة كان عرضة لنفس إستراتيجية المناورة الخلفية والتى مارسها معه الجنرال البروسى فون بلوشر von Blücher وأصبح على بونابرت أن يتعامل مع تهديد العدو من الخلف وكانت انتصارات نابوليون بونابرت والتى كان يحرزها عن طريق قيادة قوات صغيرة الحجم نسبيا ليهزم بها قوات متفوقة عليها عدديا قد فتحت المجال أمام الدراسة والبحث بشكل متعمق من قبل دارسى العلوم العسكرية والإستراتيجية وخصوصا من جانب خصومه الذين كانوا حريصين على بلورة مفاهيمهم عن طريقة استخدام نابوليون لقواته والإستراتيجيات والتكتيكات التى كان يقوم بتطبيقها فى معاركه المختلفة ومن الجدير بالذكر ان المفكر العسكرى البروسى الشهير كارل فون كلاوزفيتس Carl von Clausewitz

وانتـوان هنـرى دو جـومينى Antoine-Henri Jomini أحـد جنـرالات هيئة أركان نـابوليون كانـا مـن أكبـر مـن درسـا إستراتيجية نـابوليون وكـان كلاوزفيتس مؤمنا بمفاهيم نابوليون بونابرت المتعلقة بالنصر فى المعركة عن طريق تدمير قوات العدو بأى ثمن علاوة على ذلك كان كلاوزفيتس يؤمن بتأثير الحروب المحدودة فى إضعاف الخصم وهو ما عرف بإستراتيجية الاستنزاف ومن ناحية أخرى تعامل جومينى مع الإستراتيجية من حيث التخطيط وجمع المعلومات والقيام بالهجوم من وجهة نظر الجنرال أكثر مما تعامل معها من وجهة نظر رجل الدولة وكانت عقيدته هى ان النصر يتم إحرازه عن طريق احتلال أرض الخصم وليس فقط تدمير جيشه وبرزت فى نظريته الإستراتيجية الاعتبارات التكتيكية وكان العنصران الأساسيان فى إستراتيجية جومينى وهما التركيز ضد أجزاء من قوات العدو كل على حدة والقيام بضرب أكثر الاهداف حيوية وفى واحد من أكبر الاختلافات مع إستراتيجية نابوليون التى تعتمد على ابادة قوات العدو والمسماة إستراتيجية الإبادة وبما يمثل ارهاصا مبكرا لما عرف بعد ذلك بحرب الخنادق كان على القوات الفرنسية ان تنسحب فور نفاذ مؤنها عند مهاجمة خط التحصينات المعروف باسم خطوط توريس فيدراس Torres Vedras Lines حيث لم يتمكنوا من تطويقه وهو خط مكون من تحصينات عبارة عن مجموعة من القلاع التى تم بناؤها سرا للدفاع عن ليشبونة عاصمة البرتغال أثناء الحرب فى شبه جزية أيبريا وقام البرتغاليون ببنائها بين عامى ١٨٠٩ و١٨١٠و كانت الحرب فى شبه جزيرة أيبريا[70] فترة مهمة لتطوير طريقة أخرى مهمة فى القتال والتى

[70] حرب شبه الجزيرة الأيبرية هى إحدى حلقات الصراع الأوربى فى القرن الثامن عشر بين فرنسا نابوليون من ناحية والدول المتحالفة من ناحية أخرى والتى كانت تضم إنجلترا وأسبانيا والبرتغال وقد بدأت الحرب عندما قامت جيوش نابوليون بغزو

أسبانيا والبرتغال فى عام ١٨٠٧ بغرض السيطرة على شبه جزيرة ايبريا ودامت سبع سنوات حتى عام ١٨١٤ وكان كفاح الأسبان المتواصل لتحرير أسبانيا قد تحول إلى ما يمكن تسميته بحرب عصابات على نطاق واسع (كلمة حرب عصابات باللغة الإنجليزية Guerilla كلمة مستعارة أصلا من اللغة الأسبانية وهى تصغير لكلمة حرب Guerra بالأسبانية) وكان فشل جيوش نابوليون فى تهدئة الأوضاع فى أسبانيا من الأمور التى مكنت جيوش البريطانيين والبرتغاليين من تأمين البرتغال والاشتباك بشكل ضار مع القوات الفرنسية على الحدود بين أسبانيا والبرتغال بينما كان مقاتلو العصابات الأسبانية يجعلون القوات الفرنسية تنزف وكانت تلك المجهودات شبه المنسقة بين القوات الأنجلو برتغالي النظامية ومقاتلى حرب العصابات الأسبان قد ساهمت فى منع الفرنسيين من تحقيق اهم اهدافهم وهو اخضاع أسبانيا وبينما كانت الجيوش الفرنسية وتحديدا جيش نابوليون والذى كان يعرف باسم الجيش الكبير Grande Armée دائما ما يحرز الانتصارات فى ميادين المعارك مع الجيوش النظامية بينما يتلقى ضربات قاسية على أيدى مقاتلى العصابات الأسبانية الذين كانوا يستخدمون تكتيكات ما يعرف الآن بحرب العصابات بدءا من مهاجمة خطوط مواصلاته وقطع طرق وحداته ومهاجمة قوافل الإمداد الخاصة به ومن ناحية أخرى فعلى الرغم من هزيمة الجيش الأسبانى إلا أنه لم يخرج من الحرب بشكل كامل حيث ظل قادرا على توجيه الضربات المؤثرة للجيش الفرنسى ومضايقته بلا انقطاع للدرجة التى بلغت فيها خسائر الجيش الفرنسى فى الأفراد خمسين ألف جندى سنويا هذا بالإضافة إلى عدد غير معروف من العتاد كان من الممكن أن يستخدم فى الحملة على روسيا وبعد بدء عملية غزو روسيا من قبل جيوش نابوليون بدأت قوة نابوليون العسكرية فى الانهيار بشكل متسارع نتيجة للهزائم المتوالية التى منيت بها الجيوش الفرنسية على الجبهة الروسية حتى اندفع جيش من الحلفاء بقيادة آرثر ويلزلى Arthur Wellesley عبر الحدود بين أسبانيا والبرتغال ونجح فى استعادة مدريد من قبضة الفرنسيين ثم استمرت القوات المشتركة فى مطاردة القوات الفرنسية عبر أسبانيا حتى دفعتها إلى الهرب إلى داخل الحدود الفرنسية عن طريق جبال البرانس وعلى الرغم من استعادة أسبانيا إلا أن الغزو الفرنسى تسبب فى تدمير الاقتصاد الأسبانى والبرتغالى على السواء مما أدى إلى حالة من عدم الاستقرار السياسى والركود الاقتصادى واندلعت الحروب الأهلية فى الداخل الأسبانى يقودها طبقة جديدة من الضباط الذين تلقوا تدريبا عمليا ممتازا خلال سنوات الغزو الفرنسى ونتج عن ذلك فقدان أسبانيا لكثير من مستعمراتها فى أمريكا اللاتينية ما ساهم فى زيادة التدهور

مرت بدون ملاحظة والتى سوف تصبح فى القرن العشرين إحدى طرق الحرب المهمة والتى ستسهم فيما بعد فى تغيير التاريخ إلى حد كبير وهى حرب العصابات حيث دأب الأسبان على مضايقة الفرنسيين خلف خطوطهم عن طريق شن عمليات اغارة لا تنقطع على القوات الفرنسية وخطوط مواصلاتها وقوافل إمدادها مما دفع بالفرنسيين إلى تبديد جزء مهم من قواتهم لحماية خطوط مواصلات الجيش وبالنسبة للبريطانيين الذين شجعوا الأسبان على القيام بمثل ذلك النوع من الهجمات كانت تلك عملية غير مكلفة حيث ومن الناحية الاقتصادية كانت عملية تشكيل جيش نظامى بريطانى وتزويده بالمعدات والأسلحة وتموينه بالطعام والوقود ثم الدفع به بعد ذلك للاشتباك مع القوات الفرنسية المدربة تدريبا جيدا فى ذلك الوقت أكثر تكلفة بكثير من مساعدة الثوار الأسبان على القيام بالاشتباك مع الجيش الفرنسى فضلا عن الإزعاج الذى سببته تلك الهجمات للجيش الفرنسى والنجاح الذى حققه الثوار الأسبان والذى لم يكن جيش نظامى بريطانى قادرا على تحقيقه بنفس الدرجة هذا بالإضافة إلى عدم احتياج الثوار الأسبان إلى خطوط إمداد حيث تعتمد منظومة حرب العصابات على خطوط إستراتيجية مختلفة تماما عن الحرب النظامية وهو أمر لا يتصور كونه واضحا بشكله الحالى للقيادة البريطانية إلا أنه من الجلى أن مزايا تلك الطريقة فى القتال كانت واضحة إلى حد كبير للقادة البريطانيين وقد افادت تلك الإستراتيجية البريطانيين إلى حد بعيد بشكل ربما لم يكن واضحا لهم فى ذلك الوقت.

الاقتصادى الأسبانى كما فقدت البرتغال البرازيل مستعمرتها الوحيدة فى أمريكا اللاتينية والتى نالت استقلالها بعد الحرب بسنوات قليلة

التسليح

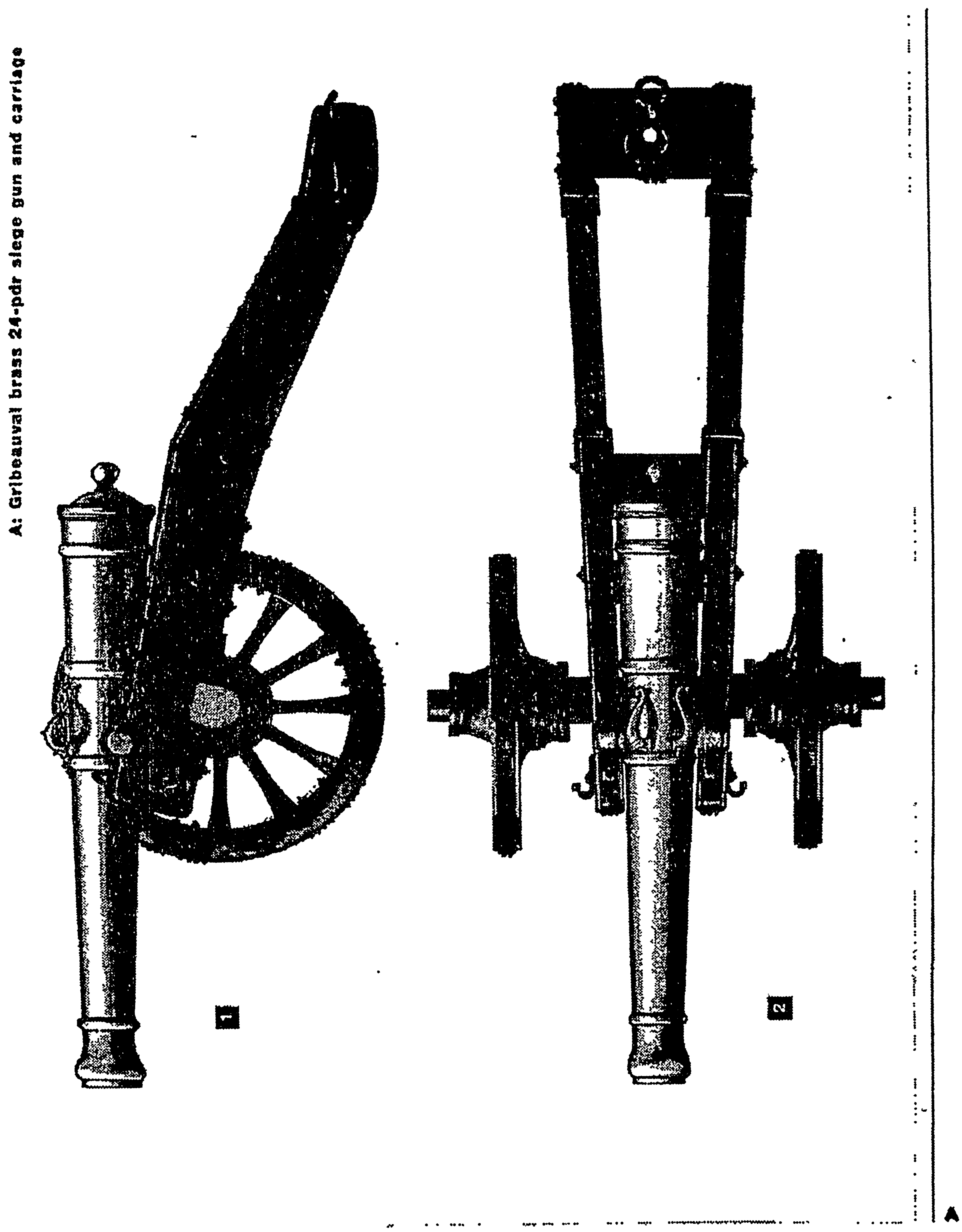
المدفعية

كانت المدفعية واحدا من أهم عناصر ترسانة الأسلحة الفرنسية في عصر نابوليون وخصوصا المدفعية الثقيلة فقد كانت المدفعية أحد الأسلحة التي مرت بعملية من التطوير والتحسين في أوربا قبل عصر نابوليون وجدير بالذكر أن نابوليون كان في الأصل ضابطا في سلاح المدفعية الفرنسي قبل أن يصبح جنرالا وكانت المدفعية الثقيلة تستخدم تقريبا في كل بلدان أوربا بما فيها فرنسا وفيما بين عامي ١٧٦٥ و١٧٧٤ خضعت المدافع للتطوير وظهرت عيارات جديدة مثل المدافع ١٢ و١٠ و٨ رطل وكذلك المدافع المعروفة باسم الجريبوفال Gribeauval وكانت من عيارات ١٢ و٨ و٦ و٤ رطل تطلقها مواسير بعيار ٨ و٦ بوصة وكانت تلك الطرازات من المدافع هي النوعية المفضلة لدى نابوليون وكان أهم اعتبار يحكم نابوليون في اختيارها هي أنها أخف في الوزن بحوالي الثلث عن أنواع المدافع التي تملكها الدول الأخرى فعلى سبيل المثال كانت ماسورة المدفع البريطاني من عيار ١٢ بوصة تزن ٣،١٥٠ رطلا وكان المدفع كله بما يشمل عربته والجزء الأمامي يزن ٦٥٠٠ رطل بينما كان مدفع الجريبو فال من عيار ١٢ بوصة يزن ٢١٧٤ رطل وكان المدفع كله بما يشمل عربته والجزء الأمامي يزن ٤٣٦٧ رطل وحيث كان نابوليون يقدم اعتبارات السرعة والقدرة على الحركة للقيام بمناوراته على أي اعتبار آخر فقد كان هذا النوع من المدافع يوفر له المرونة التي يبتغيها وبالإضافة إلى المدفعية كان الجيش الفرنسي يمتلك أعدادا كبيرة من الراجمات والقنابل وكان كل ذلك يوفر دعما نيرانيا كذلك كانت المدفعية تلعب أدوارا حاسمة في القتال البحري وكانت كل السفن في ذلك الوقت تحتوي على عدد من المدافع يتراواح بين الخمسين والمائة وكان تسليح

سفينة القيادة فى الأسطول البحرى لنابوليون والمسماة لوريان L'Orient[71] مائة وعشرون مدفعا وكانت تعد فى وقتها أكثر السفن تسليحا فى العالم ويمكن القول أن المدفعية كانت دائما عاملا حاسما وشديد الأهمية فى انتصارات نابوليون بونابرت.

---

[71] السفينة لوريان L'Orient أى الشرق كانت أكبر سفينة فى الأسطول الفرنسى وكانت تحمل فى الأصل اسم Royal Dauphin- وتعنى الدولفين الملكى قد تبدل اسمها أكثر من مرة حتى حملت اسمها الأخير لوريان فى مايو من عام ١٧٩٥ وهى سفينة قيادة الأسطول الفرنسى والتى حملت نابوليون بونابرت على متنها لتقله إلى مصر ليقوم بغزوها وكانت لوريان هدفا أساسيا للأسطول البريطانى بقيادة نيلسون والذى كان يقوم بمطاردة نابوليون عبر البحر الأبيض المتوسط واشتركت السفينة لوريان فى معركة إمبابة ثم فى معركة أبو قير وتلقت الكثير من القذائف من السفن البريطانية واشتعلت فيها النيران حتى وصلت إلى مخزن ذخيرتها فانفجرت بدوى هائل ثم غرقت وقتل معظم طاقم السفينة من جراء هذا الانفجار بما فيهم قبطان السفينة الكابتن كازابيانكا asabianca وكان تسليح لوريان عبارة عن مائة وثمانية عشر مدفعا



رسم توضيحى لمدفع الجريبو فال الذى كانت تستخدمه قوات نابوليون

تسليح المشاة والفرسان

كان تسليح مشاة بونابرت يتكون أساسا من بنادق من طراز شارلفيل Charleville وكانت تلك البندقية وتسمى الماسكيت Musket التى كانت السلاح الفرنسى الأساسى أثناء الثورة الفرنسية وكان طول هذه البندقية خمسة أقدام وعيارها ٦٩ وكانت تتميز بماسورة طويلة ويتم تعميرها عن طريق الماسورة وكانت عملية إطلاق النار شديدة البطء وفى المتوسط كان معدل إطلاق النار لفرد المشاة الفرنسى هو ثلاثة دفعات فى الدقيقة حيث كان جندى المشاة يستغرق وقتا حتى يقوم بتعمير البندقية وعلاوة على بطئها الشديد كانت بندقية الماسكيت عديمة الدقة تقريبا حتى أن إصابة هدف على بعد ٨٠ خطوة كان يحتاج إلى مهارات خاصة لا تتوافر إلا لقليل من الرجال المدربين على الرماية بتلك البندقية وإن زاد المرمى عن تلك المسافة فكانت عملية إصابة الهدف أمرا لا يخضع للقواعد وبالإضافة إلى تلك البندقية كان فرد المشاة يحمل طبنجة من نفس العيار وكان تعمير تلك الطبنجة يتم أيضا عن طريق الماسورة مثله فى ذلك مثل البندقية وكان إطلاق النار يتم عن طريق إشعال فتيل وبالإضافة إلى هذين السلاحين كان أفراد المشاة مسلحين بالرماح القصيرة والسيوف والسناكى بغرض استخدامها فى القتال المتلاحم وبينما كان ضباط الخيالة وصف الضباط مسلحين بالسيوف كانت السناكى تغلب على تسليح أفراد المشاة العاديين وكانت تلك السناكى تستخدم كآخر وسيلة للقتال أما بالنسبة للفرسان والمهندسين العسكريين فكانوا يحملون نفس البندقية ولكنها أقصر بعشرة بوصات وكانت اخف وزنا الأمر الذى كان يجعلها أكثر مناسبة لخفة الحركة التى تتطلبها تشكيلات الفرسان وبالإضافة إلى تلك البنادق كان الفرسان يحملون سيوفا مقوسة طولها ٣٣ بوصة بينما كانت الخيالة الثقيلة تحمل سيوفا مستقيمة طولها ٣٨ بوصة وخلال الفترة التى قاد فيها

نابوليون جيوش فرنسا تم أيضا استخدام بنادق أكثر دقة من تلك البندقية الماسكيت وكان أقصى مدى لها ٢٠٠ خطوة وكانت مواسير تلك البنادق مصنوعة بطريقة تدفع الرصاصة إلى مسافة أبعد من الماسكيت إلا أنها كانت تستغرق وقتا أطول فى التعمير وهو أمر لم يجعل بونابرت متحمسا كثيرا لها كسلاح ولذا لم يتم تبنى ذلك النوع من البنادق على نطاق واسع فى الجيش الفرنسى فى ذلك الوقت وبدلا من ذلك ركز على ميزة السرعة النسبية التى كانت توفرها بنادق الماسكيت (من ناحية وقت التعمير).

الحركة

من ضمن أكبر مزايا قوات نابوليون بونابرت وكانت سرعة الحركة من أهم الامور التى يحرص عليها بونابرت فى تحركاته والهجمات التى يقود جيشه فيها ومن أقواله المأثورة عن أهمية السرعة فى الحروب

" إن خسارة الوقت فى الحرب هى أمر لا يمكن تعويضه وقد أخسر معركة لكن لا يمكننى أن أخسر دقيقة "

و قد ساهمت عوامل كثير فى قدرة نابوليون على التحرك بتلك المرونة بدءا من تقسيم جيشه إلى أقسام مستقلة وكذا تجنب السير البطىء وخطوط الإمداد الطويلة وبدلا من ذلك كان الجيش يعتمد فى إمداده على أرض العدو عاملين بشعار " إن الحرب ينبغى أن تطعم الحرب " ويعنى ذلك ان على الجيش المحارب أن يعتمد فى إمداده على أرض الخصم وكان هدف نابوليون هو توفير المؤن لجيشه من البيئة المحيطة سواء كان ذلك عن طريق الدول الحليفة أو عن طريق جمع الطعام واجتمع ذلك مع قدرته الفطرية على بث الحماسة فى رجاله ليصنع الكثير من انتصارات نابوليون

اللوجيستيات

ارتكب نابوليون بونابرت أثناء قيامه بتخطيط وتنفيذ حملته على روسيا عددا من الأخطاء التكتيكية والإستراتيجية الأمر الذى ادى إلى التأثير على قدرة منظومته اللوجيستية[72] على دعم العمليات على الجبهة الروسية وكان أحد أكبر أخطائه هو تصوره أن الجيش الفرنسى كان قادرا على شن الحرب على جبهتين فى وقت واحد ففى الوقت الذى بدأ فيه نابوليون غزوه لروسيا كان الجيش الفرنسى ما يزال يخوض الحرب الضارية ضد الأسبان حيث كانت فلول الجيش الأسبانى والمدنيين الذين انضموا إلى مجهودات الدفاع عن أسبانيا يقومون بشن الهجمات على المواقع الفرنسية بشكل منظم هذا علاوة على تدخل الجيش البريطانى وقيامه بشن الهجمات على الجيش الفرنسى فى أسبانيا عبر الحدود مع البرتغال فيما عرف بحرب شبه الجزيرة وعلى خلفية تلك الظروف العسكرية قرر نابوليون غزو روسيا ويبدو أنه فضل أن يظل البريطانيون منشغلين فى جبهة أخرى ونتج عن تلك الحرب أن الجيش الفرنسى كان يخسر سنويا حوالى خمسين ألفا من جنوده فى أسبانيا وحدها هذا غير المعدات التى كان يتم فقدها فى العمليات وكان يمكن أن يتم ضخ تلك الأعداد من الجنود والمعدات إلى الجبهة الروسية وكان نابوليون قد راعى فى تخطيطه للحملة على روسيا الاعتبارات اللوجيستية حتى ان الموعد الذى اختاره لغزو روسيا وهو الثالث والعشرون من يونيو كان هو الموعد الذى ظن نابوليون فيه أن المحاصيل فى روسيا ستكون قد نمت بما يكفى لتوفير الغذاء للقوات

---

[72] كان نابوليون قد قام بتحضيرات لوجيستية من أجل عملية الغزو حيث قام بتخصيص سبعة عشر كتائب تضم ستة آلاف عربة لحمل طعام يكفى لأربعين يوما وأنشأ منظومة للمخازن فى المدن البولندية والبروسية وفى بداية الحملة لم يكن من المخطط أن يسير نابوليون نحو موسكو ولذا فإن مثل هذه التجهيزات كانت تبدو كافية فى بداية عملية الغزو

الفرنسية التى ستقوم بعملية الغزو بما فيها الجياد حيث كان نابوليون متأثرا إلى حد كبير منذ بداية حياته العسكرية ومن خلال عكوفه على دراسة الحملات العسكرية التى شنها كبار الجنرالات فى التاريخ القديم وخصوصا هانيبال بن بركا ويوليوس قيصر والإسكندر الأكبر وكان الاثنان يعتمدان فى توفير الغذاء اللازم لقواتهما على استغلال موارد العدو ولا شك أن هذه الإستراتيجية هى واحدة من انجح الإستراتيجيات اللوجيستية كما يتضح من الخبرات العسكرية المتراكمة عبر آلاف السنين[73] وفى محاولة منه

---

[73] يناقش سون تزو فى كتابه فن الحرب فى الفصل الثانى بعنوان " شن الحرب " العمليات العسكرية من الناحية الاقتصادية ويبدأ من الفقرة الثامنة فى مناقشة الشكل الأفضل لإمداد الجيش بالطعام حيث يقول " الجندى المجرب لن يقوم بالتجنيد مرة أخرى ولن تملأ عربة إمداداته أكثر من مرتين " ويؤكد سون تزو على أهمية الاعتماد على أراضى الخصم فى تأمين الطعام لأفراد جيشه حيث يقول فى الفقرة التاسعة من نفس الفصل " قم بجلب أدوات الحرب معك من بلدك واجعل المؤن على العدو وهكذا يكون لدى الجيش من الطعام ما يكفى لاحتياجاته " ويقصد هنا بأدوات الحرب الأشياء والأوعية التى تستخدم لتناول وتخزين الطعام وفى الفقرة الخامسة عشر يتكلم سون تزو بشكل مباشر عن أهمية وقيمة الاعتماد على أراضى العدو لتوفير المؤن والطعام للجيش حيث يقول " ولهذا فإن الجنرال الحكيم يعتمد فى إمداده بالطعام على العدو فحمولة عربة واحدة من الطعام تستولى عليها من العدو تعادل عشرين من عرباتنا وبالمثل فإن زنة بيكول PICUL واحد من العلف تعادل عشرين من مخازننا " والبيكول ترجمة إنجليزية لوحدة وزن صينية تعادل ٦٥,٥ كيلو جراما وذلك نظرا لأن تكلفة نقل حمولة عربة واحدة من عربات الإمداد إلى الجبهة سيتكلف ما يعادل عشرين عربة وبهذا يكون سون تزو من أوائل من دعوا إلى إستراتيجية توفير المؤن للجيش من أراضى الخصم كذلك كان هانيبال بن بركا واحدا من الذين طبقوا هذا المبدأ فى حملته على إيطاليا والتى بدأت عام ٢١٥ قبل الميلاد وعرفت باسم الحرب البونية الثانية ولم تكن هناك صعوبات منذ البداية فى توفير الماء حيث كان جيش هانيبال يعمل فى مناطق يتوافر فيها الماء بكثافة نظرا لوجود الأنهار وكان هانيبال قد سار بجيشه من جنوب أسبانيا إلى روما مقسما جيشه وفقا لتقديرات بعض العسكريين إلى ثلاثة مجموعات وذلك ليسهل من عملية إمداد الجيش بالطعام وقد سار هانيبال بجيشه عبر أسبانيا مخترقا سلسلة جبال البرانس ثم جبال الألب وكما ذكر سابقا

لتأمين الاحتياجات اللوجيستية لحملته على روسيا قرر نابوليون ان تحمل الجياد التى استخدمها فى حملته والتى كان عددها يقدر بالآلاف أكثر من الحمولة التى تستطيع فعليا أن تتحملها إلا أن هذه الخطوة زادت من الأعباء اللوجيستية حيث زادت الحمولة الزائدة من معدل استهلاك الجياد

فإن عبور جبال الألب كان من أصعب مراحل عملية نقل الجيش إلى شمال إيطاليا ونتج عنها خسائر كبيرة فمن الناحية اللوجيستية كانت كل حيوانات الجر تقريبا قد نفقت على الطريق وذبحت لاستخدامها كطعام للجيش وكان هانيبال قد اختار الطريق البرى لمهاجمة روما بدلا من مهاجمتها عن طريق صقلية كما فعل أبوه حيث أراد تجنب الأخطاء اللوجيستية التى ارتكبت فى الحرب البونية الأولى حيث كان الجيش القرطاجى الذى يعسكر فى صقلية يعتمد بشكل كلى على السفن لنقل الإمدادات والتعزيزات وكنتيجة لفشل السفن القرطاجية فى تنفيذ هذه المهمة فقد الجيش إمداداته وخسر الحرب فى نهاية المطاف ولذا اختار هانيبال الطريق البرى لتفادى الأخطاء اللوجيستية فى الحرب البونية الأولى ولكنه كان ما يزال يواجه ثلاثة مشاكل من بينها محدودية الموارد ولذلك كان عليه أن يضع إستراتيجية لوجيستية شاملة وقد قدر المؤرخون أن الجيش القرطاجى كان يستهلك حوالى طن من الطعام يوميا وكانت مسألة إمداد الجيش بالطعام ملحة للدرجة التى حدت بأحد معاونى هانيبال أن يقترح عليه أن يتم تعويد الجنود على التهام اللحم البشرى وبالطبع فقد كان الرفض هو مصير ذلك الاقتراح وكان على هانيبال أن يعقد التحالفات مع القبائل المحلية المعادية لروما لإمداد جيشه بالطعام وذلك بإيفاد مبعوثين وجواسيس من قبله لتأمين احتياجات الجيش من الطعام حتى قبل بداية العمليات ضد الرومان وليس ذلك فحسب بل كان عليه كذلك أن يقوم بتخزين الطعام بطول الطريق وأن يقوم الجنود بصيد الحيوانات وجمع الطعام من الريف وكان هانيبال يحرص على أن يعسكر بقواته قرب الأماكن التى يوجد بها حقول الأعشاب والحبوب ويعتبر عبور هانيبال لجبال الألب على الرغم من خسائره الكبيرة مثالا جيدا على إدارة الجانب اللوجيستى لحملة عسكرية فلم يبدأ هانيبال عملية العبور قبل أن يضع إستراتيجية شاملة لنقل المؤن وإجراء الحسابات فيما يخص الكميات التى سيحملها معه والكميات التى سيقوم بتخزينها كذلك المرونة التى كانت تميز هانيبال حيث كان قادرا على تغيير إستراتيجيته طبقا للموقف كذلك كان يقوم بإرسال عناصر لاستطلاع الطريق أمام جيشه قبل القيام بالتحرك ليضع ما يشبه الخريطة للموارد التى ستتوفر على الطريق ثم يقوم بالسيطرة على موارد المدن التى يقوم باحتلالها

للعلف وهو الأمر الذى ادى إلى أنعدام قيمة المؤن الزائدة وبعد عبور جيش نابوليون لنهر نيمن Niemen[74] بوقت قليل انخفضت قوة الجياد فى جيش نابوليون إلى الثلث تقريبا نتيجة للمرض ونقص العشب الذى كان نابوليون يعتمد عليه والجو الحار[75] وهى كلها اعتبارات لم يضعها نابوليون فى حساباته وكان تأثير فقدان ذلك العدد من الجياد رهيبا من الناحية التكتيكية مما أثر على العملية بأسرها فيما بعد حيث كان على الفرسان المحمولين على الجياد أن يسيروا الآن على أقدامهم وتم سحب الجياد الخاصة بالفرسان لتحل محل الجياد النافقة التى كانت تجر عربات المدفعية وكانت المحصلة النهائية هى توزيع عبء النقل والإمداد على عدد من الجياد يقل باستمرار وزاد من هذا العبء هطول الأمطار والتى حولت الطرق الروسية إلى مستنقعات يصعب عبورها وخلال الحملة ساهمت اعداد الخيول المتناقصة باستمرار علاوة على الطقس السيئ فى تدمير قدرة القيادة الفرنسية متمثلة فى نابوليون على توفير الطعام والمؤن اللازمة للجيش الفرنسى وكان من احد أهم الأسباب التى ساهمت فى ضرب القدرات اللوجيستية لنابوليون منذ بداية الحملة هو امتناع الروس عن الاشتباك مع قواته فقد كان الروس منذ البداية يتبعون إستراتيجية الأرض المحروقة والتى تبناها وزير الحربية الروسى فى ذلك الوقت ميخائيل أندرياس Michael Andreas تقضى بالانسحاب أمام القوات الفرنسية وتفادى الاشتباك معها فى معارك كبيرة تلافيا لاحتمال تدمير الجيش الروسى ودفع نابوليون إلى التوغل أكثر فأكثر داخل الأراضى الروسية[76]

---

[74] نهر نيمن هو نهر ينبع من بيلاروسيا ويمر بلاتفيا مرورا ببحيرة كورون Curonian lake ليصب فى نهاية الأمر فى بحر البلطيق

[75] هى تقريبا نفس الأخطاء التى ارتكبها نابوليون فى أثناء تخطيطه للحملة على مصر

[76] لم يكن الجيش الروسى ينتوى الاشتباك مع الجيش الفرنسى الذى كان عدد

وإضافة إلى ذلك كان الروس يقومون بحرق المدن الروسية قبل الانسحاب منها وهكذا كان نابوليون يتقدم داخل أراضى بور لا يمكنه استخلاص المؤن منها وكان الروس يحرصون على عدم ترك أى شىء يمكن للفرنسيين استخدامه سواء للمؤن أو غيرها وعند وصول نابوليون إلى موسكو وجدها خالية ولم يجد بها ما يصلح لاستخدامه كمؤن وكان الروس بعد أن خاضوا معركة ضارية ضد الجيش الفرنسى ووجدوا أن المدينة ستسقط فى أيديهم قد انسحبوا تماما من المدينة أثناء الليل وكان من نتيجة زحف نابوليون بجيشه على موسكو أن قل عدد قوات نابوليون من ٢٨٥ ألف عند بدء الحملة إلى ١٣٠ ألف جندى وذلك بسبب نقص المؤن والأمراض وتكتيكات حرب العصابات التى كان الروس يطبقونها مع الفرنسيين حيث دأبوا على مهاجمة مؤخرة القوات الفرنسية وبعد أن كان الجيش الفرنسى يتفوق عدديا على القوات الروسية بنسبة ٢ إلى ١ عندما عبر نابوليون نهر نيمن أصبح الآن مساويا له فى الحجم تقريبا وبالإضافة إلى ذلك وعلى الرغم من الانسحاب المستمر للجيش الروسى أمام الفرنسيين إلا أنه تشبث بشراسة بمدفعيته وأصبح يتمتع بتفوق عددى بسيط على مدفعية نابوليون الثقيلة وأصبح احتمال انتصار نابوليون على الروس أبعد مما كان فى بداية الحملة وكان موقعه فى تلك اللحظة فى وسط الأراضى البور وكان يبعد عن مخازن المؤن التى أقامها فى وارسو بمئات

رجاله ٢٨٥ ألف رجل وكان ينسحب باستمرار فى محاولة لتجميع قواته وكان ذلك يتطلب من الفرنسيين التقدم على شبكة من الطرق الموحلة بل إن عجلات العربات كانت تترك آثارا غائرة سرعان ما تتحول إلى حفر ذات حواف صلبة لتعلق بها الجياد المرهقة فتتسبب فى موتها وتكسر عجلات العربات الأخرى وكانت أكبر الخسائر التى تكبدها الجيش الفرنسى أثناء الزحف على موسكو فى فصلى الصيف والخريف وكذا من الجوع والتيفود هذا علاوة على حالات الانتحار التى تفشت بين الجنود نتيجة للظروف النفسية السيئة التى كان الجنود يعانون منها نتيجة للجوع

الأميال وأثناء تقدمه نحو كالوجا Kaluga[77] بحثا عن المؤن وفى وسط الطريق إلى كالوجا التقى مع الجيش الروسى فقد كان الجنرال كوتوزوف Kutuzov[78] يعسكر بقواته فى قرية على الطريق بين موسكو وكالوجا تسمى مالوياروسلافيتس Maloyaroslavetz[79] وعلى الرغم من نجاح نابوليون من إبعاد قوات كوتوزوف عن تلك القرية إلا أن ذلك كلفه خسائر تقدر بأربعة آلاف جندى فرنسى والأسوأ من ذلك أن قوات كوتوزوف كانت ما تزال تسيطر على الطريق بين موسكو وكالوجا وعند هذه النقطة بدأ التحول فى مسار الحملة وبدأ نابوليون فى الانسحاب بقواته من روسيا وكانت المسافة التى تفصل نابوليون عن أقرب مستودع للمؤن فى سمولنسك Smolensk حوالى ٢٠٠ ميل وكان مستودع سمولنسك قد تم إنشاؤه أثناء الزحف من بولندا على روسيا وكان قائد الحامية مكلفا من قبل

---

[77] كالوجا هى مدينة تقع فى غرب روسيا على نهر أوكا Oka وتبعد ١٨٨ كيلو مترا عن موسكو

[78] هو الفيلد مارشال ميخائيل ايلاريونوفيتش جولينينشيف كوتوزوف Mikhail Illarionovich Golenishchev Kutuzov وكان يحمل لقب أمير ولد فى عام ١٧٤٥ ومات فى عام ١٨١٣ وكان أجداده قد قدموا أصلا من اليونان إلى روسيا فى القرن السادس عشر وبعد توليه القيادة العامة للقوات الروسية قرر التخلى عن سياسة الأرض المحروقة والاشتباك مع الفرنسيين واشتبك بالفعل مع الفرنسيين فى معركة بوروودينو والتى نتج عنها خسائر ضخمة على الجانبين حيث خسرت القوات الفرنسية ثلث عدد قواتها بينما خسر الروس نصف عدد قواتهم ما بين قتيل وجريح وبعدها قرر كوتوزوف العودة إلى إستراتيجية الأرض المحروقة وتفادى المعارك مع الفرنسيين وقد كلفه ذلك فقدان موسكو التى تم إخلاؤها بالكامل من كل سكانها وانسحب إلى كالوجا ليعيد إمداد قواته بالذخيرة وبعد معركة مالوياروسلافيتس اجبر نابوليون على الانسحاب .

79 مالوياروسلافيتس مدينة صغيرة فى مقاطعة كالوجا وتقع على ضفة نهر لوجا Luzha وتبعد بمسافة ١٢١ كيلو متر إلى الجنوب الغربى من موسكو و٦١ كيلو مترا من كالوجا وقد تم إنشاء المدينة فى القرن الرابع عشر الميلادى

بونابرت بتأمين المخازن بينما كان هو يواصل تقدمه نحو موسكو وكان قد توقع أن يتوقف فى سمولنسك بعد المسيرة المضنية التى استغرقت أسبوعين ويعيد تجميع قواته وكان هناك ثلاثة عقبات رئيسية فى وجه هذه الخطة وهى أولا أن الروس فى تلك الأثناء كانوا يقومون بمهاجمة مؤخرة القوات الفرنسية بعنف والثانية أن قائد الخامية قد فشل تماما فى توفير المؤن حيث كان محاطا بأرض جرداء محروقة ولم يتمكن من توفير الكميات اللازمة، العقبة الثالثة الخطيرة كانت أن الطقس كان يسوء باستمرار الأمر الذى أضعف منظومة النقل بشكل خطير وبطول الطريق كان الجنود يتخلصون من الأشياء الثقيلة فى أمتعتهم وكانت الجرايات محدودة وبدأوا مرة أخرى فى ذبح الخيول لأكل لحومها وبدأ الجليد فى السقوط وبدأ الشتاء ولم تفلح كل الجهود التى يقوم بها البشر فى تلك الأحوال فى التقليل من إحساس الجنود الفرنسيين بالبرد فقد كان الشتاء عاتيا حتى إن أقدام الجنود الفرنسيين كانت تتجمد فى أحذيتهم بل إن غوص القدم حتى الكاحل فى الجليد لتخليص عجلة عربة مدفعية غرزت فى الجليد كان مغامرة عادة ما يكون الموت نتيجتها وعند وصول نابوليون إلى سمولنسك أدرك خطأ حساباته فلم يكن هناك مؤن فى مستودع سمولنسك ونتيجة لذلك كان عليه أن يواصل التحرك على الفور وإلا خاطر بفقد جيشه كله وأثناء عملية الانسحاب كان الروس ما يزالون يتعقبون القوات الفرنسية وفى بعض الأوقات نجحوا فى فصل المؤخرة عن القوات الرئيسية وكبدوها خسائر كبيرة وعندما أتم نابوليون انسحابه من روسيا كان عدد الرجال الذين يصلحون للخدمة العسكرية ثمانية آلاف وثمان مائة رجل بعد أن دخل روسيا بمائتى وخمسة وثمانين ألف رجل .

الحملة على مصر

عند دراسة حملة نابوليون بونابرت على مصر وبغض النظر عن التأثيرات الكبيرة التى تركتها الحملة على مصر إلا أنه ومن الناحية

العسكرية فإنه مما يثير الدهشة الطريقة التى تعامل بها بونابرت مع كل ما يخص اللوجيستيات الخاصة بالحملة على مصر كان الجنود لا يزالون ينزلون إلى البر حين أصدر بونابرت فى ٣ يوليو أمرا إلى الجنرال ديزيه بالتحرك بفرقته باتجاه دمنهور وبدأت الفرقة بالفعل زحفها على دمنهور عند آخر ضوء وكانوا معسكرين فى الخلاء خارج الإسكندرية ثم تبعتهم فرقة رينيه فى الخامس من الشهر وتقرر أن تتلو الفرقتين الفرق الثلاثة الباقية فى اليومين التاليين اثنتان منهما بطريق دمنهور والثالثة بطريق رشيد وأن يلتقى الجيش كله فى الرحمانية على الفرع الأيسر لدلتا النيل والمسافات بين هذه البلاد لا تبدو ذات بال على الخريطة فهى ٤٥ ميلا من الإسكندرية إلى دمنهور و١٥ ميلا من دمنهور إلى الرحمانية ويستغرق قطع تلك المسافة ثلاثة أيام ولكن الظروف التى أحاطت بالتحرك يصفها أكثر العسكريون بأنها مستحيلة

ونوى نابوليون أن يدفع نقدا ثمن جميع المؤن التى اشتراها الجيش والأعمال التى تم القيام بها للجيش ولما كان رصيده من النقود ضعيفا ولم يكن بالإسكندرية دار لسك النقود لم يكن هناك بد من القروض ومن مبادلة بعض السبائك الفضية والذهبية التى استولت عليها الحملة فى مالطا بأسعار غير متناسبة بالعملة المحلية فى ذلك الوقت الأمر الذى أدى إلى بطء شديد فى عملية إمداد الجيش

أما وسائل النقل فلم تكن ميسورة فقد كان كثير من الجياد فى حالة سيئة وكان عددها على أية حال لا يكفى واضطر معظم الفرسان إلى السير على الأقدام وقد اثقلهم عتادهم والسيوف التى يحملونها وكانت عربات التموين والمدفعية التى تجرها الخيل غاية فى الفوضى فتركت فرقة ديزيه بغير مدفعية وعلاجا للموقف اعتمد نابوليون إلى حد ما على معاهدة عقدها فى الخامس من يوليو مع بعض شيوخ القبائل فأغرى ثلاثة عشر شيخا من

كبار شيوخ البدو على التوجه إلى مقر قيادته وهناك تم الاتفاق بعد مناقشات طويلة على أن يقوم البدو بإمداد الجيش الفرنسى بثلاث مائة جواد وخمس مائة جمل يتم دفع ثمنها نقدا علاوة على القيام بتأجير ألف جمل وجمال

ولم يكن البدو صافى النية تجاه الفرنسيين ففور رحيلهم بدأوا فى ملاحقة الجنود الفرنسيين بهجماتهم أثناء تحركهم بل إن المصادر الفرنسية قد سجلت أن بعض الأفراد من الجيش الفرنسى قد تم أسرهم واغتصابهم ولا يوجد ما يؤكد ذلك بالطبع

ليس هناك إجماع على أن الفرنسيين كانوا على حق فى وصفهم سهول البحيرة بأنها صحراء فهى بلا ريب ليست جزءا من الصحراء الشرقية لمصر فهى فى الوقت الحاضر منطقة مزروعة إلا أنها كانت أرضا قليلة الزرع تتناثر بها بعض الجمال التى تقتات على أوراق قليلة من الحشائش المتناثرة فى تلك البقعة كانت تلك هى طبيعة الأرض التى كان على الجيش الفرنسى أن يجتازها ليصل إلى دمنهور وكان طريقهم يتبع المجرى الجاف للقناة الممتدة من الإسكندرية إلى النيل

و قبل أن يبرح رجال الجنرال ديزيه الإسكندرية فى الثالث من يوليو قيل لهم إنهم سيعسكرون الليلة فى البيضة وتبين أن هذه المدينة عبارة عن مبانى مهجورة قليلة وبئرين حرص البدو على ردمهما بالصخور والتراب وكتب ديزيه إلى بونابرت قبل أن يبدأ التحرك قائلا إنه سيفعل ما بوسعه ليصل إلى البيضة فى نظام ولكن لا بد أن أذكر لك أننى لم أجد فيها من الماء إلا أقل القليل وذلك بناءا على ما وصلنى من معلومات وأرجوك ألا تبطئ كثيرا فى الحصول على الأشياء التى تحتاج إليها فرقتى وأنا أنتظر منذ الصباح وصول مدفعيتى ولكن بلا طائل مع أننى تلقيت وعدا أكيدا بأنها قادمة ولما كنت لا أستطيع الانتظار أكثر من هذا فإننى سوف أكون

مضطرا للرحيل بدونها وليس عندنا أعلاف كافية للخيول والقرطم الذى عندنا لا يكفى سوى يومين وليس هناك عليق غيره لأننا لم نستطع الحصول على أى منه.

إذن لا مناص من القول بأن نابوليون أرسل قواته لتعبر الصحراء غير مترفق حارصا على عامل السرعة متجاهلا العامل اللوجيستى الذى كان عليه أن يضعه فى حساباته قبل تحريك قواته بهذا الشكل ولا ريب فى أن الخسائر المتراكمة التى عانت منها قوات الجيش الفرنسى قد ساهمت بشكل تراكمى فى فشل الحملة فى نهاية الأمر بعد ثلاث سنوات من بدئها فعند عقد مقارنة بسيطة بين المدة التى استطاع الجيش الفرنسى فيها الاستقرار بشكل قلق فى أسبانيا والفترة المقابلة التى مكثها الجيش الفرنسى فى مصر نجد أن الجيش الفرنسى لم يكن معدا على الأقل من الناحية اللوجيستية للقيام بتلك الحملة

وأغفل بونابرت كل مطالب ديزيه باستثناء وعده بإرسال المدفعية، كان كل الطعام الذى تم توزيعه على الجنود هو البسكويت الجاف وحصل بعضهم على الزمزميات أو الأباريق ليحملوا فيها الماء فى حين لم يتسع وقت معظم الجنود لتدبير زمزميات لحمل الماء ووصلت فرقة ديزيه إلى البيضة عند الفجر بعد مسيرة ليلة كاملة ولم يكن مظهر المكان الذى سيستريح فيه الجنود مما يرفع معنوياتهم وعلم ديزيه أن هناك قرية تقع على خمسة أميال فيها قدر من الماء أكثر قليلا فأرسل الخيل إلى هناك حيث إن الجنود كانوا قد أصيبوا بحالة شديدة من الإعياء الأمر الذى لم يكونوا معه قادرين على التحرك وأخيرا تم تطهير الآبار من الردم فظهر القليل من الماء الذى تعاف النفس لونه وماء بئرين لا يصل إلا إلى نصفهما لا يكفى ٤٦٠٠ فرد وسرعان ما نضب البئران قبل أن يتمكن كل الأفراد من أخذ نصيبهم من الماء وكتب ديزيه إلى بونابرت يقول:

" إننا فى حال سيئة جدا وأضاف أنه ما يزال ينتظر مدفعيته وأن أعلاف الخيل قد نضبت وأنهم يحاولون تدبير أمورهم قدر الإمكان "

وأصدر ديزيه أمرا إلى جنوده بمواصلة التحرك فى المساء بعد أن نالوا قسطا من الراحة وصار يلح على بونابرت لإمداده بالضروريات وكتب إلى بونابرت فى الرابع من يوليو يقول إنه لم يبقى لجنوده سوى جراية يوم واحد والحال يقتضى أن ترسل لى على وجه السرعة مؤنا تكفى لأربعة أيام أو على الأقل يومين من البسكويت واللحم المجفف والخمور المقطرة إن أمكن فالقرى هنا هى الفقر المجسم ومع ذلك أستطيع أن أستخلص منها بعض العلف الردىء لجيادنا البائسة ولكن لم تصل أية ردود ولم تصل المدفعية ولا المؤن فكتب فى اليوم التالى يستغيث قائلا " إننى فى أشد الحاجة إلى المؤن ويحزننى أن أضطر إلى الكتابة إليك بهذه النغمة المفعمة بالقلق وأرجو إذا خرجنا من هذا الموقف الشنيع أن أستطيع الحصول على حاجاتى بنفسى دون أن أزعجك مرة أخرى ولكن ما لم يعبر الجيش كله الصحراء بسرعة الجيش فإنه هالك وليس لدينا ما يكفى من الماء لإطفاء ظمأ ألف رجل وأكثر الماء فى آبار إذا نزحت لن تمتلئ ثانية أما القرى فأكواخ من الطين أقفرت من كل شىء فأتوسل إليك يا سيدى الجنرال ألا تتركنا فى هذا الموقف لأن الجنود بدأوا يفقدون شجاعتهم ويتذمرون فاجعلنا نتقدم أو نتقهقر بأقصى ما نستطيع "

وفى هذه الأثناء كانت فرقة الجنرال رينيه تسير فى نفس الطريق ولم يكن حظها من المؤن أفضل من حظ فرقة ديزيه ويقول أحد الضباط فى مذكراته :

" كانت تنقصنا الأشياء الضرورية جدا مثال ذلك أنه لم يصرف لنا حتى العلب "

وكان أكثر سيرهم نهارا ولم تمض ساعات حتى بدأ الكثير من الجنود

الذين كانوا يقوون بالكاد على حمل أنفسهم يرمون ستراتهم وقمصانهم وكذا جرايتهم العديمة النفع فمن ذا الذى يستطيع أن يأكل البسكويت الجاف وهو يموت عطشا وذلك على أمل تعويض هذه الأشياء فى المدينة التالية وزاد تراب الخماسين من إحساسهم بالعطش وكوت الرمال الحارقة أقدامهم ثم بدأت ظاهرة السراب ومع أنهم تبينوا أن مساحات الماء التى رأوها لم تكن إلا سرابا إلا أنهم اندفعوا ناحية السراب على أمل إيجاد الماء وأصاب الجنون بعض الجنود عندما خدعوا بالسراب مرة تلو الأخرى حتى أن بعضهم أطلق الرصاص على نفسه مفضلا الموت على العطش واجمعت الروايات على أن عدد من قتلوا انفسهم قد بلغ المئات أضف إلى ذلك ملاحقة البدو لطوابير الجنود الفرنسيين وظلوا يطاردونهم طوال الطريق من الإسكندرية إلى القاهرة ونتيجة لذلك صدرت الأوامر إلى الجنود أن يسيروا فى مربعات بدلا من الطوابير وهو إجراء قلل من سرعة حركة التشكيلات الفرنسية وزاد من إحساس الأفراد بالعطش وفضل البعض التخلف نتيجة للإعياء ومات الكثيرون منهم نتيجة لضربة الشمس أما الذين ظلوا على قيد الحياة ممن تخلف فقد أسرهم البدو أو قتلوهم ولما وصلت فرقة رينيه إلى آبار البيضة التى كان الجنود يتحرقون لبلوغها وجدوها خالية من الماء تقريبا حيث قام رجال ديزيه بنزح كل مائها وكتب الملازم فرترى قائلا :

" كان من المناظر المؤسفة أن يرى المرء رجالا مستلقين على بطونهم حول تلك الحفرة الكريهة الرائحة (يقصد البئر) وهم يموتون من الظمأ ويلهثون ولا يستطيعون إطفاء ظمئهم وقد رأيت بعينى رجالا محتضرين يتوسلون إلى رفاقهم أن يرحموهم بقتلهم بينما يقتتل هؤلاء الرفاق على شربة ماء آسن وقد رأيت بعضهم يموتون فى عذابهم "

ويقول الجاويش فرانسوا إن الآبار نضبت فى خمس دقائق واختنق

بعض الجنود أو ماتوا تحت الأقدام وقد مات عند هذه الآبار أكثر من ثلاثين جنديا وانتحر عدة رجال بعد أن عجزوا عن الحصول على الماء ولما استأنفت الفرقة التحرك ليلا اهتدى الجنود إلى حيلة مضغ رصاصة لتقلل من تأثير العطش ويقول أحد الضباط :

" خلفنا وراءنا شريطا من الجثث وقد أجمل نابوليون بعد عشرين عاما الموقف بقوله

" إن المسافة من الإسكندرية إلى دمنهور خمسة وأربعين ميلا وهذا السهل يرويه عادة فيضان النيل ولكن حدث أنه لم يرو فى ١٧٩٧ وكنا فى الفصل الذى ينخفض فيه مستوى الماء فى النيل إلى أدناه وجفت الآبار ولم يكن العثور على الماء على طول الطريق من الإسكندرية إلى البيضة ولم يكن الجيش معدا للزحف فى منطقة كهذه وقد عانى الأمرين من حرارة الشمس وقلة الظل والماء فكره هذه السهول المهجورة المترامية "

ويقول ديفرنوا :

" يتهم الجنود القواد بأنهم السبب فى الأهوال التى لاقوها منذ نزلوا من مراكبهم، إنهم يصرخون ويتساءلون أى ذنب جنوا حتى يساقوا على هذا النحو ليلقوا حتفهم فى الصحراء ومع ذلك فهذا أيضا ليس الحقيقة كلها

لأن القواد لم يكونوا اقل يأسا من الجنود فإن رينيه ناشد بونابرت كما فعل ديزيه أن يسعفه قائلا ليس عندنا نقالات ولا أدوية وقد تلقى الجنرال ديزيه أنباءا تفيد أن مراد بك يزحف علينا ولعله فى هذه اللحظة على مسيرة يومين فقط وقد طلب إلى أن أبلغكم هذا وهو يرجو أن تصدروا الأمر إلى الفرق التى ستعززه بأن تبدأ سيرها دون ابطاء ونحن فى حجة ماسة إلى أن ترسلوا لنا الاطباء ومعهم الأدوية والجمال وكذا النبيذ والمشروبات والخل ولم يحظ هذا الخطاب برد ولم يصادف رجال رينيه بئرا لم ينزحها جنود ديزيه قبلهم إلا فى الساعة الثامنة من صباح السادس

من يوليو ويقول فرترى :

" كانت البئر مملوءة بماء عذب يكفى جيشا من ٤٠٠٠٠ رجل فيا لها من مفاجأة لذيذة ويا لها من فرحة غامرة,وعينت فرقة من الرماة لتقف حول البئر منعا لتكرار ما حدث حول آبار البيضة ويضيف إنه فى أقل من نصف ساعة كانت الفرقة كلها قد روت ظمأها وثمل الجنود بالماء فرقصوا وغنوا وضحكوا فى نوبة هيستيرية وشرب هذا الضابط عشرين كوبا دون توقف والتهم الجنود جراياتهم من البسكويت بعد أن تيسر لهم إذابتها فى الماء والتهموا طعامهم بشهية كبيرة ويقول إنه لم يستمتع فى حياته بطعام أشهى من هذا إن وقفتنا عند هذه البئر محفورة فى ذاكرة كل جندى فى الفرقة كأسعد لحظات حياته "

إذا كان بونابرت قد بدأ فى الأيام الخمسة التى مكثها بالإسكندرية غير مهتم بتوسلات رينيه وديزيه حيث إنه كان يعتقد أن الاعتبار الأهم الذى ينبغى تقديمه على كل الاعتبارات هو اعتبار السرعة.

جيـــــش نابوليـــــون

الجيش الكبير

كان الجيش الفرنسى تحت قيادة نابوليون بونابرت يسمى الجيش الكبير. وبالفرنسية Grande Armée وقد تم تشكيل هذا الجيش ودخل الخدمة العاملة فى فرنسا لأول مرة فى عام ١٨٠٥ عندما قام نابوليون بحشده بغرض بدء الحملة على إنجلترا وقد قام نابوليون بإعادة نشر جيشه إلى الشرق استعدادا لبدء الحملة على روسيا عندما فشلت الحملة على إنجلترا وتشكل الجيش الكبير فى البداية من ستة فيالق وبهذا الجيش اكتسب نابوليون انتصاراته الكبرى فى أوربا كما فى معركة أوسترليتز على سبيل المثال وقد تضخم حجم الجيش حيث اقتضت خطط نابوليون الطموحة

لبسط سيطرة فرنسا على أوربا ذلك وقد بلغ الجيش عند بدء حملة نابوليون على روسيا ست مائة ألف رجل وهو أكبر من حجم جيش فرنسا الحالى وكان كل قادة تشكيلات الجيش الكبير فرنسيين ما عدا جنرالين أحدهما بولندى والآخر نمساوى وقد تسببت الحملة على روسيا القيصرية فى هلاك أربع مائة ألف من رجاله ويمكن القول إن الحملة على روسيا قضت على الجيش تماما حيث لم تبلغ الأعداد التى حشدها نابوليون فيما بعد فى معركة لايبتسيج وفى واترلو حجم وقوة الجيش الكبير وقبل نهايات القرن الثامن عشر لم تكن هناك منظومة عسكرية محترفة بالشكل الكامل ولم يكن هناك هيئة أركان بالمعنى المعروف من حيث الاستخبارات العسكرية والإمداد وكان قادة الوحدات هم المسئولون بشكل كامل عن القيام بتلك الوظائف مع تلقى دعم من مرءوسيهم بشكل غير رسمى ولم يكن تلك القيادات الفرعية مدربة للقيام بتلك المهام وعلاوة على ذلك لم يكن يتم تكليفهم بها كواجبات وظيفية وفى حروب الثورة الفرنسية ظهر لأول مرة أول استخدام لهيئة أركان محترفة عندما تم تعيين الجنرال لوي اليكساندر بيرتييه Louis Alexandre Berthier كرئيس للأركان وأسس هذا الأخير فريقا منظما لمعاونة هيئة الأركان وعندما تولى نابوليون بونابرت بعد عام قيادة الجيش فى السنة التالية تبنى النظام الذى وضعه بيرتييه غير أنه كان مقصورا على مجموعة القيادة التابعة لنابوليون وكانت رئاسة أركان الجيش الكبير تعرف باسم القيادة الإمبراطورية وكانت تنقسم إلى هيئة الإمداد الخاصة بنابوليون والقيادة العامة للجيش.

هيئة الأركان

كانت هيئة الأركان[80] التابعة لنابوليون تتألف من قسم من المعاونين

---

80 تجدر الإشارة إلى أن من أوائل القادة العسكريين فى التاريخ الذين استحدثوا مثل ذلك النظام بأسلوب منهجى هو خالد بن الوليد الذى اختار مجموعة من الرجال

العسكريين Aides-de-camp وهم ضباط نظاميين خدموا فى الجيش الفرنسى ومجلس إمبراطورى مع سكرتارية وقسم مسئول عن جمع المعلومات عن العدو باستخدام الجواسيس والقسم الطوبوغرافى بالإضافة إلى مجلس مدنى إمبراطورى يضم عدة اقسام بينما كانت القيادة العامة تضم كما نظمها بيرتييه أربعة أقسام الحركة والسكرتارية والمخابرات والمحاسبة.

التنظيم

كان أحد أهم عوامل نجاح الجيش الكبير هو قيادته المتفوقة والتى تم تنظيمها لتعمل بشكل غاية فى المرونة ووفقا للتطورات والظروف وكان ينقسم إلى خمسة أو سبعة فيالق وكان عدد كل فيلق من مائة إلى خمسين ألفا من الأفراد وكان بإمكان كل فيلق أن يعمل كجيش منفصل فكان كل فيلق يضم وحدات مشاة وفرسان ومدفعية وخدمات طبية ووحدات استطلاع ووحدات مسئولة عن مهام وعمليات الإمداد والاتصالات وبينما كان كل فيلق قادرا على القيام بالعمليات بشكل مستقل إلا أنها كانت تعمل بشكل مترابط وتحتفظ بمسافة معينة بين كل منها وكان يتم اسناد قيادة كل فيلق من تلك الفيالق إلى جنرال حسب أهمية الفيلق والعمليات التى سيتم إسنادها إليه وكان ذلك الجنرال على مستوى قائد فرقة وكان نابوليون يضع ثقته فى قادة الفيالق ويترك لهم بعض حرية الحركة فى الإطار العام لأهدافه الإستراتيجية وكان نابوليون أحيانا يتولى قيادة أحد تلك الفيالق بنفسه عندما يفشل قائده فى تحقيق الأهداف المطلوبة منه وأحيانا كان

الذين يتميزون بالذكاء والفطنة بالإضافة إلى خبرتهم فى الحروب وكانت مهمتهم جمع المعلومات وسؤال العيون والجواسيس وتقصى الاخبار وكانوا يذهبون معه أينما ذهب وهو ما سيتطور لاحقا ليصبح هيئة الأركان فى الجيوش الحديثة وذلك قبل استحداث هيئة الأركان فى الجيش الفرنسى بحوالى ألف ومائتى عام تقريبا

نابوليون يقوم بتقسيم الفرسان إلى عدة مجموعات بحيث تصبح قادرة على الحركة بشكل منفصل بدون أن تبطئ تشكيلات المشاة من سرعتها وكانت الوحدة التكتيكية الأساسية فى الفيلق هى الفرقة وعادة ما كانت تتألف من أربعة آلاف إلى ستة آلاف رجل من المشاة أو الفرسان وكانت كل فرقة تتكون بدورها من لوائين أو ثلاثة ويتم دعمها عن طريق لواء مدفعية يتكون من ثلاثة إلى أربعة بطاريات (كتائب مدفعية) وكانت كل بطارية تتكون من أربعة مدافع ميدان واثنين من مدافع الهاوتزر howitzer[٨١] بمجموع يبلغ من ثمانية عشر إلى أربعة وعشرين مدفعا وكانت كل فرقة تعمل كوحدة إدارية دائمة يقودها قائد فرقة وهى بدورها كانت قادرة على العمل بشكل منفصل

قوات الجيش

الحرس الإمبراطورى

كان الحرس الإمبراطورى يعتبر قوات الصفوة فى الجيش الفرنسى وكان من حيث العدد والتنظيم يعتبر فيلقا من فيالق الجيش وكان يضم تشكيلات من أسلحة مختلفة المشاة والفرسان والمدفعية وكان نابوليون كثير الاهتمام بهذا الفيلق وكان يريده أن يكون مثلا لباقى وحدات الجيش وكانت قوات الحرس الإمبراطورى على وجه التحديد هى أكثر القوات ولاءا لنابوليون بونابرت ومن الناحية العسكرية كانت قوات فرسان الحرس الإمبراطورى ذات أثر كبير فى المعارك حيث عادة ما كانت تحسم المعارك لصالح الجيش الكبير بعد أن تكون المدفعية قد دكت المواقع المعادية قبل الهجوم غير أن أداء قوات المشاة لم يكن مثيرا للاهتمام مثل

---

٨١ الهاوتزر فى القرن الثامن عشر هو مدفع قادر على إطلاق قذائف قصيرة المدى وكان يتميز بماسورته القصيرة ويطلق قذائف ذات وزن أصغر نسبيا من وزن القذائف التى يطلقها مدفع الميدان

أداء الفرسان.

المشاة

كانت قوات المشاة تتكون من ثلاثة أقسام الحرس القديم Vieille Garde وهم المقاتلون الذين يتمتعون بأطول فترات الخدمة فى الجيش والذين شاركوا فى ثلاث حملات وكان الحرس القديم هو صفوة قوات المشاة فى الجيش النابوليونى وكان الحرس القديم يتكون من المشاة رماة القنابل الإمبراطوريين Grenadiers à Pied de la Garde Impériale وكان ذلك الفوج هو أقدم الأفواج من حيث عدد سنوات الخدمة وكانوا أشجع رجال فى مشاة الحرس الإمبراطورى على الإطلاق وأكثرهم خبرة وكان شرطا أساسيا للانضمام إلى رماة القنابل أن يكون الفرد قد خدم تحت السلاح لمدة عشر سنوات على الأقل وأن يكون قد تم الإشادة بشجاعته وأن يكون قادرا على القراءة والكتابة وأن يزيد طوله عن ١٧٨ سنتيمترا وكان أداء هؤلاء فى المعارك يختلف كثيرا عن أداء باقى قوات المشاة فى الحرس الإمبراطورى فقد كانوا الأكثر تميزا وشجاعة وفى عام ١٨١٥ كان رماة القنابل يخدمون فى أربعة أفواج بعد أن تمت زيادة أعدادهم وكانت الأفواج الثلاثة الجديدة أقل فى المستوى والأداء والتدريب من الفوج الأول وكان يليهم فى المرتبة قوات الشاسور التابعة للحرس الإمبراطورى Chasseurs à Pied de la Garde Impériale وكان الانضمام إلى قوات الشاسور يتطلب نفس المعايير التى على أساسها يتم الانضمام إلى رماة القنابل الإمبراطوريين غير أنه كان يتم قبول رجال يبدأ طولهم من ١٧٢ سنتيمترا وقد شاركت قوات الشاسور فى العديد من المعارك المهمة وكان أداؤهم على مستوى جيد وبالمثل فبعد عودة نابوليون فى عام ١٨١٥ من حملته على روسيا تمت زيادة اعداد قوات الشاسور إلى أربعة افواج وتأتى بعد ذلك قوات الحرس المتوسط

Moyenne Garde وكانوا يتكونون من مقاتلين خدموا فى ثلاثة حملات وكانوا ينقسمون بدورهم إلى ثلاثة أقسام قوات الشاسور من رماة البنادق وقد تشكلت تلك القوات فى عام ١٨٠٦ وكان معظمهم عند تشكيل قوات رماة البنادق من ضباط الصف وقوات رماة القنابل والبنادق Fusiliers-Grenadiers والتى تشكلت فى عام ١٨٠٧ وكانت تلك القوات أكبر فى الحجم قليلا من قوات الشاسور وكانت تعمل معها وقد تم حل تلك القوات بعد تنازل نابوليون عن عرش فرنسا وتأتى بعد ذلك قوات البحرية الخاصة بالحرس والتى تم تشكيلها فى عام ١٨٠٣ وكان الغرض الأساسى من تشكيلهم هو وضع قوات تملأ السفن التى كان من المفترض ان تنقل الإمبراطور إلى إنجلترا عبر القنال الإنجليزى ليعملوا على تلك السفن كبحارة وكانوا ينقسمون إلى خمسة اطقم وبعد الغاء الغزو تقرر بقائهم فى قوات الحرس كقوات بحرية تقوم بمهمة نقل الإمبراطور وكذلك تعمل كوحدة مقاتلة وكان تسليحهم عبارة عن بنادق ماسكيت من طراز شارلفيل ١٧٧٧ وسونكى وبعضهم كان يتم تسليحه بطبنجة والقسم الثالث من قوات المشاة الإمبراطورية الفرنسية هم الحرس الصغير Jeune Garde وكانوا يتكونون من رجال خدموا فى حملة واحدة وكانوا يتكونون من متطوعين وجنود يتم تجنيدهم وكانوا مشتهرين بحماستهم أكثر من قدراتهم القتالية وكان هؤلاء بدورهم ينقسمون إلى رماة القنابل Tirailleurs-Grenadiers وكان نابوليون قد أصدر أوامره فى عام ١٨٠٨ بانضمام أقوى الرجال الذين يتم تجنيدهم وأكثرهم ذكاءا إلى قوات الحرس الصغير وكان كل الضباط يتم انتقاءهم من الحرس القديم بينما يتم انتقاء ضباط الصف من الحرس المتوسط وكان نابوليون يأمل أن يؤدى ذلك إلى رفع معنويات ذلك الفوج المشكل حديثا وكذا رفع كفاءته القتالية ورماة قوات الشاسور Tirailleurs-Chasseurs وكان يتم اختيارهم من بين المجندين

الأقصر من إخوانهم الذين يلتحقون بقوات رماة القنابل وفى عام ١٨١٠ اكتسبوا اسما جديدا وهو القافزون Voltigeurs وكان التشكيل من حيث التنظيم مطابقا لتشكيل رماة القنابل حيث كان الضباط بالمثل يأتون من قوات الحرس القديم وكان ضباط الصف يأتون من الحرس المتوسط

قوات الفرسان

فى عام ١٨٠٤ كانت قوات فرسان الحرس الإمبراطورى Chevaliers de la Garde Impériale تتكون من فوجين قوات الشاسور المحمولة Chasseurs à Cheval ورماة القنابل المحمولة Grenadiers à Cheval بالإضافة إلى وحدة من الشرطة العسكرية الخاصة تسمى الجندارم Gendarmes وسرية من الفرسان المماليك وفوج من الفرسان الإمبراطوريين Regiment de Dragons de la Garde Impériale وفوج من رماة الرماح البولنديين وكذلك تمت إضافة فوج من الفرسان الخفيفة للحرس الإمبراطوري البولندى Regiment de Chevau-Légers de la Garde Impériale Polonais وفى عام ١٨١٠ تمت إضافة فوج من رماة الرماح الهولنديين وكان نابوليون قد أصدر مرسوما إمبراطوريا بأن تشكل قوات الفرسان نسبة الخمس أو السدس من قوات الجيش الكبير ككل.

رماة القنابل المحمولة

كان رماة القنابل المحمولون على الجياد يعرفون داخل الجيش الفرنسى فى ذلك الوقت بالعمالقة وكانوا بمثابة صفوة قوات الفرسان فى الحرس الإمبراطورى الفرنسى وكان التشكيل كله محمولا على ظهور جياد سوداء كبيرة الحجم وكان على المجند الذى يريد أن يلتحق بقوات رماة القنابل المحمولة أن يكون اطول من ١٧٦ وأن يكون قد خدم لمدة عشرة سنوات وشارك فى أربع حملات وأن يكون قد تم الإشادة بشجاعته وقد كان أداؤهم

وشجاعتهم مثار إعجاب أعدائهم فقد حاربوا ببسالة فى معركة أوسترليتز وكانت أشهر معاركهم على الإطلاق هى معركة إيلاو والتى واجهوا فيها قذائف ستين مدفعا وعندها أمرهم قائدهم الكولونيل لوى لوبيك Louis Lepic بالتقدم قائلا :

" تقدموا رافعين رءوسكم يا سادة إنها فقط رصاصات وليست روث "

وكانت تلك القوات هى قوات رماة القنابل المحمولة الوحيدة والتى لم تهزم فى معركة

قوات الشاسور المحمولة

ثم تأتى بعد ذلك قوات الشاسور المحمولة Chasseurs à cheval de la Garde Impériale والمعروفة باسم الأطفال المدللين وكانت تعمل كتشكيل الفرسان الخفيفة للحرس الإمبراطورى وكان نابوليون قد استعان فى أثناء حملته على إيطاليا بتشكيل من الحرس الشخصى كان عدده مائتا رجل بعد أن أفلت من هجوم شنه عليه تشكيل من سلاح الفرسان النمساوى الخفيف وكان نابوليون بونابرت يرتدى الزى العسكرى الذى عادة ما يرتديه قائد هذا التشكيل وهو ما يكشف ارتباطه بقوات الشاسور المحمولة ولهذا السبب كان عادة ما يطلق عليهم اسم الأطفال المدللين وكانت أول مشاركة لهم فى عمليات قتالية فى معركة اوسترليتز والتى لعبوا فيها دورا مهما وقد اكتسبوا سمعتهم أساسا بسبب الشجاعة التى اظهروها فى معركة واترلو

الجندارم

كانت وحدة الجندارم الخاصة Gendarmerie d'Elite وعلى الرغم من أنها نادرا ما كانت تشارك فى المعارك إلا أنها كانت تلعب دورا مهما فى الجيش حيث كانت تعمل كقوات الشرطة العسكرية للجيش الكبير وبالإضافة إلى مهام الشرطة العسكرية فى ذلك الوقت من تأمين مقار

القيادة وحفظ النظام فانهم كانوا يعملون كحرس شرف للضيوف الكبار ويقومون باستجواب الأسرى ويحمون أمتعة الإمبراطور الشخصية وفى عام ١٨٠٧ شاركت تلك القوات أخيرا فى المعارك عندما قامت بحراسة جسر الدانوب

سرية المماليك

كانت سرية الفرسان المماليك Escadron de Mamalukes هى أشجع وأقوى تشكيلات سلاح الفرسان فى الحرس الإمبراطورى على الإطلاق وكان أفرادها أساسا من المماليك[٨٢] فقد نجح نابوليون بونابرت أثناء حملته على مصر فى شراء ولاء بعض فرسان المماليك للعمل فى جيشه مقابل المال وكانوا بارعين بما لا يوصف فى استخدام السيف وفى الفروسية وركوب الجياد علاوة على شجاعتهم الفائقة حيث كانت تتم تربيتهم منذ طفولتهم المبكرة كمحاربين وكان ضباط ذلك التشكيل من الفرنسيين بينما كان ضباط الصف من المصريين والأتراك واليونانيين والجورجيين والسوريين والقبارصة وكان بعضهم من الفرنسيين وكانوا فى الأصل يشكلون نصف سرية من قوات الشاسور المحمولة ولكنهم فى

---

[٨٢] قدمت الحملة الفرنسية لنابوليون بونابرت فرصة للاطلاع على التسليح والثقافة العسكرية لدى المماليك والتى كانت دولتهم آخذة فى الأفول فى ذلك الوقت فعلى سبيل المثال كان بونابرت معجبا بشجاعة الفرسان المماليك وطريقتهم فى القتال للدرجة التى جعلته يشترى عددا منهم ليعملوا فى جيشه كفرسان كذلك كان السيف العربى التقليدى ذو النصل المائل ويمقبض غير محمى من الأسلحة التى أثارت إعجابه حتى أنه عممه للاستخدام فى جيشه من قبل تشكيلات المشاة الخفيفة وانتشر ذلك النوع من السيوف فى أوربا كلها فيما بعد وبالنسبة للفرسان المماليك فلم يكونوا فقط يحملون ذلك السيف المعقوف بل كذلك خناجر معقوفة مما يسميها الأوربيون الخنجر التركى وكان يوضع فى غمد من البرونز المحلى بالأحجار الكريمة

معركة أوسترليتز قاتلوا بشجاعة بالغة مما دفع نابوليون إلى ترقيتهم ليصبحوا سرية منفصلة وتمييزهم براية خاصة بهم وأصبحت تلك الوحدة جزءا من الحرس القديم وظلت تلك السرية فى الخدمة حتى معركة واترلو وتم تشكيل سرية أخرى من الفرسان المماليك وألحقت بالحرس الصغير وكانت تعمل كسابقتها كجزء من قوات الشاسور المحمولة وكانوا يرتدون الأزياء المملوكية ولم يتم تقييدهم بالزى العسكرى للتشكيلات الشبيهة وكان تسليحهم عبارة عن سيف طويل معقوف وخنجر وطبنجة من البرونز.

رماة الرماح

فى عام ١٨٠٧ صدق نابوليون على تشكيل فوج حرس من قوات الفرسان البولندية الخفيفة Chevau-Légers-Lanciers de la Garde Impériale وكان من المفترض أن يتم تعيين مدربين فرنسيين ليقوموا بتدريبهم ولكن أثناء أول استعراض لهم أمام نابوليون ارتبكت صفوفهم مما جعل نابوليون يقول ساخرا " هؤلاء القوم يعرفون فقط كيف يقاتلون " وصرف معلميهم على الفور ولكنه احتفظ بالفرسان البولنديين وفى السنة التالية لذلك العرض العسكرى تمكن الفرسان البولنديين من إثبات وجودهم حيث أصدر لهم نابوليون الأمر بمهاجمة موقع مدفعية أسبانى شديد التحصين وكانوا مسلحين فقط بالسيوف ونجحوا فى اكتساح أربع بطاريات مدفعية والاستيلاء على عشرين مدفعا مما حسم المعركة تماما لصالح الفرنسيين وعلى أثر ذلك أعلن نابوليون قائلا " أنتم أيها البولنديون تستحقون أن تنضموا إلى الحرس القديم وأنا أعلن أنكم أشجع قوات فرسان لدى " وبعد انضمامهم إلى الحرس القديم تم تسليحهم بالرماح وظلوا إلى جانب نابوليون حتى معركة واترلو ولم يهزموا أبدا من أية قوات معادية.

الرماة الحمر

فى عام ١٨١٠ تشكلت قوات فرسان من الهولنديين والفرنسيين وكان

يطلق عليهم اسم الرماة الحمر حيث كانوا مسلحين بالرماح ويرتدون أزياء عسكرية حمراء اللون وفى الحملة على روسيا ونتيجة للبرد القارس والمعارك العنيفة التى خاضتها القوات الفرنسية فقد فوج الرماة الحمر معظم رجاله وخيوله ولم يتبق منهم سوى حفنة ضئيلة العدد عاد بها نابوليون إلى فرنسا لتتم إعادة بناء الوحدة وتنظيمها من جديد عن طريق تجنيد فرسان جدد واستمروا كتشكيل فى الحرس الإمبراطورى حتى معركة واترلو وكان هناك أيضا الفوج الثالث البولندى والذى تشكل فى عام ١٨١٢ وكان يعمل ضمن قوات الحرس الصغير وكان ضباطه وصف ضباطه من المحاربين القدماء ولكن تم ملء صفوفه بطلبة من أبناء ملاك الأراضى البولنديين والليتوانيين ولم يتلقوا تدريبا كافيا قبل أن يتم الدفع بهم فى الحملة الروسية وتمت محاصرتهم وأبيدوا عن اخرهم فى معركة دارت عند مدينة سلونيم[83] Slonim البيلوروسية فى نهايات نفس العام.

فرسان الإمبراطورة

أو الدراجون[84] الإمبراطوريون Dragons de l'Impératice وقد تم تشكيل هذا الفوج فى عام ١٨٠٦ وفى السنة التالية تم إطلاق اسم جوزفين إمبراطورة فرنسا فى ذلك الوقت تكريما لها وكان على المرشحين

٨٣- سلونيم Slonim هى مدينة البيلوروسية صغيرة ويعنى اسمها باللغة الليتوانية المدينة التى خلف الوادى

٨٤ كلمة الدراجون Dragon باللغتين الفرنسية والإنجليزية تعنى التنين وقد تمت تسمية هذا القسم من القوات باسم الدراجون حيث كانوا يحملون نوعا من البنادق يسمى دراجون وكان هؤلاء الفرسان فى الأصل جنود مشاة ويتم تدريبهم أساسا كجنود مشاة ويتم تعليمهم كل مهارات المشاة اللازمة لهم فى الميدان ثم بعد ذلك يتم تدريبهم على مهارات ركوب الخيل والقتال بها ولم تكن قوات الدراجون تعتبر جزءا من سلاح الفرسان وكان الغرض من نقلهم على ظهور الجياد هو توفير عامل السرعة

للانضمام لهذا الفوج أن يكونوا قد خدموا لمدة ست سنوات (عدلت المدة فيما بعد إلى عشر سنوات) وأن يكونوا قد شاركوا فيما لا يقل عن حملتين وأن يكون قد تم الإشادة بشجاعتهم وأن يكونوا ممن يجيدون القراءة والكتابة والا يقل طولهم عن ١٧٣ سنتيمترا وكان يسمح للجنود المتطوعين من تشكيلات أخرى بالتقدم للالتحاق بهذا الفوج وكان هذا الفوج فى الأساس فوجا شرفيا مخصصا للمراسم ولم يكن يشارك فى المعارك التى يخوضها الجيش الكبير.

الاستطلاع

أثناء الحملة على روسيا أعجب نابوليون كثيرا بقدرات قوات الكوزاك Cossacks واتخذ منها مثالا لقواته وقام بتشكيل لواء فرسان تكون مهمته الاستطلاع وحمل هذا اللواء اسم استطلاع الحرس الإمبراطورى Eclaireurs de la Garde Impériale وقد تأسس هذا اللواء فى عام ١٨١٣ وكان عبارة عن ثلاثة أفواج تضم ألف رجل مقسمة إلى سرايا يتم إلحاقها بالسرايا القائمة فعلا

الفوج الأول استطلاع رماة القنابل

الفوج الثانى استطلاع الدراجون

الفوج الثالث استطلاع رماة الرماح

ولم ينل جنود الاستطلاع فى ذلك التشكيل الفرصة لإثبات قدراتهم حيث لم يمض وقت طويل حتى انهارت الإمبراطورية الأولى وتنازل نابوليون عن العرش ولكنهم شاركوا فى القتال فى عام ١٨١٤ فيما عرف باسم الحملة الفرنسية ثم تم حل التشكيل بعد تنازل نابوليون عن العرش.

القوات الأجنبية

كان الجيش الفرنسى يضم قوات أجنبية من البلدان التى كانت تقع تحت الاحتلال الفرنسى وقد بلغ عددهم عشرات الآلاف وبنهاية عام ١٨٠٥ كان

عدد القوات الأجنبية التى تنتمى إلى اتحاد الراين قد بلغ خمسة وثلاثين ألفا وتم استخدامهم لحماية خطوط مواصلات وأجناب الجيش الفرنسى وفى العام التالى تم تجنيد سبعة وعشرين ألفا من اتحاد الراين لاستخدامهم للأغراض نفسها هذا بالإضافة إلى عشرين ألفا من الساكسون الذين تم استخدامهم لمواصلة العمليات ضد القوات البروسية بالإضافة إلى اعداد من البولنديين والألمان والأسبان والذين شاركوا فى الحملة على البلطيق ولعبت القوات الأجنبية أدوارا كبيرة طوال التاريخ القصير للجيش الفرنسى فى عهد نابوليون ففى عام ١٨٠٩ كان ثلث قوات الجيش الفرنسى فى الحملة على النمسا مكونا من الأجانب[85] وبالنسبة للقوات الموجودة فى

---

[85] قد كان مبدأ استخدام قوات أجنبية لزيادة القوة البشرية للجيش من المبادئ التى استقر عليها البشر منذ أقدم العصور وقبل هانيبال ويوليوس قيصر ففى كتاب فن الحرب يقول سون تزو فى الفصل الثانى تحت عنوان شن الحرب فى الفقرة السابعة عشرة " وبناء على ذلك ففى القتال بين العربات الحربية وعند الاستيلاء على عشر عربات حربية أو أكثر فإن الجنود الذين يقومون بالاستيلاء عليها يجب مكافأتهم ويجب أن تحل أعلامنا محل أعلام الأعداء وأن يتم خلط العربات بعرباتنا واستخدامها معا ويجب أن يعامل الجنود الأسرى معاملة طيبة والاحتفاظ بهم " ويقصد سون تزو هنا من معاملة الأسرى معاملة جيدة هو دفعهم إلى الانضمام إلى القوات التى قامت بأسرهم والهدف من ذلك هو زيادة عدد القوات وتجاوز المراحل المعتادة من انتقاء وفرز وتجنيد وتدريب وإكساب الجنود الخبرة عن طريق الاشتراك فى معارك حقيقية وما يستتبع ذلك من تكاليف وبذا يكون على الطرف الذى قام بأسر الجنود عبء إطعامهم فقط وهو بذلك يكون قد حصل على قوات جاهزة بدون أية مشقة وبدون نفقات وفى الفقرة الثامنة عشرة من نفس الفصل يوجز سون تزو الهدف من ذلك حيث يقول " ويدعى هذا باستخدام قوات العدو المأسورة لزيادة قواتنا " وهو الأمر نفسه الذى كان يقوم معظم القادة عبر التاريخ ففى معركة ثيرموبيلى رأينا كيف جند قورش جنودا من آسيا الصغرى ومن مصر قبيل شن حملته على بلاد اليونان ، كذلك استخدم الإسكندر الأكبر ويوليوس قيصر وهانيبال فى جيوشهم مقاتلين أجانب فدائما ما كانت مشاة هانيبال من الجنود الأسبان والفرسان من الليبيين ويندر أن نرى جيشا وطنيا خالصا فى العصور القديمة ولم تكن أوربا فى العصور الحديثة استثناءا على

إيطاليا وصلت هذه النسبة إلى الربع حيث كان ربع القوات الفرنسية فى إيطاليا من الإيطاليين أما فى الحملة على روسيا كان نصف القوات التى شاركت فى الحملة من الأجانب من عشرين دولة مختلفة بما فيهم القوات

هذه القاعدة فكما رأينا ضم الجيش الفرنسى الكبير والحرس الإمبراطورى على وجه الخصوص جنودا ووحدات كاملة من غير الفرنسيين وكانت هذه أيضا قاعدة سارية فى العصور التى تلت ذلك فقبيل الحرب العالمية الأولى قررت الحكومة البريطانية أن على الهند أن تقوم بتوفير فرقتي مشاة فى حالة نشوب الحرب فى أوربا ليتم توزيعهم على جبهات مختلفة فى أوربا وبلغ عدد الجنود الهنود الذين خدموا على الجبهة الغربية فى الحرب العالمية الأولى ١٤٠ ألف جندى كذلك شاركت القوات الهندية بشكل فعال فى المعارك البريطانية فى جبهة الشرق الأوسط فى نفس الحرب فقد خاضت معارك كثيرة ضد القوات العثمانية فى العراق وفى سيناء وفى فلسطين بل إن معظم الجنود الذين استسلموا بعد حصار العثمانيين للقوات البريطانية بعد معركة كوت العمارة والتى دارت فى العراق فى عام ١٩١٦ كان معظمهم من الهنود وقبل ذلك بعام استخدم البريطانيون أثناء حملتهم الفاشلة لغزو الدردنيل ثلاثة آلاف من العمال المصريين ليقوموا بأعمال ثانوية مثل حفر الخنادق ونرى عند أول استخدام للغازات السامة فى الحرب العالمية الأولى فى معركة آيبر Ypre على الخنادق الفرنسية حيث هاجموها بغاز الكلور أن ضحية هذا الهجوم كانوا من الجنود الجزائريين حيث كان تأثير الغاز كبيرا على الجنود ووفقا للتقديرات الألمانية هرب أو قتل خمسة عشر ألفا من الجنود الجزائريين فى ذلك الهجوم وفى الحرب البريطانية على أفغانستان عام ١٩١٨ استخدمت بريطانيا جنودا من الهند ، كان الأوربيون قبيل بداية عصر النهضة وبعد أن نجحت بعض الدول الأوربية فى أقتناص بعض المستعمرات من الدولة العثمانية قد بدأت تنظر إلى سكان تلك المستعمرات على أنهم بشر من الدرجة الثانية بل وأقل من ذلك وتعمق لديهم ذلك الإحساس أكثر فأكثر وخصوصا بعد اتساع الهوة العلمية بين أوربا وتلك المناطق وتعمق ذلك الإحساس وتجذر فى العقلية الأوربية جيلا بعد جيل ضد كل ما هو غير أوربى حتى رأينا فى الحرب العالمية الأولى الجنرال جون برشينج John Pershing قائد القوات الأمريكية يرفض استخدام قواته كتعزيزات للوحدات البريطانية أو الفرنسية وذلك فى الوقت نفسه الذى يسمح فيه للفرنسيين باستخدام وحدات أمريكية تتكون بالكامل من الجنود الأمريكيين السود والزج بهم فى المعارك

البروسية والنمساوية.

البحرية الإمبراطورية

كان بحارة الجيش الكبير مقسمون إلى أربع كتائب تسمى كتائب بحارة الحرس الإمبراطورى the Bataillon des Marins de la Garde Imperiale وكانت تلك الوحدات مجهزة بحيث يستطيع فائض المجندين البحريين بالخدمة على البر عندما لا تكون هناك حاجة إليهم بحريا وكان هناك جنود البحرية الذين يعملون كاطقم للمدافع ويعملون تحديدا على المدافع الساحلية وعلى مدافع القلاع وأطلق عليهم اسم أطقم المستوى العالى Les Equipages de Haut-Bord وقد صدر بتشكيلهم مرسوم من نابوليون فى عام ١٨٠٨ وقد تم تنظيم بحارة الحرس الإمبراطورى فى خمسة أطقم يعملون كطاقم سفينة وينقسمون إلى خمسة سرايا بحيث تكون قوة ٧٣٧ رجلا وقد تم تشكيل هذه الوحدات فى الأساس للإعداد لغزو إنجلترا وقد تم تدمير هذه الوحدات بالكامل تقريبا فى أسبانيا عام ١٨٠٨ ولكن تمت إعادة تشكيلها بعد ذلك بعامين فى عام ١٨١٠ وقد تمت زيادة أعداد الكتيبة لتضم ثمانية سرايا بقوة اجمالية تبلغ ١١٣٦ رجلا وقد اتت الحملة على روسيا على معظم رجال تلك الوحدة بحيث لم يتبق فى صفوفها فى عام ١٨١٣ سوى ٣٥٠ من الضباط والجنود وكان جنود من تلك الوحدة هم الذين رافقوا نابوليون بعد تنازله عن العرش وفرض الإقامة الجبرية عليه فى مالطا وعند عودته إلى فرنسا تم زيادة عددهم إلى ١٥٠ ضابطا وجنديا.

المهندسين

كان الجيش الفرنسى يضم سلاحا للمهندسين وكانوا من أهم اقسام الجيش ومنهم بناة الجسور pontonniers وكانوا جزءا مهما من الآلة العسكرية الفرنسية وكانت مهمتهم هى بناء الجسور لتعبر القوات عليها

عبر الموانع المائية وكان ذلك يسمح لنابوليون بتطويق مواقع العدو عن طريق عبور النهر فى المناطق التى لم يكن يتوقعها وقد أنقذ سلاح المهندسين عند الانسحاب من موسكو الجيش من التدمير الشامل فى بيريزينا Berezina وكان الجيش يضم يضم ١٤ سرية وكانوا تحت قيادة مهندس بارع فى تلك الفترة وكانت أدواتهم تسمح لهم ببناء الأجزاء المختلفة من الجسور ليتم تجميعها بعد ذلك عند الحاجة إليها وكانوا يحملون كل المعدات التى يحتاجون إليها على عرباتهم وبالإضافة إلى بناة الجسور كانت هناك سرية من المهندسين المتخصصين فى التعامل مع تحصينات العدو ولكن نادرا ما كان يتم إسناد المهام إليهم لأن نابوليون بونابرت قد تعلم فى حملاته الأولى مثل حملته على عكا أن يتجاوز التحصينات والقلاع وأن يقوم بمهاجمتها لاحقا لذا لم تكن لهم نفس الأهمية التى لبناة الجسور وكان المهندسون منظمين فى سرايا وأفواج تسمى جينى Génie وهى كلمة فرنسية تعنى عبقرى وهى فى نفسى الوقت قريبة من كلمة مهندس بالفرنسية

اللوجيستيات

من أشهر عبارات نابوليون والتى قالها بعد دراسته لحملة هانيبال الشهيرة على إيطاليا " الجيوش تمشى على بطونها ".وكانت قوات الجيش الكبير تحمل مؤنا تكفيها لمدة أربعة أيام وربما يكون ذلك أخذ الدروس التى استفادها نابوليون من حملته على مصر والتى شابها التخبط اللوجيستى على الأقل فى بدايتها وكانت عربات المؤن التى تتبع الجيش تحمل مؤنا تكفى لثمانية أيام ولكن تلك المؤن كان من المفروض استخدامها فى حالات الطوارئ وكان بونابرت يدفع جيشه إلى الحصول على المؤن المتوافرة على الأراضى التى يجتازونها وكان ذلك يسمى وكانت المؤن الإضافية يتم تخزينها فى مستودعات ومخازن قبل بدء حملاته وكان يتم

نقل تلك المؤن إلى الأمام بينما يستمر الجيش فى تقدمه وكانت قواعد إمداد الجيش تعيد ملء مستودعات الفرق والفيالق وتلك بدورها تعيد ملء قوافل المؤن الخاصة بالأفواج والألوية والتى تقوم بتوزيع التعيينات والذخائر على الجنود حسب الحاجة وكان الاعتماد على جمع الطعام أحيانا ما يعتمد على الضغوط السياسية فعندما يتحرك الجيش فى أرض صديقة كان يتم إخبار الجنود أن يعيشوا مما تستطيع تلك الدولة أن توفره وكان هذا النظام هو الذى سمح للجيش الكبير بالسير السريع بمعدل ١٥ ميل يوميا وحتى خمسة أسابيع وفى تلك الفترة فكر الفرنسيون فى حفظ الطعام كوسيلة من وسائل إطالة عمر المواد الغذائية ليستهلكها الجنود فيما بعد.

الأطقم الطبية

كان لكل فوج وفرقة وفيلق طاقمها الطبى الخاص بها والذى يتكون من رجال من الفيلق مهمتهم العثور على الجرحى وحملهم، حيث كان على الأطقم الطبية أن تتعامل مع نتائج المعارك وكان على هؤلاء أن يساعدوا الأطباء وكان هناك أطباء وممرضون وجراحون وكانت تلك الأماكن عادة ما يشغلها رجال لا يصلحون لأى عمل آخر وكانت الرعاية الطبية فى ذلك الوقت على أقصى درجة من البدائية والتخلف ومن جراء ذلك كان الكثير من الجنود يموتون متأثرين بجراحهم وكان الإجراء الجراحى الوحيد المعروف هو البتر وكانت إجراءات التخدير قبل العمليات تتراوح بين أمرين لا ثالث لهما إما المشروبات الكحولية وإما ضرب المريض حتى يفقد وعيه ويبدأ الطبيب بالعمل وكانت نسبة الأحياء بعد العمليات الجراحية هى الثلث فقط، أما فيما يخص التنظيم فقد استفاد الجراح العام لسلاح الخدمات الطبية البارون دومينيك جان لارى[86] <u>Dominique Jean</u>

---

86 كان البارون دومينيك جان لارى <u>Dominique Jean Larrey</u> (١٧٦٦ – ١٨٤٢) هو الجراح الرئيسى فى الحرس الإمبراطورى الفرنسى وكان مسئولا عن مجموعة

Larrey مما رآه من تكتيكات سريعة فى سلاح المدفعية حيث كان هناك تكتيك يسمى بالمدفعية الطائرة تناور فيه بطاريات المدفعية عبر ميدان القتال لتحقق السرعة كما سنرى فنقله إلى أطقم الخدمة الطبية وسماه نظام النقالة الطائرة وكانت تلك الأطقم عبارة عن رجال مدربين تدريبا جيدا وسائقين مدربين ورجال من الفيلق وفى العقود التى تلت ذلك تبنت جيوش العالم أجمع هذا النظام الذى يعد الأب الشرعي لنظام عربات الإسعاف الحالية فى الجيوش وقام هذا الجراح بتحسين منظومة المستشفيات الميدانية وزيادة قدرتها على الحركة وكان الجرحى يعانون فى المستشفيات الميدانية الفرنسية من سوء العناية[87] وكانت قصص معاناة الجرحى وإهمال الأطقم الطبية تمنح الأطقم الطبية سمعتها كأسوأ سلاح موجود فى الجيش الفرنسى حتى أن نابوليون نفسه كتب يقول " يتطلب الأمر الكثير من الشجاعة كى يحتمل المرء المعاناة فالموت أفضل " وكان الجرحى الذين يظلون على قيد الحياة يتلقون معاملة الأبطال ويتم تكريمهم وكان

من التجديدات وأهمها النقالة الطائرة والتى تعتبر الجد الأول لنظام مستشفى الجراحة العسكرى MASH المتحرك فى أيامنا هذه

[87] أثناء حملة نابوليون بونابرت على مصر فى عام ١٧٧٩ تفشى مرض الطاعون بشكل وبائى بين الجنود الفرنسيين ولم تكن الأطقم الطبية على المستوى المطلوب حيث إن المرضى الذين كانوا يعانون من أمراض عادية كانوا يتم وضعهم على أسرة لم تكد ترفع عنها جثث ضحايا الطاعون وكان خدم المستشفيات يبيعون ثياب الموتى بدلا من حرقها بل إن جثث الموتى بمرض الطاعون كانت تظل بدون دفن لمدة أربع وعشرين ساعة أو يتم دفنها فى قبور غير عميقة فتنبشها الكلاب لتأكل الموتى مما كان يزيد من نسبة تفشى المرض بين الجنود الفرنسيين ولم يقتصر الأمر على ذلك بل إنه عندما تمكن الجيش الفرنسى من الاستيلاء على يافا قاموا بقتل ألفين وخمس مائة من المدافعين عن المدينة وألقيت الجثث فى العراء فتعفنت وتسببت فى زيادة تفشى وباء الطاعون فى الجيش الفرنسى

ذلك مقصودا لرفع معنويات باقى جنود الجيش.

الاتصالات

كانت كل الرسائل فى الجيش الفرنسى يتم نقلها عبر حاملى الرسائل كما كان الحال فى الجيوش القديمة وكان هؤلاء الرسل يمتطون الجياد فى الغالب لتحقيق عامل السرعة وذلك نظرا لشجاعتهم ومهاراتهم فى ركوب الخيل وكانت الرسائل التكتيكية قصيرة المدى يتم إرسالها سمعيا وبصريا عن طريق الرايات والطبول والأبواق والنفير وأدوات موسيقية أخرى وهكذا كانت أطقم الموسيقى العسكرية وحاملو الرايات الشرفيون يلعبون ادوارا مهمة فى عملية الاتصال بالإضافة إلى أدوارهم الاصلية وكان الجيش الفرنسى من أوائل الجيوش فى العالم التى استخدمت الحمام الزاجل كوسيلة اتصال بطريقة منظمة كذلك استخدموا بالونات الملاحظة للاستطلاع كما رأينا فى معركة فلوروس Fleurus ولكن التقدم الحقيقى الذى طرأ فى تلك الحقبة على الاتصالات العسكرية هو نظام السيمافورات Semaphor والتلغراف الذى اخترعه كلود شاب Claude Chappe وكان نظامه يتكون من شبكة معقدة من الأبراج الصغيرة يقع كل منها فى المدى البصرى للآخر وعلى كل منهم سارية طولها تسعة أمتار يركب فوقها قضبان خشبية متحركة تسمى المنظم régulateur وكان يقوم بتشغيلها أطقم مدربة تستخدم عددا من البكرات والرافعات وكانت الأوضاع الرئيسية الأربعة للقضبان الخشبية يمكن مزجها لتنتج ١٩٦ قراءة مختلفة كل قراء قد تمثل أمرا ما أو تعليمات جديدة وعلى سبيل المثال ففى حالة وجود الأطقم المدربة وظروف الرؤية الجيدة كان يمكن إرسال إشارة معينة بين كل من باريس وليل Lille عبر ١٥ محطة مع العلم بأن المسافة بينهما ١٩٣ كيلو مترا فى تسع دقائق فقط وكانت رسالة كاملة من ٣٦ يتم نقلها فى حوالى ٣٢ دقيقة بينما يتم نقل الرسالة من

باريس إلى فينيسيا فى ست ساعات فقط وهو معدل ممتاز فى ذلك العصر وكانت هناك نسخة محمولة من تلك المنظومة يتم حملها مع قيادة الجيش حيث أصبحت منظومة السيمافورات من أفضل الأسلحة لدى نابوليون وكان يتمكن من تنسيق احتياجاته اللوجيستية وقواته عبر مسافات طويلة وفى وقت أقل بكثير من قوات أعدائه وكان العمل قد بدأ فى منظومة شبيهة ولكن يتم حملها على عربات وذلك فى عام ١٨١٢ ولكنها لم تكتمل فى وقتها وكانت منظومة الاتصالات تلك على الرغم من بدائيتها توفر قدرا معقولا من السيطرة حيث كان القائد يتمكن من استلام المعلومات وإرسال التعليمات والأوامر فى توقيتات معقولة نسبيا بالنسبة لظروف ذلك العصر[88].

---

[88] ظلت مسألة الاتصالات التى هى عصب الحرب حتى الفترة البينية الواقعة بين الحربية العالميتين الأولى والثانية تحديا يواجه قادة الجيوش وكانت أحد أكبر الصعوبات التى تواجه الجيوش المتحاربة هى إيجاد وسيلة اتصالات تعمل بكفاءة فى أجواء القتال والمعارك وعلى الرغم من اختراع ماركونى للراديو إلا أن منظومات الاتصالات أو ما يطلق عليه سلاح الإشارة كانت ما تزال متخلفة متخبطة فى مراحلها الأولى وبالتالى لم تكن مناسبة للعمليات ولذلك وفى الحرب العالمية الأولى على سبيل المثال كانت التشكيلات تستخدم التلفونات والسيمافورات ومصابيح الإشارة والكور المضيئة والحمام الزاجل وسعاة البريد ومع ذلك لم يكن من الممكن الاعتماد بشكل كامل على أى من تلك الطرق وكانت التلفونات هى قناة الاتصالات الأكثر كفاءة إلا أن كابلات التلفونات كانت ضعيفة أمام المدفعية حيث إنه وفى معظم الأحيان كان القصف المدفعى يتسبب فى قطعها فى المراحل الأولى من المعركة وبذلك تفقد القوات الشريان الذى يربط بين القيادة وبين الوحدات المقاتلة وللتغلب على ذلك كان يتم وضع الكابلات على شكل السلم بحيث توفر توصيلا غزيرا وعلى سبيل المثال كان يتم استخدام الطلقات المضيئة للإعلان عن نجاح ما أو لإعطاء الأمر ببدء هجوم بالمدفعية محدد مسبقا ولم يكن شيئا غير عادى أن ينتظر ضابط يقود هجوما من ساعتين إلى ثلاث ساعات حتى يصله تقرير عن سير المعركة وأحيانا كانت تلك الفترة كافية لتغيير مسار معركة بأكملها وفى تلك الأثناء لم يكن من الممكن

اتخاذ قرارات سريعة وفى كثير من الحالات كان المصير النهائى للمعركة يتحدد على مستوى الكتيبة وعن الاتصالات فى الميدان يقول الفيلد مارشال القائد مونتجومرى فى مذكراته " خلال معركة السوم فى الصيف التالى كان على أحد ألوية المشاة أن يكون هو اللواء الضارب فى هجوم تقوم به الفرقة وكان من الأمور الهامة أن يتلقى قائد اللواء بسرعة معلومات عن التقدم الذى تحققه قواته المتقدمة فعلى هذا التقدم تتوقف حركة القوات الاحتياطية فى المؤخرة وكانت المشكلة فى معرفة الطريقة التى يجب أن تؤمن بها سرعة وصول المعلومات المتجمعة وأظهر مقر اللواء العام اهتماما كبيرا حين علم أن حمامة يمكن أن تستعمل لنقل الأخبار وقد تسلمنا هذه الحمامة فى الوقت المناسب وبقيت بضعة أيام فى قفص خاص وعندما جاء يوم الهجوم عهد بالحمامة إلى جندى كان عليه أن يرافق وحدات الطليعة وقيل له إن أحد الضباط سيكتب فى وقت من الأوقات رسالة تربط فى احدى ارجل الحمامة وعليه عندئذ أن يطلقها فتطير عائدة إلى قفصها فى مقر اللواء العام وشن الهجوم وأخذ قائد اللواء ينتظر بقلق عودة الحمامة ولكن الوقت أخذ ينقضى دون أن تصل الحمامة وأخيرا هبطت الحمامة هبوطا هادئا نحو قفصها وسلمت الرسالة إلى الجنرال فإذا به لا يجد فيها إلا هذه العبارة (لقد سئمت من نقل هذا الطائر المقدس معى فى أنحاء فرنسا) ولقد قضيت الأشهر الأخيرة من الحرب كرئيس لأركان حرب الفرقة السابعة والأربعين فى لندن فدرست مطولا مشكلة معرفة كيفية الحصول بسرعة فى القوات العامة للفرق على المعلومات الدقيقة بالغة الأهمية حول تطورات القتال وهى المعلومات التى تتيح للجنرال تكييف استعداداته وفقا للوضع التكتيكى كما يتبدى وأخيرا ابتدعنا طريقة تتلخص فى تزويد هيئات أركان حرب أفواج الطليعة بضباط لديهم أجهزة إرسال ومكلفين بأن يبعثوا الرسائل باللاسلكى وكانت الصعوبة آنذاك فى الحصول على اجهزة إرسال ملائمة يمكن ان يحملها الجندى ولم تكن هذه الطريقة إلا وسيلة لبلوغ الغاية ولكنها أعطت نتائج حسنة فى كثير من الأحيان وكان فى ذلك نواة الطريقة التى قمت بتحسينها فى الحرب العالمية الثانية والتى أصبحت أخيرا تتمثل فى فريق ضباط الاتصال المزودين بسيارات الجيب والعاملين انطلاقا من المقرات العامة التكتيكية المتقدمة " ومن ناحية أخرى كان استخدام الإشارات ونقل الأوامر والاتصال بين الوحدات البحرية أمرا شديد الصعوبة ويتطلب أطقما على درجة عالية من التدريب وكانت تكتيكات الأسطول فى تلك ترتبط بشكل كبير بقدرة السفن المهاجمة على اتخاذ تشكيل يسمح بتلقى وإرسال الاشارات وكانت العقيدة التكتيكية لأساطيل الدول الكبرى فى تناولها للمعركة هو أن يكون الأسطول فى تشكيل مدمج من صفوف

متوازية تسمح بقدر خفيف من المناورة وهو ما كان يؤثر على قدرة الأساطيل البحرية من الناحية التكتيكية وكان هذا يعطى خطوط رؤية قصيرة داخل التشكيل وهو الأمر الذى كان يسهل تمرير الاشارات الضرورية للقيادة والسيطرة وكانت ميزة أساسية لمثل ذلك التشكيل ان يتشكل الأسطول فى خطوط قصيرة متعددة ليتمكن من تغيير وجهته بشكل أسرع مما يستطيع أسطول مكون من خط واحد طويل حيث كانت إشارات القيادة فى العصور القديمة وحتى الحرب العالمية الأولى مقصورة على الوسائل المرئية فقط مثل الأعلام أو الطلقات المضيئة بين السفن وكان يتم وضع سفينة العلم على رأس الخط الموجود فى المركز بحيث يتم استلام إشاراتها بشكل أكثر يسرا ويمكن للكثير من سفن التشكيل أن تراها وكانت الرؤية الضعيفة فى ذلك الوقت تعنى أن تستطيع السفينة أن تتعرف على إشارات أقرب السفن المجاورة لها فى الأسطول وفى تلك الظروف كان ضروريا أن تقوم كل سفينة بإعادة الإشارة حتى تصل أوامر الأدميرال إلى كل سفن الأسطول وكان مما يعيب تلك الوسيلة الدخان الكثيف الذى كان ينبعث مع الفحم الذى يستخدم للإشارات والذى تقوم كل سفينة بإطلاقه مما يعوق بدوره الرؤية ويساهم فى تشويشها ولذا فكان من الممكن أن تتاخر الإشارة التى تطلقها سفينة العلم فى الوصول إلى كل سفن الأسطول مما يفقدها وقتا ثمينا تحتاجه فى العمليات بل والأصعب من ذلك أن كانت كل سفينة تحتاج إلى تأكيد الإشارة قبل أن تصل إلى السفينة التالية لها وعلى سبيل المثال كان الأمر بالتحرك يتم استقباله وإعطاء التاكيد عليه قبل أن يتم تنفيذ الحركة نفسها وفى تشكيل الخط الطويل كان إرسال الإشارة يستغرق عشر دقائق أو أكثر لتمريرها من نهاية الخط إلى نهاية الخط الآخر بينما كانت الرؤية على القطر فى تشكيل الخطوط المتوازية افضل بكثير وكانت تستغرق عادة وقتا أقصر من ذلك الذى تستغرقه فى عمود أو خط واحد كبير وكان نظام الخطوط أو الأعمدة المتوازية يعطى فرصة افضل لرؤية الإشارة وترجمتها بشكل صحيح وهكذا كان يتم التضحية باتخاذ أفضل تشكيل للمعركة للتيقن من سلامة وصول الإشارات إلى كل السفن التابعة للأسطول ولا شك أن التطور فى الاتصالات والذى صاحب اندلاع الحرب العالمية الثانية قد أحدث تغييرات ثورية فى إدارة المعارك سواء البحرية منها أو غيرها وقد مرت الاتصالات العسكرية بمراحل عديدة حتى أخذت شكلها الحالى

فرض الانضباط تكتيكيا جيدا على الرغم من فشله فى معركة واترلو وتكتيك الحشد والذى كانت تستخدمه الجيوش الفرنسية فى بدايات عصر الثورة الفرنسية وكانت تشكيلات وتكتيكات نابوليون شديدة المرونة بينما على العكس من ذلك كانت معظم الجيوش التى تشتبك معها القوات الفرنسية ما تزال محتفظة بشكل صارم بالتكتيكات الخطية القديمة والتى تقوم على أن يشكل جنود المشاة خطوطا يقومون فيها بتبادل إطلاق النار مع العدو فى محاولة لاكتساح العدو من الميدان أو تطويقه ونظرا لنقاط الضعف فى التشكيلات الخطية كان تطويق العدو يعتبر افضل شكل من اشكال المناورة بالقوات وكانت القوات أما ان تنسحب واما ان تستسلم بمجرد نجاح مناورة التطويق وكنتيجة لذلك فإن القواد الذين كانوا يلتزمون بذلك الفكر يؤكدون دائما على تأمين الأجناب وذلك على حساب ايجاد وسط (قلب) قوى أو على حساب الاحتياط وكان نابوليون عادة ما يستغل تلك العقلية التى تعتمد على التكتيكات الخطية عن طريق التظاهر بمهاجمة الأجناب أو أن يكشف أجناب قواته لعدوه كطعم مثلما حدث فى معركة أوسترليتز ولوتزن ثم يقوم بتوجيه المجهود الرئيسى لقواته ضد وسط القوات المعادية ويخترق صفوفهم ويقسمها ثم يسحق الأجناب وكان دائما ما يحتفظ باحتياطى قوى فى نفس الوقت وكان ذلك الاحتياطى عادة ما يتمثل فى الحرس الإمبراطورى الذى كان بامكانه توجيه ضربات قاضية إذا ما كانت المعركة تسير فى صالحه أو أن يقلب ميزان القوى فى المعركة ان لم تسر الامور على ما يرام وفيما يلى بعض اشهر التكتيكات التى كان نابوليون يستخدمها فى معاركه :

الخط : كان الخط Ligne الذى يستخدمه نابوليون عبارة عن تشكيل من ثلاثة صفوف وكان افضل استخدام له هو توجيه وابل من الرصاص وكذلك كان تشكيلا جيدا حيث كان يمكنه الالتحام melee مع العدو سواء

كان من المشاة أو من الفرسان ولكن كان يعيبه بطء حركته وضعفه أمام الهجوم الجانبى كما سبق القول.

طابور السير: كان طابور السير Colonne de Marche هو أفضل تشكيل للحركة السريعة للقوات وكذلك كان يمثل تشكيل التحامى جيد ولكن كان يعيبه ضعف قوته النيرانية وكذلك كان يسهل مهاجمته من الأجناب كسابقه وكذلك كان ضعيفا أمام الكمائن وتركيز نيران المدفعية.

رأس الحربة: رأس حربة عبارة عن تشكيل هجومى سهمى على شكل رأس حربة تقوم به قوات سلاح الفرسان ويسمى خط الانقضاض Colonne de Charge وكان المقصود منه الاقتراب سريعا من خطوط العدو واختراقها وهو تشكيل قديم وفعال استخدمته قوات الفرسان عبر التاريخ وتستخدمه قوات المدرعات فى الوقت الحالى ولكن إن نجح العدو فى إيقافه أو تمت مهاجمته فإنه يفقد قوة اندفاعه ويكون حينئذ ضعيفا أمام هجوم الكماشة على الأجناب.

طابور الهجوم : طابور الهجوم Colonne d'Attaque عبارة عن طابور واسع من المشاة وهو عادة ما يكون مزيجا بين الخط والطابور ويتكون من قوات مشاة خفيفة تقوم بدور المناوشين Skirmishers[89] فى

---

[89] تشبه تلك المهمة ما كانت تقوم به قوات الفيليتى Veliti الرومانية والكلمة مأخوذة من كلمة Velites اللاتينية وكان هذا المسمى يطلق على الجنود خفيفة الدروع وكانوا جزءا من الجيش الرومانى فى العصر الجمهورى وكانت دروعهم تتكون من درع خفيف على الصدر ودرع صغير من الخشب وحراب صغيرة من الخشب تشبه الرماح التى تستخدم اليوم فى الألعاب الأوليمبية ولكنها اقصر قليلا وكانت تلك الفئة من الجنود هى اول من يهاجم فى المعارك وكان الهدف من ذلك هو إزعاج العدو عن طريق إلقاء الرماح فى وجه العدو بهدف تشتيت وارباك تشكيلاته وكان الهدف من تزويد تلك القوات بدروع خفيفة أو عدم تزويدها بدروع على الإطلاق هو إعطاؤها ميزة سرعة الحركة فى الميدان بحيث تقوم بأعمال لا تستطيع المشاة الثقيلة القيام بها مما

المقدمة لتمزيق ترابط قوات العدو وفى نفس الوقت لستر تقدم الطابور وبمجرد تقدم الطابور تقوم قوات المشاة الخفيفة بالتراجع على جانبى الطابور ثم يقوم الطابور بإطلاق دفعة من رصاصات بنادق الماسكيت ثم يهجمون بالسونكى وهو تشكيل ممتاز عند الهجوم على خط قليل الصفوف وكان تشكيل الهجوم قد تم تطويره من خلال تكتيكات الحشد Mob أو القطيع Horde والتى كانت تستخدمها الجيوش الفرنسية فى بدايات عصر

كان يجعل الفيلق بأكمله ذا طبيعة هجومية واضحة وفى الحقيقة كانت نقطة القوة فى هذه الفئة من الجنود هى السرعة الأمر الذى يمكن مقارنته بعقيدة المشاة الإسلامية عبر عصور الدولة الإسلامية المختلفة منذ نشأتها حيث لم يكن يوجد لدى المسلمين ما يسمى بالمشاة الثقيلة فكان التشكيل كله يتميز بخفة الحركة وهو ما يفسر من الناحية العسكرية فقط السرعة الخاطفة التى أتم بها المسلمون الأوائل فتح البلدان المجاورة لهم وقدرتهم على هزيمة الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية علاوة على خفة الحركة تميزت تلك القوات أيضاً بانها لا تقاتل فى تشكيل بل كانت توضع بشكل متفرق مما مكنهم من العمل بنجاح وبشكل أكثر فاعلية ضد الأعداء غير التقليديين مثل العربات الحربية والأفيال ومن ناحية أخرى كانت تلك القوات غير كفء على الإطلاق عند الاشتباك وجها لوجه مع جنود المشاة الثقيلة وأساسا كان عملهم أثناء المعركة هو إقلاق وإزعاج العدو بالهجوم عليه من الأجناب ومن المؤخرة وكانت كفاءتهم ونجاحهم تعتمدان على العنصر النفسى بشكل أكبر من التأثير الفعلى الذى تنتجه على قوات العدو كذلك لم تكن تلك القوات قادرة نظرا لطبيعتها على تكبيد العدو خسائر فادحة ولكن وابل الرماح القصيرة التى كانوا يطلقونها على قوات الأعداء كان له تأثيرات كارثية على معنويات جنود العدو وكانت من أهم فوائد ذلك التشكيل هو أن يعطى الفرصة للقوات الرومانية لاتخاذ تشكيل قتالى واستجماع نفسها للهجوم على العدو بعدما يقومون هم ببعثرة التشكيل المعادى وإرباكه وقد ألغى الإمبراطور جايوس ماريوس Gaius Marius وجود تلك القوات نهائيا فيما بعد وكان الفيلق الرومانى يتم دعمه عن طريق مناوشين Skirmisher وهى قوات المشاة التى توضع فى الصوفوف الأمامية لتقوم بمناوشة العدو بغرض حماية قواتها أو لمضايقة وإزعاج قوات العدو وعادة ما كانت تلك القوات مدرعة تدريعا خفيفا وذلك لتوفير عامل الحركة والسرعة فى الميدان وكان يتم تسليحها بأسلحة رمى لمهاجمة العدو على مسافة مثل المقلاع والقوس وما إلى ذلك

الثورة الفرنسية وكان يعيبه قلة تركيز القوة النيرانية وضعفه أمام هجوم المدفعية.

التشكيل المختلط : كان هذا التشكيل المختلط Ordre Mixte هو تشكيل المشاة المفضل لدى نابوليون بونابرت حيث كانت بعض الوحدات (وعادة ما تكون أفواج أو كتائب من ناحية الحجم) تشكيلا خطيا وتتخذ الوحدات الباقية تشكيل الطابور الهجومى خلفها وبينها وقد مزج هذا بين القوة النيرانية للخط والقدرة على الالتحام والمناوشة التىيمتلكها الطابور الهجومى وكذلك كان يعيبه بعض من عيوب التشكيلين ولذا كان من الضرورى أن يكون ذلك التشكيل مدعوما بالمدفعية والفرسان.

التشكيل المفتوح : فى هذا التشكيل Ordre Ouvert يقوم المشاة والفرسان أو كل منهم على حدة بالانتشار حسب وحداتهم وكان هذا التشكيل جيدا للقوات الخفيفة والمناوشين وكان يسمح بالحركة السريعة وخصوصا على الأرض الوعرة مثل التلال أو الغابات وكان يوفر افضل حماية من نيران العدو حيث إن القوات كانت تنتشر على مساحة واسعة وكان يعيبه انه لم يكن يمكن القوات من تركيز قوتها النيرانية وبالنسبة للقتال الالتحامى فانه لم يكن يصلح على الإطلاق وكان ضعيفا إلى اقصى الحدود أمام هجمات الفرسان

المربع : المربع Carré هو تشكيل قديم من تشكيلات المشاة وكان يستخدم على وجه الخصوص للدفاع ضد هجمات الفرسان وكان الجنود يشكلون مربعا أجوفا بعمق ثلاثة أو أربعة خطوط على كل ضلع من أضلاعه بحيث يكون الضباط والمدفعية والفرسان فى الداخل وكان يوفر للمشاة أفضل وسيلة دفاعية ضد الهجمات وخصوصا هجمات الفرسان وخصوصا إذا ما تم تشكيل المربع على أرض ذات طبيعة تسمح بالدفاع على سفح تل على سبيل المثال وكانت المربعات بطيئة الحركة وكانت

تمثل أهدافا استاتيكية وكان ذلك يجعلها ضعيفة أمام المدفعية وبدرجة أقل أمام نيران المشاة وبمجرد أن ينكسر فانه سرعان ما ينهار.

البطارية الطائرة : كان تشكيل البطارية الطائرة Batterie Volante أحد تشكيلات المدفعية وقد تم استحداثه للاستفادة من سرعة الحركة والتدريب العاليين.وهما عاملان كانت تتميز بهما تشكيلات المدفعية الفرنسية وكانت البطارية تتحرك من مكان إلى آخر فى ميدان القتال وتقوم بعمل قصفة قصيرة حادة على إحدى النقاط المعادية ثم تقوم سريعا بإعادة الانتشار فى موقع آخر وتقوم بإطلاق دفعة أخرى ثم تعيد الانتشار مرة ثالثة وهكذا وكان تأثير عدة بطاريات تقوم بذلك التكتيك وتطلق نيرانها على خطوط العدو كبيرا وعادة ما كانت مدفعية الجياد هى التى تقوم بمثل هذا التكتيك حيث كانت قدرتها على الحركة والتدريب الذى يتلقاه اطقمها مما يؤهلها للقيام بهذا الدور وقد استخدم نابوليون هذا التطتيك بنجاح كبير فى الحملات الأولى التى خاضها الجيش الكبير وكانت مرونة مدفعيته تسمح له بتركيز نيرانه فى أى موقع يحتاج لذلك وكان ذلك التكيتك يتطلب أطقما مدربة على مستوى عال وسيطرة من قبل القيادة وتنسيق.

البطارية الكبيرة : تشكيل البطارية الكبيرة Grande Batterie هو تشكيل بديل لتشكيل البطارية الطائرة إذا لم تتح الفرصة للقيام به وهنا تقوم المدفعية بتركيز نيرانها على نقطة واحدة مهمة فى ميدان المعركة (وغالبا ما تكون تلك النقطة فى المركز) وقد يكون تأثير ذلك كبيرا إذا ما بوغتت قوات العدو التى يتم قصفها أو إذا ما تركز هذا القصف عليه فى مكان مفتوح ولكن تجميع عدد كبير من المدافع فى منطقة واحدة بدون أن يعلم العدو قد يكون خادعا فهو يعرض العدو للمفاجأة ولكن بمجرد أن تفتح المدافع نيرانها تصبح هدفا واضحا لمدفعية العدو بالإضافة إلى أنها كانت تحتاج إلى حماية من هجمات الفرسان وبالرغم من أن هذا التكتيك كان

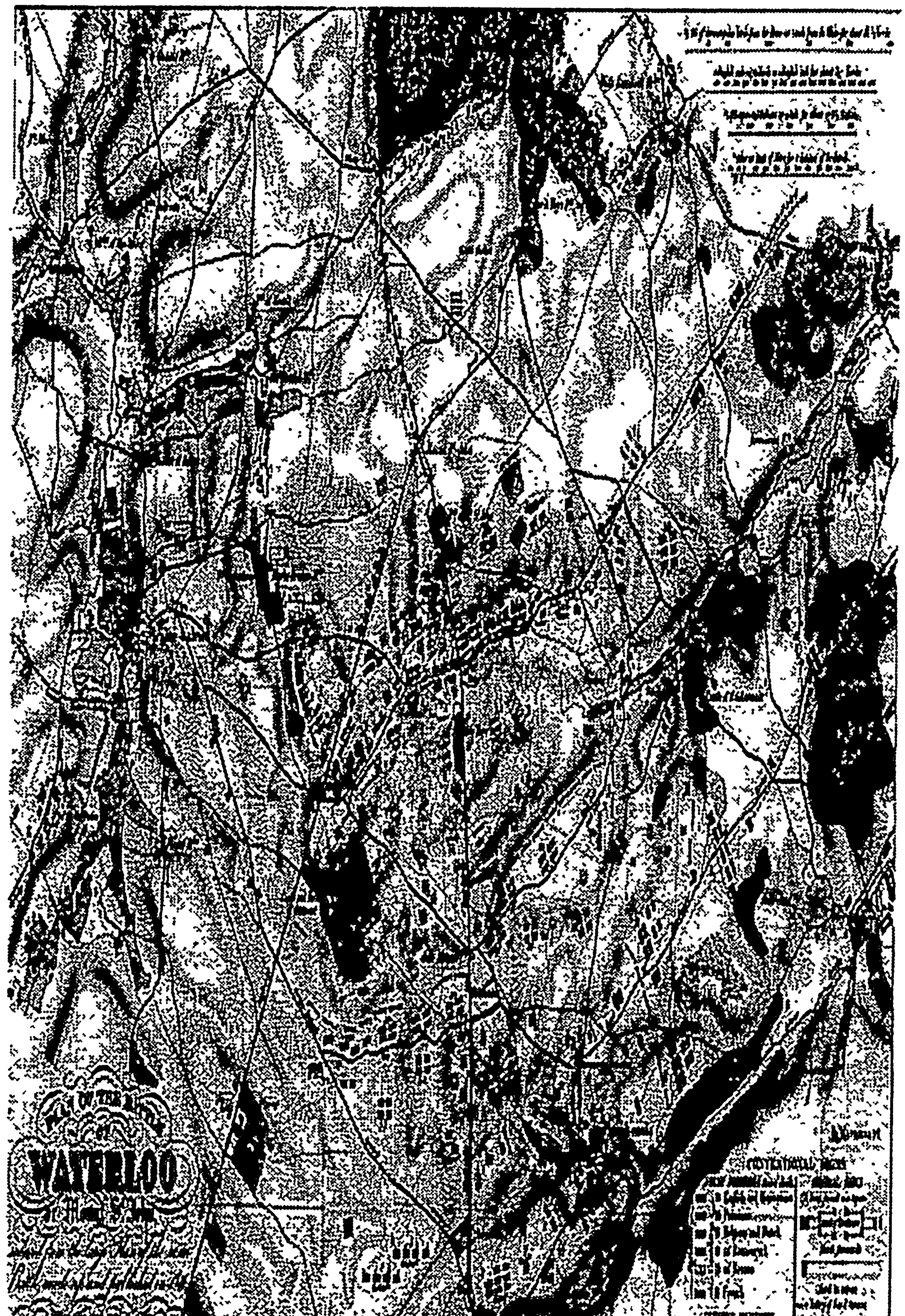
أكثر تكتيكات المدفعية الفرنسية شيوعا فى عصر نابوليون إلا أن نابوليون شخصيا كان يفضل تكتيك البطارية الطائرة ولم يكن يستخدمه إلا حين يرى أن الضرورة تقتضى ذلك وأن هذا التكتيك يوفر فرصا أفضل للنجاح وعادة ما كان يحشد بطاريات المدفعية عند بدء المعركة لتكون بطارية كبيرة وبعد أن تطلق المدافع عدة دفعات فإنه يقوم بتقسيمها إلى بطاريات أصغر حجما لينفذ تكتيك البطارية الطائرة وفى الحملات الأولى كان هذا التكتيك نادرا ما يستخدم ولكن عندما بدأت أعداد الخيول ورجال المدفعية فى الجيش الكبير كان نابوليون مضطرا لتنفيذ هذا التكتيك فى معاركه بشكل متكرر.

رأس الخنزير: كان تكتيك رأس الخنزير Tête du Sanglier تشكيلا مختلطا كذلك ولكنه كان يختلف عن التشكيل المختلف فى انه يمزج الاذرع الثلاثة فيما يشبه المربع وكان يمكن استخدامه فى الهجوم أو الدفاع وتقوم المشاة بتشكيل خط قصير ولكنه عميق وذو عدة صفوف فى المقدمة بحيث تمثل خطم الخنزير وخلفهم مجموعتان من بطاريات المدفعية والتى تمثل عينى الخنزير وعلى أجنابهم وخلفهم وبشكل مائل هناك طابور مشاة آخر أو خط أو مربع ليكون الوجه وتتم حماية أجنابهم ومؤخرتهم بمجموعتين من الفرسان وتمثلان نابى الخنزير وكان هذا التشكيل معقدا جدا ولم يكن من الممكن تشكيله بصورة سريعة كباقى التشكيلات وبمجرد تشكيله وفيما عدا الأنياب تصبح قدرته على الحركة بطيئة غير انه كان أسرع من المربع واقل هشاشة أمام المدفعية أو نيران المشاة وكانت الأنياب (مجموعتا الفرسان) تعطيه إمكانيات هجومية أعلى وسوف يظل هذا التكتيك معمولا به فى أربعينيات القرن التاسع عشر فى غزو المغرب العربى من قبل فرنسا وسيظل معمولا به حتى عام ١٩٢٠ .

الترقى فى الجيش

كـان الترقـى فـى الجيش الكبيـر بعكـس جيـوش مـا قبـل نـابوليون فكـان التدرج فى المناصب هنا يعتمد علـى القدرة التـى يثبتهـا القائد فـى المعـارك وليس على وضعه الاجتماعى أو عائلته كمـا كـان يحدث فـى السابق وكـان نابوليون يريد أن يصبح جيشه طبقة أريستقراطية مستحقة لما هى عليه من وضع اجتماعى وأن يصعد الجندى فى الدرجات بمجهوده الشخصى بغض النظـر عـن وضـاعة مولـده أو ظروفـه الاجتماعيـة كمـا حـدث معـه هـو شخصيا وكان ذلك يطبق على الضباط الفرنسيين والأجانب على حد سـواء وقد وصل مـا لا يقل عن مائـة وأربعون من الضباط الأجانـب إلـى درجـة جنـرال وهـى بـالطبع سياسـة تنمـى القـدرة علـى الإبـداع وتزكـى الطمـوح المشروع بينمـا فـى الجيـوش الأخـرى يـستغرق الأمـر عقـودا حتـى يـصل الضابط المتميز إلى الدرجة التى يستحقها بالفعل.

أهم معارك نابليون



معركة أوسترليتز

معركة أوسترليتز وتعرف أيضا بمعركة الأباطرة الثلاثة كانت أحد أكبر انتصارات نابوليون في أوربا وفيها نجح الجيش الفرنسي بقيادة نابوليون في هزيمة الجيش الروسي النمساوي المشترك بقيادة القيصر الروسي أليكساندر الأول وفي نفس الشهر الذي دارت فيه المعركة وقعت فرنسا مع النمسا اتفاقية بريسبورج Pressburg خرجت النمسا بمقتضاها من الحرب وقد عززت تلك الاتفاقية من الاتفاقيات السابقة عليها وجعلت النمسا تتخلى عن أراض لصالح ألمانيا حلفاء نابوليون الألمان وفرضت الاتفاقية تعويضات ٤٠ ميليون فرانك تعويضات تدفعها أسرة هابسبورج النمساوية المهزومة وسمح بعدها للقوات الروسية أن تعود إلى أراضيها وكانت أوربا تعاني من اضطرابات منذ بداية حروب الثورة الفرنسية في عام ١٧٩٢ ونجحت فرنسا في عام ١٧٩٧ في إخضاع التحالف الأول بعد خمس سنوات من الحروب وتم تأسيس تحالف ثان في عام ١٧٩٨ ولكن هذا الأخير أيضا قد تمت هزيمته وفي ١٨٠٢ اتفقت كل من إنجلترا وفرنسا على وقف الأعمال العدائية بموجب معاهدة آميين Amiens وتمتعت أوربا بشكل مؤقت أخيرا بالسلام بعد عشر سنوات من الحروب ولكن التوتر ظل يتصاعد بين كل من إنجلترا وفرنسا لأسباب تتعلق بالمستعمرات التي تخص كل منهما وو اصطدمت الدولتان أكثر من مرة حتى اعلنت بريطانيا الحرب رسميا على أنجلترا في عام ١٨٠٣ في غام ١٨٠٤ وقعت كل من إنجلترا والسويد اتفاقية ظهر بمقتضاها التحالف الثالث ضد فرنسا وقضى رئيس وزراء بريطانيا في ذلك الوقت ويليام بيت William Pitt عامين في جهود ديبلوماسية حثيثة بغرض تأسيس ذلك التحالف وقبل أن ينتهي عام ١٨٠٥ كانت بريطانيا ورسيا قد وقعتا اتفاقية تحالف وكانت روسيا حريصة على الانتقام من فرنسا لهزيمتها السابقة ثم لم تلبث النمسا أن انضمت إلى ذلك التحالف .

الجيوش المتحاربة

الجيش الفرنسي

قبل أن يتشكل التحالف الثالث كان نابوليون قد أعد جيشا لغزو إنجلترا وكانت قواته قد تلقت تدريبا جيدا فى شمال فرنسا وكان نابوليون واثقا إلى حد كبير من نجاح جيشه فى غزو إنجلترا للدرجة التى جعلته يصك ميداليات احتفالا بغزو إنجلترا وعلى الرغم من أنهم لم يضعوا أقدامهم فى إنجلترا وكان نابوليون حريصا على زيارة تلك القوات وتفقدها واستعراضها بشكل دورى لرفع الروح المعنوية للقوات وكانت تلك القوات تعسكر فى ستة معسكرات فى بولونى وكانت تلك القوات هى نواة الجيش الكبير الذى تكلمنا عنه من قبل وفى البداية كانت قوة ذلك الجيش مائتا ألف رجل مقسمين إلى سبعة فيالق وكانت تلك وحدات ميدانية كبيرة احتوت كل منها على من ٣٦ إلى ٤٠ مدفع وكان كل منها قادرا على العمل بشكل منفرد حتى يأتى فيلق آخر لنجدته وكان الفيلق الواحد إذا ما تم وضعه فى موقع دفاعى قوى فانه كان بامكانه أن يقاتل ويظل محتفظا بموقعه لمدة يوم على الاقل بدون دعم وكان هذا يعطى الجيش الكبير خيارات تكتيكية وإستراتيجية كثيرة فى كل حملة من حملاته بالإضافة إلى ذلك كانت اعداد الجنود فى كل فيلق على حدة أمرا لا يخضع لقواعد ثابتة بل كان ذلك حسب ما يتراءى لنابوليون من أهمية أو دور مهم سيقوم هذا الفيلق بلعبه فى المعركة وبالمثل كان عدد القوات أو البنية التنظيمية للفيلق خاضعة لنفس الاعتبارات وذلك بدوره كان يمكن ادخال التعديلات والتغيرات عليه فى وسط الحملة فقد يرى نابوليون تشكيل فيلق جديد أو حل آخر أو دمج اثنين وهكذا وكان هذا الأمر مثلما حدث عندما قام نابوليون بتكشيل الفيلق السابع فى وسط حملة عام ١٨٠٥ بقيادة المارشال مورتييه Mortier مما أثار حيرة المخابرات النمساوية فى ذلك الوقت وعلى رأس تلك القوات كان نابوليون قد قام بتشكيل قوة من الفرسان عددها اثنان وعشرون ألفا

وتحتوى على فرقتين من الفرسان لابسى الدروع cuirassier وأربع فرق من فرسان الدراجون وفرقتين من الدراجون الغير محمولين وفرسان خفيفة وكان كل ذلك يتم دعمه عن طريق ٢٤ قطعة مدفعية وبحلول عام ١٨٠٥ كان الجيش الفرنسى الكبير قد زاد من قواته حتى أصبحت ٣٥٠ ألفا من الرجال وكانوا مزودين بعتاد متقدم بمعايير ذلك العصر ومدربين بشكل جيد ويقودهم ضباط اكفاء.

الجيش الروسى

كان الجيش الروسى يتبع فى ذلك الوقت النظام القديم فلم يكن هناك تشكيل دائم أعلى من مستوى الفوج[90] وكان الضباط الذين يشغلون مواقع

---

[90] دخل مصطلح الفوج فى الجيوش الأوروبية فى نهايات القرن السادس عشر والكلمة فى اللغات الاوربية مشتقة من أصلها الفرنسى وذلك حين تطورت الجيوش من مجرد تابعين للفرسان وهو نظام كان معمولا به فى العصور الوسطى فلم تكن هناك جيوش نظامية بل كان كل صاحب أرض يحتفظ بقوة من الفلاحين والتابعين الذين يخدمونه فى وقت السلم وفى وقت الحرب يتحولون إلى قوة من المشاة وقد وصف نيكولو ماكيافيللى هذا النظام بشكل مفصل فى كتابه " فى فن الحرب " وعند بدء العمل بنظام الفوج كانت الأفواج عادة ما تسمى على اسم قوادها وكان عادة ما يكون القائد برتبة كولونيل ويتم حل الفوج عند انتهاء الحرب أو الحملة وكان من الممكن أن يعمل الكولونيل وفوجه لحساب أكثر من دولة وبعد ذلك أصبح من المعتاد تسمية الفوج حسب الموقع الجغرافى الذى سبق لهم العمل فيه أو حسب الأماكن والمقاطعات التى يتم منها تجنيد الأفراد وفى القرن السابع عشر أصبحت الأفواج تتشكل من قوات من المشاة والفرسان والمدفعية واصبحت الأفواج ذات السلاح الواحد أى فوج مشاة أو فوج فرسان فقط ، بديلا عن الألوية فى معظم الجيوش الأوروبية والفوج ينقسم إلى عدة كتائب ومن الناحية الهيكلية تنقسم إلى كيان أو منظومة إدارية مسئولة عن الإدارة الغير عملياتية للكتائب مثل شئون الأفراد والتدريب والشئون الإدارية والاحتياطى الإستراتيجى بينما كان الجانب الآخر وحدات عسكرية مقاتلة يمكن نشرها فى عمليات قتالية وهى عبارة عن تشكيلات يتراوح حجمها بين الكتيبة واللواء وعادة ما تكون لها منظومة إمداد ودعم خاصة بها ويعتمد ذلك على الدولة التى ينتمى اليها الفوج ومهمتها وتنظيمها والذراع العسكرى الذى تتبعه سواء كان مشاة أو فرسان

هامة فى السلسلة القيادية يتم اختيارهم من بين أفراد الطبقة الأريستقراطية العليا وكانت الوظائف مثل السلع يتم المزايدة عليها ويخضع الحصول عليها للثمن الذى يعرضه كل واحد منهم على حدة بغض النظر عن كفاءته لشغل مثل ذلك الموقع بينما كانت معاملة الجنود فى الجيش الروسى من أسوأ ما يمكن فلكى يستطيع القادة فرض النظام كانوا يقومون أحيانا بضرب الجنود ومعاقبتهم بدنيا ومن ناحية أخرى كان الضباط فى المستويات القيادية الأقل غير مدربين جيدا وكانوا يجدون صعوبة فى جعل رجالهم ينفذون مناورات معقدة والتى قد تكون مطلوبة أحيانا فى المعارك ومن ناحية أخرى حاول القيصر أليكساندر الأول أن يقوم ببعض الإصلاحات فى النظام الخرب إلا أن إصلاحاته تلك لم تكن تسهم إلا فى زيادة الموقف تعقيدا وأسفر ذلك عن أن المستويات القيادية الروسية الأعلى كانت غير راضية عن تلك الإصلاحات فكانوا ببساطة يتجاهلونها وكان المحيطون بالقيصر يعلنون عن رفضهم لممارسات القادة مما ساهم فى جعل الوضع أكثر سوءا وهو ما سيدفع الجيش الروسى ثمنه فيما بعد غير

ويشبه الفوج القتالى فى العصر الحديث اللواء من حيث إن كلا منهما من ناحية الحجم يتكون تقريبا من خمسة آلاف فرد يتوزعون على ثلاثة إلى سبعة كتائب وعادة ما تضم الفرقة عدة افواج وتختلف الأفواج فى العصر الحالى من دولة إلى أخرى من حيث الحجم والمهمة والدور الإدارى وبعض الدول لا تطبق مثل ذلك الهيكل فى جيوشها وبالمقارنة بين الجيوش الأوربية القديمة والحديثة نجد أن الجيش الذى يتكون من أفواج يختلف عن نظيره القديم حيث كانت الفرقة هى الوحدة الوظيفية فى الجيش بحيث يكون قائد الفرقة هو المسئول عن الجوانب الإدارية فى الفرقة وعن التدريب والضباط والجنود وقادة وحدات الفرقة المختلفة بينما يكون قادة الألوية والكتائب هم قادة تالون لقائد الفرقة فى سلسلة القيادة بيما فى نظام الأفواج يكون كل فوج مسئولا عن الانتقاء والتدريب والإدارة ويختلف ذلك بالطبع من دولة إلى أخرى

أن الروس كان لديهم قوات مدفعية على مستوى جيد وكان رجال المدفعية الروسية يقاتلون بضراوة لمنع العدو من الاستيلاء على قطع المدفعية الخاصة بهم واعتمد نظام الإمداد للجيش الروسى على السكان المحليين وعلى الحلفاء النمساويين وكانت نسبة سبعين بالمائة من الإمدادات الروسية يقوم النمساويون بتوفيرها وبدون نظام ثابت وخطوط إمداد منظمة ومع خطوط الإمداد الممتدة كان من الصعب على الجنود الروس أن يحافظوا على جاهزيتهم القتالية وعلى صحتهم كذلك.

الجيش النمساوى

كانت الحروب المستمرة من عام ١٧٩٢ والتى دامت لمدة عقد قد أدت إلى إفلاس الخزانة النمساوية تقريبا وتقلصت النفقات الدفاعية إلى النصف بحلول عام ١٨٠٤ وتم حل الكثير من تشكيلات الجيش النمساوى والذى كان يقدر عدده بثلاث مائة وخمسين الفا من الجنود والضباط لتوفير نفقاتهم وتم حل عدد من أطقم المدفعية كوسيلة أخرى لتوفير النفقات وكان الأرشيدوق شارل Charles شقيق إمبراطور النمسا قد بدأ فى إجراء إصلاحات فى الجيش النمساوى بدءا من عام ١٨٠١ عن طريق نزع السلطة من مجلس الحرب الإمبراطورى **Hofkriegsrat** وكان ذلك المجلس هو الكيان العسكرى والسياسى المسئول عن صنع القرار داخل القوات المسلحة النمساوية وكان الأرشيدوق شارل هو أفضل القواد الميدانيين فى النمسا فى ذلك الوقت ولكنه لم يكن محبوبا فى الدوائر المسئولة عن صنع القرار فى القصر الإمبراطورى النمساوى علاوة على أنه فقد ما تبقى له من شعبية عندما قررت النمسا الدخول فى حرب ضد فرنسا وحل محله كارل ماك والذى أصبح قائدا لجيوش النمسا وعشية الحرب قام بإجراء إصلاحات فى الجيش تقضى بأن يتشكل فوج المشاة من أربع كتائب تحتوى كل منها على أربعة سرايا منهيا بذلك النظام القديم الذى كان الفوج بمقتضاه يتكون من ثلاث كتائب تحتوى كل منها على ست

سرايا وتم إجراء ذلك التغيير المفاجئ بدون أن يكون هناك ضباط مدربين لذلك الغرض وكانت تلك أول المشاكل الثلاثة التى واجها كارل ماك والثانية هى أن تسليح جنود المشاة كان بندقية الماسكيت من طراز فلينته Flinte والتى يرجع طرازها إلى عام ١٧٥٤ والتى كان طراز البندقية التى يحملها الجنود الفرنسيون متقدما عنها بثلاثة وعشرين سنة وبالطبع كانت تعطى نتائج افضل وهو أمر ظهر بوضوح فى ميدان المعركة أما الأمر الثالث وهو أن قوات المشاة النمساوية كان يعوزها الانضباط إلى حد كبير فلم يكن الجنود يتخلون عن عادة تغيير صفوفهم أو طوابيرهم بحيث لم يكن القادة على علم بجنودهم فى أغلب الأحوال وضاعفت الإصلاحات الجديدة والتى كانت وبلا شك ستصبح تغييرا إيجابيا فى ظروف أخرى من سوء الوضع وكنتيجة لذلك أصبحت قيادة تلك التشكيلات الجديدة تتم بشكل أقل كفاءة مما كان يمكن لو كانت النمسا قد احتفظت بالنظام القديم وكان سلاح الفرسان النمساوى يعتبر الأفضل على الإطلاق فى أوربا ولكن فصل تشكيلات الفرسان إلى مفارز أصغر حجما وتوزيعها على تشكيلات المشاة قلل إلى حد كبير من كفاءتها وكانت هناك مشكلة أخرى فيما يخص المشاة وهى أنهم كانوا قد أتوا من أماكن كثيرة من أرجاء الإمبراطورية النمساوية مما زاد من مشاكل التكيف والتفاهم بين الجنود وكانت النتيجة النهائية لذلك الوضع هى فوضى شديدة أثارت الدهشة حتى بين جنرالات القوات الروسية التى لم تكن تتمتع بانضباط عال فى ذلك الوقت.

كانت تلك الجيوش هى الجيوش التى وقفت أمام جيش نابوليون فى معركة أوسترليتز والى حد كبير فإن نتيجة المعركة تبدو معروفة مسبقا خصوصا مع التنظيم الجيد الذى كان يتمتع به جيش نابوليون وحرفية ضباطه بالمقارنة بمستوى ضباط كل من الجيشين الروسى والنمساوى هذا بالإضافة إلى البراعة التكتيكية التى كانت تميز نابوليون عن قادة الجيشين وتفوق المدفعية الفرنسية فى ذلك الوقت والتكتيكات الحديثة التى كان

المدفعية الفرنسية قادرة على تنفيذها.

التمهيد

منذ شهر مايو من عام ١٨٠٤ بدأ نابوليون يتنبه للتهديد الذى يمثله التحالف الروسى النمساوى على فرنسا فبدأ بتحويل انظار جيشه من القتال الإنجليزى إلى الراين وبعد زحف تم فى سرية بالغة وصلت مائتا ألف من القوات الفرنسية إلى شاطئ نهر الراين وبدءوا فى عبوره على جبهة تمتد لمائتى وستين كيلو مترا وكان كارل ماك قد جمع جزءا كبيرا من القوات النمساوية فى قلعة اولم Ulm فى إقليم شفابن Swabia وتحول نابوليون بقواته إلى الشمال وقام بمناورة وضعت القوات الفرنسية عند مؤخرة القوات النمساوية وكانت مناورة أولم قد نفذت ببراعة مما أجبر ثلاثة وعشرين ألفا من القوات النمساوية على الاستسلام مما جعل العدد الإجمالى للأسرى النمساويين أثناء الحملة كلها يبلغ ستين ألفا واستمر الفرنسيون فى زحفهم محققين نجاحات كبيرة حتى سقطت فيينا فى نوفمبر وحصل الفرنسيون على غنائم الحرب والتى تمثلت فى مائة ألف بندقية ماسكيت وخمس مائة مدفع وجسرا سليما يعبر نهر الدانوب وفى نفس الوقت كان تأخر القوات الروسية بقيادة كوتوزوف فى الوصول قد حرم النمساويين من دعم ثمين ومنع الروس من إنقاذ الجيش النمساوى ولذلك تحرك الروس إلى الشمال الشرقى لانتظار التعزيزات وليتصلوا مع ما تبقى من الوحدات النمساوية وتبعهم الفرنسيون ولكنهم وجدوا أنفسهم فى وضع لا يمكن تجنبه فنوايا البروسيويين غير معروفة وقد يقررون الانضمام إلى التحالف الروسى النمساوى والجيشان الروسى والنمساوى قد اتصلوا ببعضهم البعض الآن ومما زاد من تعقيد الموقف بالنسبة للفرنسيين أن خطوط مواصلات قد أصبحت طويلة جدا وتطلب الأمر الدفاع عنها بحاميات قوية للإبقاء عليها مفتوحة وقدر نابوليون أن الوسيلة الوحيدة للخروج من ذلك المأزق هو إجبار الحلفاء على الدخول فى معركة

وهزيمتهم فيها ولحسن حظه كان القيصر الروسى متحمسا للقتال وكان بمقدور نابوليون حشد خمسة وسبعين ألفا من القوات ومائة وسبة وخمسين قدعة مدفعية للمعركة المقبلة على الرغم من أنه كانت هناك قوات عددها سبعة آلاف رجل تحت قيادة الجنرال دافو Davout وكانت تلك القوات ما تزال بعيدة ولم تتصل بعد بالقوات الفرنسية الأخرى وكان لدى الحلفاء مجتمعين ثلاثة وسبعين ألفا من الجنود موزعين بنسبة سبعين فى المائة من الروس والثلاثين بالمائة الباقية من النمساويين بالإضافة إلى ثلاثمائة وثمانية عشر قطعة مدفعية.

الميدان

دارت المعركة على بعد ستة أميال إلى الجنوب الشرقى من مدينة برنو **Brno** الواقعة حاليا فى حدود جمهورية التشيك وكان الجزء الشمالى من ميدان القتال يسيطر عليه تل يحمل اسم سانتون Santon وارتفاعه مائتان وعشرة أمتار وتل زوران Zuran وارتفاعه مائتان وستون مترا ويطل كل منهما على طريق برنو - أولموتس **Olmutz**/Brno الحيوى وإلى الغرب من التلين تقع قرية بيلوفيتس Bellowitz وبينهما نهر بوسينيتس Bosenitz والذى يجرى إلى الجنوب ليتصل بنهر جولدباخ Goldbach والذى يحيط بقرى كوبيلنيتس Kobelnitz وسوكولنيتس Sokolnitz وتيلنيتس Telnitz وكانت مرتفعات براتسن Pratzen تقع فى وسط تلك المنطقة تماما وهى عبارة عن تل ينحدر بشكل خفيف وارتفاعه حوالى اثنى عشر مترا وقد قرر أحد مساعدى نابوليون أنه سمع نابوليون يقول لقواده، اختبروا تلك الأرض جيدا يا سادة فإنها ستكون موقعا لمعركتنا القادمة وعليكم أن تلعبوا دورا مهما فيها.

خطط الحلفاء

اجتمع مجلس من الحلفاء فى الأول من ديسمبر ليناقش الخطط والمقترحات المقدمة للمعركة القادمة وكان لدى معظمهم فكرتين

أساسيتين، تحقيق اتصال مع العدو وتأمين الجناح الجنوبى الذى يؤدى إلى فيينا وبالرغم من أن القيصر الروسى والمحيطين به كانوا يلحون للقتال إلا أن فرانسيس Francis إمبراطور النمسا كان أكثر حذرا وكان كوتوزف يؤيده فى رأيه إلا أن الضغط الدافع للقتال من قبل النبلاء الروس والقادة النمساويين كان أقوى بكثير من رأى الاثنين وعين الحلفاء الجنرال فرانتس فون فييروتر Franz von Weyrother والذى دعا إلى الاندفاع بالقوات الأساسية باتجاه ميمنة القوات الفرنسية والتى لاحظ الحلفاء أنها كانت محمية بصورة خفيفة وهجمات تضليلية على الميسرة الفرنسية ونشر الحلفاء معظم قواتهم فى أربعة طوابير تقوم بمهاجمة الميمنة الفرنسية وكان الحرس الإمبراطورى الروسى قد تم الاحتفاظ به كاحتياطى بينما كانت القوات الروسية بقيادة باجراتسيون Bagration تقوم بحماية ميمنة الحلفاء.

خطط الفرنسيين

قبل أيام من نشوب المعركة بين الجانبين أعطى نابوليون للحلفاء الانطباع بأن قواته فى حالة سيئة وتعانى من الضعف وبأنه يرغب فى التفاوض من أجل السلام وفى الحقيقة كان يأمل أن يبدءوا هم بالهجوم ولإغرائهم بالبدء بالهجوم قام عمدا باضعاف ميمنته[91] وفى الحادى عشر

[91] فى الفصل الأول من كتاب فن الحرب يؤكد على مبدأ عسكرى مهم وهو الخداع فيقول فى الفقرة ١٦ " تعتمد كل الحروب على الخداع " وفى الفقرة ١٧ يقول " وعلى ذلك فحينما نكون قادرين على الهجوم يجب أن نبدوا غير قادرين وعند استخدامنا لقواتنا يجب أن نظهر بشكل غير نشط وعندما نكون قريبين علينا أن ندخل فى روع العدو أننا بعيدين جدا وعندما نكون بعيدين علينا إقناع العدو بأننا قريبين " ثم يختم ملاحظاته فى هذا الموضوع فى الفقرة ١٨ بقوله " لوح بالطعم لجذب العدو، تظاهر بالفوضى واسحقه " وفى الفصل الخامس بعنوان الطاقة يتكلم سون تزو باستفاضة وفى أكثر من فقرة عن نفس الموضوع ونظرا لأهمية الموضوع وثراء الأمثلة التى وردت فى فن الحرب فضلت أن أوردها هنا ففى الفقرة ١٨ يقول " إن إخفاء النظام تحت عباءة

الفوضى هو فقط مسألة التقسيم الفرعي للقوات وإخفاء الشجاعة بادعاء الوجل يفترض مسبقا رصيدا من الطاقة الكامنة وستر القوة بالضعف يتم عن طريق الأوضاع التكتيكية " ويعلق تو مو على تلك الفقرة بقوله إن رؤية أننا في وضع ذى أفضلية ومع ذلك لا نتحرك فإن ذلك يجعل العدو يعتقد بأننا نخشاه حقا ويسرد تشانج يو الواقعة التالية عن كاو تسو Kao Tsu أول إمبراطور للهان والذى أراد أن يسحق شيونج نو Xiong Nu فارسل جواسيسه ليستطلعوا أحواله ولكن شيونج نو الذى كان قد أخذ الحذر مسبقا أخفى كل رجاله الأقوياء جسمانيا وجياده التى تمت تغذيتها جيدا وأظهر فقط الجنود المرضى وخيوله الهزيلة وكانت النتيجة أن أوصى الجواسيس أن يقوم الإمبراطور بشن الهجوم ولم يعارضهم غير أحد مستشاريه ويدعى لوو تشينج Lou Ching قائلا عندما تتحارب دولتان فإنهما غالبا ما تميلان إلى استعراض قوتهما أما جواسيسنا فلم يروا إلا كهولا ومرضى فلا بد أن تكون تلك خدعة من جانب العدو وسيكون من عدم الحكمة أن نهاجم إلا أن الإمبراطور تجاهل تلك النصيحة ووقع فى الفخ ليجد قواته محاصرة عند موقع يسمى بو تنج Po Teng فيما بعد وهو تقريبا الشىء نفسه الذى فعله نابوليون فى تلك المعركة عندما أضعف ميمنته عمدا ولكنه فى نفس الوقت كان يحتفظ بترابط قواته وبدرجة عالية من الانضباط وهو ما مكنه من تنفيذ مناورته التى ربح بها المعركة وفى الفقرة التالية يقول " وهكذا فإن القائد الذى يبرع فى جعل العدو يتحرك يستمر فى الاحتفاظ بمظاهر خداعية يتصرف العدو على أساسها فهو يضحى بشىء لينتزعه العدو " ويقول تساو كونج قم بإظهار الضعف والرغبة فى القتال بينما يعلق تو مو على تلك الفقرة بقوله إذا حدث وكانت قواتنا متفوقة على قوات العدو فإنه يمكننا التظاهر بالضعف لإغرائه ولكن إذا كانت أقل فيجب علينا أن ندفعه إلى الاعتقاد بأننا اقوياء فقد يجبره ذلك على تحاشى القتال معنا (مثلما حدث فى غزوة مؤتة والتى سبق الحديث عنها) وفى الحقيقة فإن كل تحركات العدو يجب أن تتقرر بناء على الإشارات التى نعطيه إياها وهناك واقعة شهيرة فى التاريخ الصينى حيث حدث أن كان سون بين وهو أحد أحفاد سون تزو يقود جيش دولة تشى Chi والتى كانت فى حالة حرب مع دولة وى Wei فقال سون بين Sun Bin إن دولة تشى تتمتع بسمعة سيئة من الجبن ولذا فإن خصمنا يحتقرنا دعونا نستغل تلك النقطة لصالحنا وعليه وعندما عبر الجيش الحدود إلى داخل دولة وى فقد أصدر أوامره بإشعال مائة ألف شعلة فى الليلة الأولى ثم خمسين الف شعلة فى الليلة الثانية ثم عشرين الف شعلة فى الليلة الثالثة (ليوحى للقائد المعادى بأن أعدادهم تتناقص وأن الجنود يهربون وعلى الفور قام بانج

من نوفمبر اجتمع نابوليون مع مارشالاته فى مقر قيادته وأعرب له هؤلاء عن شكوكهم فى نتيجة المعركة المقبلة بل إنهم حتى اقترحوا عليه الانسحاب ولكنه لم يبد أدنى قدرٍ من المبالاة بتلك الاعتراضات وكان نابوليون قد تنبأ بأن الحلفاء سوف يلقون بقوات كبيرة لمحاصرة ميمنته بحيث يضعف ذلك من منطقة القلب إلى حد كبير وبنى خطته على هذا الأساس واعتمد بعد ذلك على توجيه ضربة شديدة للوسط تشل جيش الحلفاء وأن يقوم ستة عشر الفا من جنود الفيلق الثالث بتوجيه تلك الضربة ولتقوية ميمنته الضعيفة أمر نابوليون الفيلق الثالث بقيادة دافو بأن يسرع فى السير كل الطريق من فيينا ويتصل بقوات الجنرال لوجران والذى كان يحتل برجاله اقصى مواقع الجناح الجنوبى والذى كان مقررا أن يتحمل العبء الأكبر فى صد هجوم الحلفاء وكان على جنود دافو أن يقطعوا مائة وعشرة كيلو مترا فى يومين وكان وصولهم مهما للغاية لنجاح الخطة الفرنسية وكان الحرس الإمبراطورى والفيلق الأول بقيادة برنادوتBernadotte يمثلون احتياطى القوات الفرنسية بينما كان الفيلق الرابع بقيادة لانLannes يقومون بحماية القطاع الشمالى لميدان

تشوان بمطاردتهم بشكل محموم ممنيا نفسه بالانتصار القادم ووصل سون بين أثناء انسحابه إلى ممر ضيق وكان قد أعد حساباته على أساس أن مطارديه سيصلون إليه بحلول الظلام فوجد شجرة عراها من لحاها وكتب عليها عند هذه الشجرة سيموت بانج تشوان وقبيل حلول الظلام وضع مجموعة من الرماة الأقوياء فى فخ قريب وأصدر لهم الأمر بإطلاق سهامهم مباشرة عند رؤيتهم للضوء ووصلت بالفعل قوات بانج تشوان ولاحظ وجود الشجرة ووجود كتابة عليها فأمر بإشعال النار لقراءة ما هو مكتوب عليها فانصب عليه وابل من السهام أرداه قتيلا فأصابت الفوضى جيشه وتلك هى رواية تو مو للمعركة أما رواية شى تشى فهى أقل دراماتيكية ولكنها أقرب للحقائق التاريخية حيث يقول إنه وفى نهاية المعركة ذبح بانج تشوان نفسه بعد استئصال قواته وفى الفقرة ٢٠ يختم سون تزو الموضوع بقوله " عن طريق التلويح بالطعم يجعل عدوه يسير ثم يقبع وينتظره مع قواته "

المعركة.

بداية المعركة

بدأت المعركة فى حوالى الساعة الثامنة صباحا عندما بدأ طابور الحلفاء الأول يهاجم قرية تيلنيتس والتى كان يدافع عنها الفيلق الثالث وقد شهد هذا القطاع من الميدان قتالاً ضاريا حين نجح الحلفاء على أثر عدة هجمات فى إخلاء القرية من الفرنسيين ودفعهم باتجاه الجانب الآخر من جولدباخ وفى تلك اللحظات وصلت طليعة رجال دافو ودفعوا بالحلفاء خارج تيلنيتس قبل أن يغادروا القرية مرة أخرى واستهدفت المدفعية الفرنسية هجمات أخرى للحلفاء خارج تيلنيتس وبدأت طوابير الحلفاء فى الانقضاض على الميمنة الفرنسية ولكنها لم تكن بالسرعة المطلوبة لذلك نجح الفرنسيون فى احتواء تلك الهجمات وفى الحقيقة كانت وضع تشكيلات الحلفاء خاطئ ويعيبها التوقيت فعلى سبيل المثال كان من المفترض ان تنتقل مفرزة الفرسان الموجودة على ميسرة الحلفاء بقيادة ليشتنشتاين إلى الميمنة وفى أثناء عملية الانتقال انطلقوا باتجاه الطابور الثانى للمشاة الذى كان يتقدم باتجاه الميمنة الفرنسية وتسببوا فى إبطاء حركته وفى نفس الوقت كانت طلائع الطابور الثانى تهاجم قرية سوكولنيتس والتى كان يدافع عنها الفوج السادس والعشرين وفشل الهجوم الأول وامر الجنرال لانجيرون Langeron بقصف القرية وقد اجبر ذلك القصف الفرنسيين على التراجع إلى خارج القرية وفى نفس الوقت تقريبا هاجم الطابور الثالث قلعة سوكولنيتس غير ان الفرنسيين قاموا بهجوم مضاد ونجحوا فى استعادة القرية ليتكرر الأمر ويغادروا القرية ثانية وقد انتهى القتال فى تلك المنطقة عندما نجح جزء من الفيلق الثالث بقيادة فريان Friant فى استرجاع القرية وكانت منطقة سوكولنيتس هى أكثر المناطق التى دار فيها قتال ضار خلال اليوم وفى حوالى الساعة الثامنة وخمسة وأربعين دقيقة أصبح نابوليون راضيا عن التقدم الذى تم إحرازه فى سير

الخطة وأيقن من أن القلب قد وصل إلى مرحلة الضعف المرجوة فسأل المارشال سو Soult كم من الوقت سيستغرق الرجال للوصول إلى مرتفعات براتسن وأجابه المارشال فى عشرين دقيقة يا سيدى وبعد ذلك بخمسة وعشرين دقيقة أمر بونابرت بالهجوم على مرتفعات براتسن وهى التى كان يقع بها قلب قوات الحلفاء قائلا " ضربة قوية وتنتهى الحرب " وكان حظ الفرنسيين حسنا عندما ساعد الضباب الكثيف فى ستر تقدم فرقة سانت إيلير St. Hilaire ولكن عندما صعدوا المنحدر مزقت الشمس الضباب فاندفعوا إلى الأمام وأصيب القادة والجنود الروس الذين كانوا يحتلون المرتفعات بالذهول عندما رأوا عددا كبيرا من قوات الفرنسيين يتقدم باتجاههم ودفع الحلفاء بالطابور الرابع الذى كان من المقرر أن يهاجم الميمنة الفرنسية والذى تخلف عن الهجوم وفى خلال ساعة تحطم ذلك الطابور وشارك رجال الطابور الثانى فى تلك المعركة وكان معظم رجاله عديمى الخبرة مما قلب التوازن العددى وأجبر الفرنسيين على الانسحاب إلى أسفل المرتفعات غير أن رجال ايلير اندفعوا مرة أخرى بأسلحتهم البيضاء وأجبروا الحلفاء على مغادرة المرتفعات وفى الشمال هاجمت فرقة الجنرال فاندام Vandamme منطقة تعرف باسم ستاريه فينوهرادى Staré Vinohrady ونجحوا فى تمزيق عدد من كتائب الحلفاء برصاصاتهم وتحول مسار المعركة بوضوح لصالح الفرنسيين ولكنها كانت ما تزال بعيدة حتى الآن عن الانتهاء وامر نابوليون الفيلق الأول بقيادة برنادوت بدعم ميسرة فاندام ونقل مركز قيادته من تل زوران إلى كنيسة سانت انتونى على مرتفعات براتسن ولما أصبح الحلفاء فى موقف صعب قرروا إرسال الحرس الإمبراطورى الروسى بقيادة الدوق قسطنطين شقيق القيصر فقام ذلك الأخير بشن هجوم مضاد فى قطاع الجنرال فاندام وخسر الفرنسيون كتيبة فى ذلك القتال فأمر نابوليون الفرسان الثقيلة التابعة للحرس الإمبراطورى بالتقدم وتمكن هؤلاء من

سحق نظرائهم الروس ولكن مع ازدياد أعداد الفرسان التى يضخها كل من الجانبين فى المعركة لم يكن من الممكن التوصل إلى إنتصار حاسم وكان الروس يتفوقون عدديا ولكن الكفة انقلبت عندما نشر درويه فرقته التابعة للفيلق الثانى بقيادة برنادوت على جانب منطقة العمليات مما سمح للفرسان الفرنسيين أن يبحثوا عن ملجأ خلف خطوطهم وأعدت مدفعية الفرسان قصفة شديدة صبتها على الفرسان ورماة البنادق الروس وانكسر الصف الروسى ومات الكثيرون أثناء مطاردة الفرسان الفرنسيين لهم والذين أصبحوا وكأنما بعثوا من جديد بعد قصف المدفعية وطاردوا جنود المشاة الروس المنسحبين لمسافة كيلو متر تقريبا

نهاية المعركة

فى نفس الوقت الذى دارت فيه تلك الأحداث شهد الجزء الشمالى من ميدان المعركة قتالا عنيفا وبدأ تشكيل الفرسان الذى يقوده الأمير ليشتنشتاين بمهاجمة تشكيلات الفرسان الخفيفة بقيادة كيليرمان وكان القتال فى البداية يدور لصالح الفرنسيين ولكن قوات كيليرمان سرعان ما اتخذت ساترا خلف فرقة مشاة الجنرال كافاريللى بمجرد ما اتضح تفوق الأعداد الروسية وأوقف رجال كافاريللى الهجوم الروسى وسمحت لمراد بإرسال فرقتين من الفرسان المدرعين واحدة يقودها دوبول D'hautpoul والثانية بقيادة نانسوتى Nansouty لتزداد حدة المعركة وليقضوا على الفرسان الروس للابد وتبع ذلك قتال متلاحم مرير وطويل ولكن الفرنسيين انتصروا فى نهاية الأمر وحينئذ قاد لان قواته ضد رجال باجراتسيون وبعد قتال عنيف تمكن من دفع القائد الروسى المحنك خارج ميدان القتال وأراد أن يطارده ولكن مراد والذى كان مسئولا عن ذلك القطاع رفض الفكرة وتحول انتباه نابوليون الآن إلى الطرف الشمالى لميدان المعركة حيث كان الفرنسيون والحلفاء ما يزالون يتقاتلون حول تيلنيتس وسوكولنيتس، وفى هجوم كفء شق كل من فرقة الجنرال سانت إيلير

وجزء من فيلق دافو السابع طريقهما عبر قوات الحلفاء فى سوكولنيتس وهو الأمر الذى أقنع قائدى الطابورين الهجوميين الجنرال كينماير Kienmayer والجنرال لانجيرون Langeron بالفرار بأسرع ما يمكنهما أما بوكسهوفدين قائد ميسرة الحلفاء فكان سكران بالكامل ولاذ هو الآخر بالفرار وغطى كينماير انسحابه بفرسان أوريلى O'Reilly الخفيفة والتى نجحت ببسالة فى هزيمة خمسة أفواج من أصل ستة افواج فرسان فرنسية قبل أن تنسحب بدورها وأصبح الذعر الآن يسيطر على جيش الحلفاء وبدأ يغادر ميدان المعركة فى كل اتجاه ممكن وكان من أكثر أحداث المعركة دراماتيكية عندما انسحبت القوات الروسية المهزومة إلى الجنوب باتجاه فيينا عبر بحيرات ساتشان Satschan المتجمدة وقامت المدفعية الفرنسية باستهداف التجمعات الروسية وتسبب القصف المدفعى فى كسر طبقة الجليد التى تغطى سطح البحيرة وانهارت الأرض فجأة تحت أقدامهم وعلت صرخات الروس على دوى طلقات المدافع الفرنسية وغرق الجنود الروس بمدافعهم وأسلحتهم فى مياه البحيرات وتتراوح تقديرات الخسائر فى تلك الواقعة ما بين مائتى قتيل حسب بعض المصادر إلى الفين حسب مصادر أخرى أما عن المدفعية فتتراوح بين ٣٨ قطعة مدفعية إلى مائة قطعة وفق مصادر أخرى لأن نابوليون كان يميل للمبالغة وقد بالغ كثيرا فى أعداد القتلى فى تلك الواقعة وقبلها الروس فى صمت كتبرير مقبول للهزيمة الكارثية التى منوا بها وقد تكون الأرقام الأقل أكثر منطقية وقبولا وساهم الجنود فى إنقاذ[92] بعض الجنود الروس الذين كانوا على وشك الغرق وقد غيرت معركة أوسترليتز خريطة أوربا وسياستها

---

[92] هناك شك حول الرواية الفرنسية للواقعة فقد نشر فيما بعد أن نابوليون أصدر أوامره بتجفيف البحيرات والبحث داخلها ولم يتم العثور سوى على جثتين أو ثلاث جثث وحوالى مائة وخمسة وثلاثين جوادا الأمر الذى يشكك فى مصداقية الرواية الفرنسية ويدفع البعض إلى الاعتقاد بأن نابوليون اختلق القصة بالكامل.

بالكامل ففى خلال ثلاثة أشهر فقط كان نابوليون بونابرت قد احتل فيينا عاصمة إمبراطورية النمسا ودمر جيشها إضافة إلى الجيش الروسى وجعلت فرنسا على رأس أوربا لمدة قاربت العشر سنوات ودفعت ببروسيا إلى الحرب ضد فرنسا فيما بعد فى عام ١٨٠٦ وكانت خسائر الحلفاء فى تلك المعركة سبعة وعشرون ألفا من اصل ثلاثة وسبعين ألفا من الجنود والضباط وهو ما يمثل نسبة سبعة وثلاثين بالمائة من قواتهم وفقد الفرنسيون تسعة آلاف من قواتهم التى كانت تبلغ عند بداية الحملة سبعة وستين ألفا وهو ما يمثل نسبة ثلاثة عشر بالمائة من أصل القوة الفرنسية كذلك فقد الحلفاء ١٨٠ قطعة مدفعية وخمسين راية وقوبل خبر الانتصار بهياج عام فى باريس فمنذ أيام قبل المعركة كان فرنسا تعانى من أزمة مالية طاحنة وكتب نابوليون إلى جوزفين زوجته يتباهى بانتصاره قائلا " لقد سحقت الجيش الروسى النمساوى الذى يقوده اثنان من الأباطرة وأنا متعب للغاية .. أحضانى " وعلق قيصر روسيا أليكساندر الأول على الهزيمة القاسية التى تلقتها قواته على يد جيش نابوليون قائلا " إننا أطفال فى إيدى عملاق " وفى الرابع من ديسمبر وقعت كل من فرنسا والنمسا اتفاقية بريسبورج والتى تنص على قيام هدنة بين الدولتين وهى الهدنة التى أخرجت النمسا فعليا من الحرب واعترفت النمسا بالأراضى التى استولت عليها فرنسا بموجب معاهدة سابقة وتنازلت عن إقليمى بادن وفورتيمبورج لبافاريا والتى كانت حليفة لنابوليون كذلك دفعت النمسا أربعين مليونا من الفرانكات كتعويضات عن خسائر الحرب وتنازلت عن البندقية لتنضم إلى جمهورية إيطاليا وسمح للجيش الروسى بالانسحاب إلى وطنه وعسكر الفرنسيون فى جنوب ألمانيا واسس نابوليون تحالف الراين بعد ما انتهت إلى الابد الإمبراطورية الرومانية التى كانت ما تزال موجودة اسميا فى ذلك الوقت وكان المقصود من تحالف الراين أن يكون حاجز بين فرنسا وبروسيا وكان ذلك من ضمن الدوافع التى قادت بروسيا إلى الدخول فى

الحرب مع فرنسا فيما بعد.

معركة واترلو

كانت معركة واترلو التى دارت بين قوات نابوليون بونابرت و و قوات التحالف الانجلو بروسى فى عام ١٨١٥ من اهم الاحداث التى شهدتها اوربا فى تاريخها الحديث حيث تشببت تلك المعركة فى تشكيل الخارطة السياسية لاوربا و قضت تماما على الامبراطورية الفرنسية و على طموحات نابوليون بونابرت فى بسط السيطرة الفرنسية على القارة الاوربية و بعد تلك المعركة سادت اوربا فترة من السلام دامت لحوالى نصف القرن و انتهت بها قصة صعود نابوليون الى السلطة و الساحة السياسية الاوربية و اضطر الى الذهاب الى منفاه فى جزيرة سانت هيلانة و كما ان لكل دولة فترة صعود و فترات هبوط فيمكن القول ان فترة حكم نابوليون لفرنسا كانت نصيب فرنسا من الصعود التاريخى و بعدها لم تقم لها قائمة ابدا كدولة عظمى و بعد عودة نابوليون بونابرت الى فرسنا من حملته على مصر قاد حملة ضد الادارة الحاكمة فى فرنسا و نجح فى اعتلاء عرشها و نصب نفسه امبراطورا على فرنسا و كل مستعمراتها فى عام ١٨٠٤ و اصبح الآمر الناهى فى اوربا و كانت حملته على روسيا بداية الانهيار الكبير الذى اصاب جيشه و قوته العسكرية و بدأ نجمه فى الافول شيئا فشيئا و بدأت قدراته العسكرية فى التآكل ، صحيح ان واترلو لم تكن هى المعركة الوحيدة التى افقدت فرنسا مكانتها تلك فى اوربا و التى حفرها نابوليون و لكنها كانت القشة التى قسمت ظهر البعير فقد كانت جيوش فرنسا تتلقى الضربات فى كل مكان تضع قدمها به ؛ فشلت الحملة الفرنسية على مصر و فشلت اهداف نابوليون فى الوصول الى الهند و فى روسيا القيصرية تلقى بونابرت اعنف هزائمه على الاطلاق فقد تم سحق جيشه تقريبا فى عدة معارك متوالية ثم تكفل الجليد و الجوع و طول المسافة بالباقى و فى اسبانيا و البرتغال كان الاسبان و البرتغاليون يشنون

حربهم على قوات فرنسا هناك و فى البحر خسر نابوليون معظم اسطوله امام خصمه العنيد نلسون مرة فى ابى قير و المرة الاخرى فى ترافلجار Trafalgar بعدها بسنوات فى عام ١٨٠٥ ، و كان بونابرت فى خلال مسيرته التى سعى فيها للسيطرة على اوربا قد خلق كثيرا من الاعداءالذين رأوا ان السبيل الوحيد لهزيمته يكمن فقط فى التحالف حيث لم يكن بمقدور اى من تلك الدول ان تواجه فرنسا منفردة فى ذلك الوقت و لكن نابوليون تمكن من هزيمة القوات المتحالفة مرة تلو الاخرى لم تكن واترلوا الا محصلة محطات كثيرة قبلها من الهزائم ، كانت معركة فاصلة و لكن حجم نتائجها انبنى بشكل كبير على مراحل متراكمة صغيرة قبلها ، كانت واترلو هى ضربة السيف التى تقطع الاوتار التى تحتفظ بالذراع الذى ظل معلقا الى الجسد بعد عدة ضربات و لكن نابوليون كان شخصا عنيدا مثابرا فمن العجيب ان جيوش الحلفاء كانت قد هزمت نابوليون فى معركة لايبتسيج Leipzig فى شهر اكتوبر من عام ١٨١٣ و اضطر نابوليون الى التنازل عن عرشه فى الاول من ابريل من عام ١٨١٤ و تم نفيه الى جزيرة البا Elba قرب كورسيكا Corsica و وضع هناك تحت الحراسة لئلا تراوده الاطماع مرة اخرى فقد كانت اوربا ما تزال تخشاه و لكنه نجح فى الهرب من الجزيرة بصورة مفاجئة بعد اقل من عام فى المنفى و عاد الى فرنسا ليسيطر على مقاليد الامور بها مرة اخرى و لينشر الرعب فى اوربا من جديد بعد ان هزم جيش الملك لويس الثامن عشر الذى اعاده الحلفاء الى عرشه و تمكن من دخول باريس منتصرا بعد ان اخذت القوات الملكية الفرنسية تترك مواقعها و تنضم الى بونابرت اثناء زحفه على العاصمة الفرنسية و فى العشرين من شهر مارس عاد بونابرت رسميا الى عرش فرنسا من جديد و وصلت تلك الانباء المزعجة الى قادة التحالف و الذى ضم كل من انجلترا و بروسيا و النمسا و روسيا القيصرية ، كان قادة التحالف مجتمعين فى النمسا عندما وصلتهم تلك الانباء و اتفقوا بناءا على

ذلك على ان توفر كل دولة مائة و خمسين الفا من الجنود يتم ارسالهم الى بلجيكا تمهيدا للقيام بعملية عسكرية تهدف الى غزو فرنسا و القضاء نهائيا على قوة نابوليون قبل ان يستفحل امره على ان تبدأ عملية الغزو فى الاول من شهر يوليو من العام نفسه بعد استكمال عملية الحشد ، يضاف الى ذلك ان دولا اخرى اوربية صغيرة وعدت بارسال قوات اصغر حجما و بالطبع لم تكن اخبار تلك الاستعدادات لتخفى على بونابرت الذى كان يتوقع رد فعل كهذا فقرر المسارعة بالانطلاق بقواته شمالا و لقاء العدو على ارض بلجيكا و تدمير جيش التحالف السابع قبل ان يستكمل استعداداته ، كان ذلك القرار من الناحية العسكرية صائبا فى حد ذاته حيث انه بذلك سينقل المعركة الى خارج ارضه و بالتالى تقاتل قواته و هى غير مثقلة بتلك الاعباء المعنوية التى تثقل القوات التى تدافع عن اراضيها و فى نفس الوقت سيقوم بهجومه على الجيش المعادى قبل ان يستكمل عملية حشد القوات و هو ما يوفر له ميزة المبادأة و كان قراره ذلك شبيها بقرار خالد بن الوليد قبيل معركة الولجة فى العراق فى عام ٦٣٣ ميلادية ضد قوات الامبراطورية الفارسية آنذاك حيث كان عليه ان يلتقى مع جيش فارسى قبل ان يستكمل الجيش الآخر عملية الحشد و لا يصبح بمقدوره قتال الجيشين معا.

القوات

قوات فرنسا

كانت قوات نابوليون بونابرت تتكون من جيش الشمال L'Armée du Nord تحت قيادته و رئيس اركانه الميجور جنرال نيكولا جان دو ديو سول Nicolas Jean de Dieu Soult و يقود جناح الايسر المارشال ميشل نيى Michel Ney و يتكون من الفيلق الاول مشاة الذى يتكون بدوره من الفرق الاولى و الثانية و الثالثة و الرابعة بالاضافة الى الفرقة الاولى فرسان و الفيلق الاول مدفعي احتياط و الفيلق الثانى بقيادة الجنرال

اونور ريى Honore Reille و يتكون من الفرق الخامسة و السادسة و السابعة و التاسعة مشاة و الفرقة الثانية فرسان بالاضافة الى مدفعية احتياط الفيلق الثانى اما الجناح الايمن فكان بقيادة المارشال جروشى Grouchy و كان يتكون من الفيلق الثالث و يضم الفرق الثامنة و العاشرة و الحادية عشرة مشاة و الفرقة الثالثة فرسان و مدفعية احتياط الفيلق الثالث و الفيلق الرابع بقيادة الجنرال ايتيين جيرار Etienne Gérard و يضم الفرق الثانية عشرة و الثالثة عشرة و الرابعة عشرة مشاة بالاضافة الى الفرقة السابعة فرسان و مدفعية احتياطى الفيلق الرابع و كانت الاحتياطي الفرنسى يتكون من الفيلق السادس بقيادة الجنرال جورج موتون Georges Mouton و الذى يتكون من الفرق التاسعة عشرة و العشرين و الحادية و العشرين و احتياطى مدفعية الفيلق السادس بالاضافة الى ذلك كان الاحتياطى الفرنسى يتكون ايضا من الفيلق الاول فرسان بقيادة الجنرال كلود بيير باجول Claude Pierre Pajol و يتكون من الفرقة الرابعة و الفرقة الخامسة فرسان و بطاريتى مدفعية جياد و كذلك الفيلق الثانى فرسان بقيادة ريمى جوزيف ايزيدور اكسيلمان Rémi Joseph Isidore Exelmans و يتكون من الفرقتين التاسعة و العاشرة فرسان بالاضافة الى بطاريتى مدفعية جياد و الفيلق الثالث بقيادة فرانسوا ايتيين دو كيلرمان François Etienne de Kellermann و تكون من الفرقتين الحادية عشرة و الثانية عشرة فرسان بالاضافة الى بطاريتى مدفعية جياد للدعم و الفيلق الرابع فرسان بقيادة الجنرال ادوار جان باتيست ميلو Edouard Jean Baptiste Milhaud و يتكون من الفرقتين الثالثة عشرة و الرابعة عشرة فرسان و بطاريتى مدفعية الجياد هذا بالاضافة الى قوات الحرس الامبراطورى علاوة على عشرين الف رجل آخرين و ستة و تسعين قطعة مدفعية بقيادة الكونت انتوان دروو Antoine Drouot و كان مجموع قوات بونابرت اثنين و سبعين الفا.

قوات الحلفاء

كانت قوات الحلفاء تتكون من قوات بريطانية و هولندية و قوات من هانوفر تحت قيادة الفيلد مارشال ارثر ويلزلى Arthur Wellesley دوق ولينجتون و تتكون من الفيلق الاول و يضم الفرقة الاولى و الثالثة مشاة بالاضافة الى مدفعية للدعم تحت قيادة البرنس وليام اوف اورينج William of Orange و لواء مشاة من هانوفر بقيادة الميجور جنرال فريدريش فون كيلمانسيجه Friedrich von Kielmansegge مع الدعم المدفعى الخاص به و الفرقة الثانية الهولندية مشاة و مدفعيتها بقيادة الليوتنانت جنرال هندريك خورخ سيدلنيتسكى Hendrik George Sedlnitsky و الفرقة الثالثة مشاة الهولندية بقيادة الليوتنانت جنرال دافيد هندريك شاسيه David Hendrik Chassé مع مدفعيتها بالاضافة الى الفيلق الثانى مشاة بقيادة الليوتنانت جنرال رولاند هيل Rowland Hill و تتكون من الفرقة الثانية و اللواء الثالث من هانوفر و دفعيته و الفرقة الرابعة مشاة و الفرقة الاولى مشاة هولندية و كانت قوات الفرسان تتكون من فيلق فرسان انجليزى مختلط يضم عناصر من باقى دول التحالف بقيادة الليوتنانت جنرال هنرى باجت Henry Paget و المدفعية الملحقة به و فرقة فرسان هولندية مع مدفعيتها و فيلق فرسان من برونزويك Brunswick و كانت قوات الاحتياطى تتكون من ثلاثة و عشرين الف رجل و ستة و خمسين قطعة مدفعية تحت قيادة ولينجتون المباشرة اثناء القتال و تتكون من الفرقة الخامسة مشاة بقيادة الليوتنانت جنرال توماس بيكتون و الفرقة السادسة مشاة و لواء المشاة الرابع من هانوفر مع مدفعيته بالاضافة الى احتياطى المدفعية البريطانية و فيلق مشاة من برونزويك مع مدفعيته بالاضافة الى فيلق مشاة احتياطى من هانوفر و كان مجموع القوات الموجودة تحت قيادة دوق ولينجتون هو ثمانية و ستين الفا ، علاوة على ذلك كانت هناك القوات البروسية و التى لم تشارك فى المراحل

الاولى للمعركة و التى كان تدخلها حاسمها فى نهاية المعركة و يقودها الفيلد مارشال جبهارد ليبزيشت فون بلوشر Gebhard Leberecht von Blücher و رئيس اركانه اوجوست فون جنايزناو August von Gneisenau و التى كانت تتكون من اربعة فيالق مشاة و هى الفيلق الاول و الثانى و الثالث و الرابع و اربعة فيالق فرسان بالاضافة الى تشكيلات الفرسان و الدفعية الملحقة بكل فيلق و كان مجموع القوات البروسية خمسين الفا.

الموقع

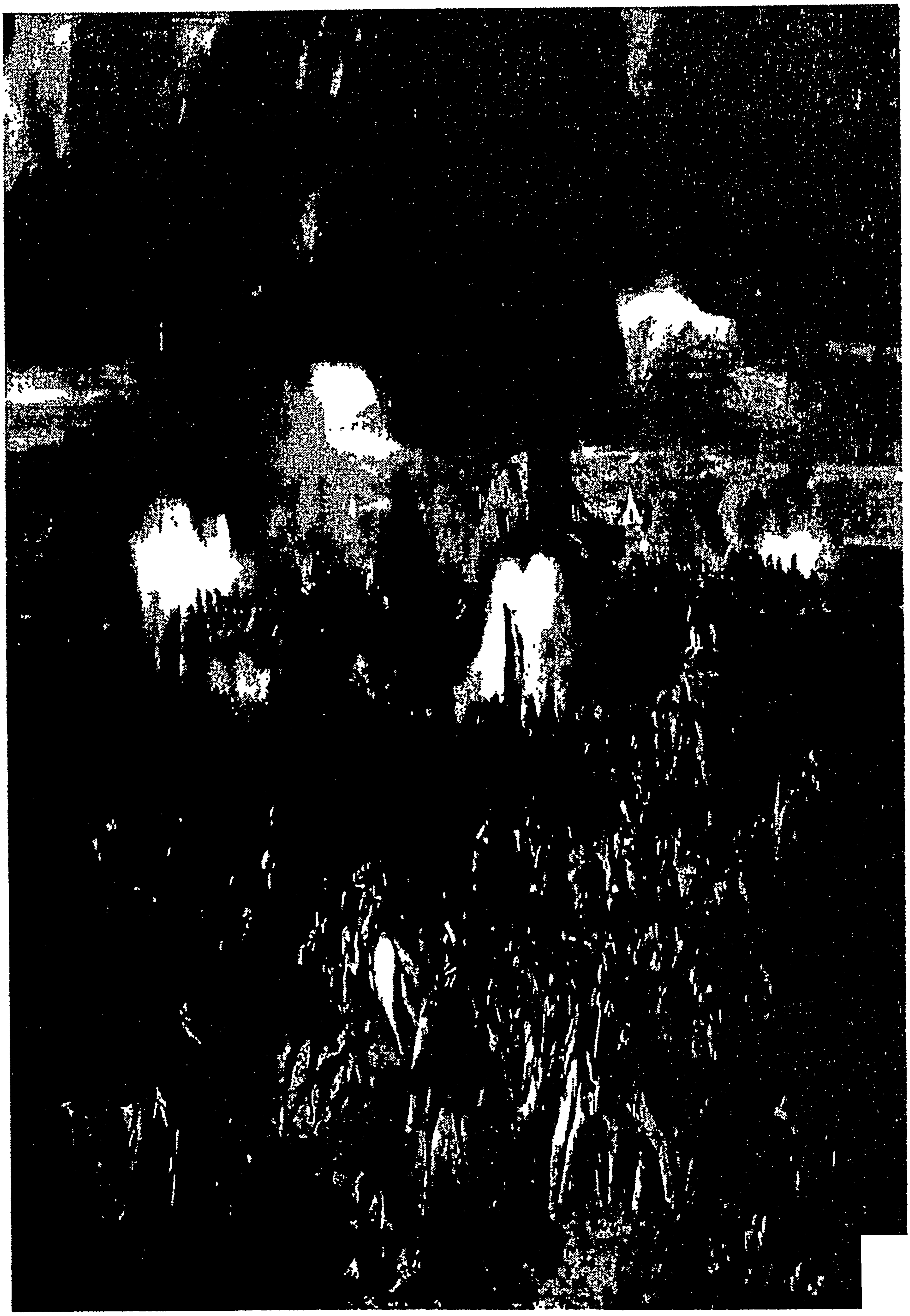
دارت المعركة قرب مدينة واترلو Waterloo و هى مدينة بلجيكية صغيرة تقع فى مقاطعة والون برابانت Wallon Brabant فى وسط بلجيكا و اليوم لا يزيد عدد سكانها على الثلاثين الف نسمة و كان الموقع الذى دارت عنده المعركة عبارة عن سلسلة من التلال الى الشرق و الغرب و يقطعها فى منتصفها طريق يؤدى الى مدينة بروكسل و عند تقاطع الطرق المؤدية الى بروكسل كانت هناك شجرة استخدمها دوق ولينجتون كمركز قيادة طوال وقت المعركة و كان ولينجتون قد قام بتوزيع قواته على شكل خطى خلف قمة سلسلة التلال خلف الطريق الموازى لها مباشرة و بتلك الطريقة لم يكن من الممكن للقوات الفرنسية رؤية الصورة كاملة و رؤية قوات ولينجتون المختفية خلف التلال و لم يكن يظهر منها سوى المدفعية و بعض العناصر التى سيتم استخدامها للمناوشة و كان طول المواجهة بين الجيشين اربعة كيلومترات و قد سمح ذلك لدوق ولينجتون ان يزيد من عمق صفوفه فى الوسط و الميمنة حيث كان يتوقع وصول قوات بلوشر و التى كان سيتم استخدامها لتعزيز الميسرة و بالتالى يزيد من قوتها النيرانية فى مواجهة قوات نابوليون كما سنرى و امام التلال فى مواجهة قوات بونابرت كانت هناك ثلاثة مواقع يمكن تحصينها و استغلالها حيث كان هناك بيت ريفى كبير مختفى بين الاشجار و محاط

بحديقة و يقع الى اليمين من قوات دوق ولينجتون و كان بالاضافة الى ذلك متصلا بطريق صغير يمكن استخدامه فى التعزيز و الامداد بالقوات و على اليسار كانت هناك قرية صغيرة تسمى بابيلوت Papelotte و قد تم تحصينها بالفعل و تمركزت بها حامية من القوات الانجليزية و كانت تلك القرية الصغيرة تسيطر على الطريق الذى ستندفع عبره التعزيزات البروسية و هكذا اصبحت ميمنة و ميسرة القوات البريطانية ترتكز على نقاط محمية جيدا و أمام خطوط البريطانيين كان هناك منزل ريفى آخر ملحق به حديقة و تمت حمايته باربعمائة من جنود المشاة الالمان المسلحين بالبنادق بالإضافة الى ذلك تم وضع عدد من القناصة البريطانيين فوق تل رملى على الناحية الاخرى المقابلة و نتيجة لتنظيم الدفاعات بتلك الطريقة كان القوات الفرنسية ان تهاجم سواء على الجناح الايمن او الجناح الايسر تحت سيطرة بريطانية كاملة اما على الجانب الآخر فقد توزع الفرنسيون على منحدرات سلسلة التلال المواجهة للمواقع البريطانية بشكل يماثل توزيع قوات ارثر ويلزلى التى كان بامكانهم رؤيتها ، اى ميمنة ثم قلب ثم ميسرة و لم يكن بامكان بونابرت رؤية باقى القوات المختبئة خلف التلال المواجهة لهم و كانت الميمنة تتكون من الفيلق الاول و عدده ستة عشر الفا من المشاة بالاضافة الى الف و خمسمائة من الفرسان و خلفه احتياطى من الفرسان بلغ عدده اربعة آلاف و سبعمائة و فى الوسط كان هناك ستة آلاف من المشاة الذين كان يتكون منهم الفيلق السادس و خلفهم الاحتياطى الذى كان يتكون من ثلاثة عشر الفا من رجال الحرس الامبراطورى و الفين من الفرسان كاحتياطى اما الميسرة فكانت تتكون من الفيلق الثانى و بلغ عددها ثلاثة عشر الفا من المشاة و الف و ثلاثمائة من الفرسان و خلفهم احتياطى من الفرسان بلغ عدده اربعة آلاف و ستمائة و كانت مسافة الف و ستمائة ياردة تفصل بين قوات الجانبين.

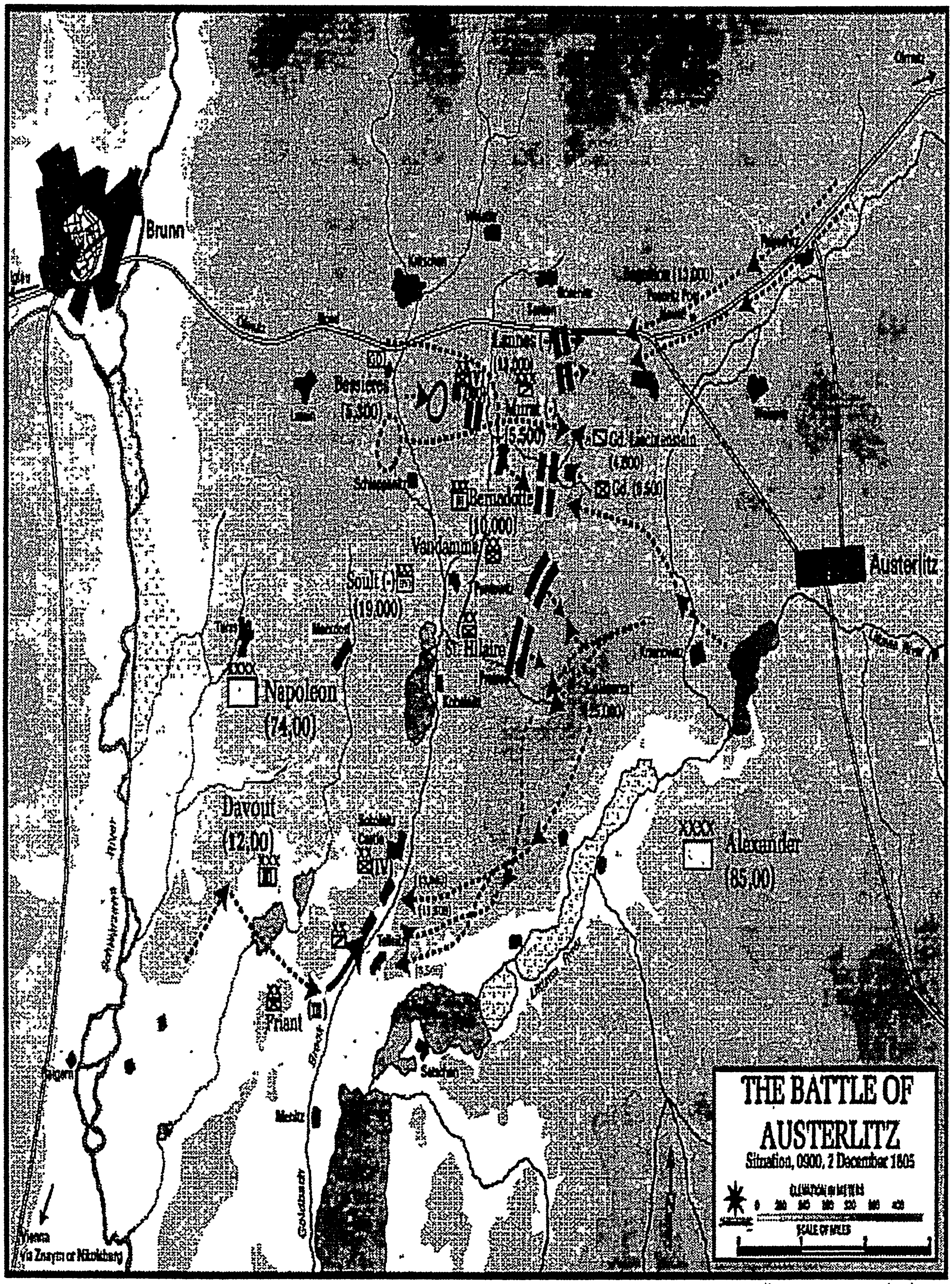
المعركة

بدأت المعركة بعدما ارسل بونابرت جزءا من قواته لتلتقى مع القوات البروسية بقيادة بلوشر لتمنعها من الاتصال بالقوات البريطانية الهولندية بينما قاد بونابرت بنفسه باقى قواته فى مواجهة البريطانيين و الهولنديين و فى صباح الثامن عشر من يوليو هطلت امطار كثيفة على ميدان المعركة مما اضطر بونابرت الى تأخير هجومه حتى تجف الارض لكى تتمكن تشكيلات فرسانه و مدفعيته من الحركة بحرية على الارض و بعد فترة انتظار امر نابوليون مدفعيته بقصف مواقع القوات البريطانية بشكل مستمر و بعد انتهاء القصف امر بهجوم تضليلى على ميمنة القوات البريطانية على امل ان يدفع ذلك دوق ولينجتون الى الدفع باحتياطياته لصد الهجوم و لكن تلك المناورة فشلت فى اجتذاب الاحتياطيات البريطانية و استمر الهجوم الفرنسى و دفع بونابرت بقواته الى باتجاه قلب قوات ولينجتون و فى اثناء الهجوم لاحظ نابوليون الغبار المرتفع الدال على قدوم قوات بلوشر و لكن ذلك لم يمنع بونابرت من الاستمرار فى هجومه فقد كان يثق كثيرا فى قدراته على هزيمة القوات البريطانية قبل اتصال قوات بلوشر بها و ظنا منه ان جروشى الذى كان قد ارسله للاشتباك مع بلوشر سيصل الى ميدان القتال فى الوقت المناسب ليدعم الهجوم و استمر القتال لمدة ثلاثة ساعات و التحم البريطانيون و الفرنسيون و قاتلوا بالسيوف و السونكى و نجح الفرنسيون فى تأمين منطقة حاكمة عند القلب و لكن خطوط البريطانيين ظلت محتفظة بتماسكها و قبيل العصر وصلت قوات بلوشر لتحتل قرية تسمى بلانسنوا Plançenoit و تقع عند مؤخرة القوات الفرنسية و هو ما اضطر الفرنسيين الى التراجع لصد الهجوم البروسى و بعد معركة عنيفة دارت بين الجانبين و التحام بالسونكى نجح الفرنسيون فى دفع البروسيين الى التقهقر و هو ما جعل نابوليون يلتفت لمهاجمة البريطانيين من الامام مجددا و اصدر الاوامر الى قوات الحرس

الامبراطورى بالتقدم من مواقع الاحتياط و القيام بالهجوم من الامام على قلب القوات البريطانية و كان الهجوم عنيفا للدرجة التى مكنت الفرنسيين من فتح ثغرة فى الخطوط البريطانية و بدأ الحرس الامبراطورى فى صعود التل و فى تلك اللحظات و اثناء صعود الفرنسيين للتل امر دوق ولينجتون احتياطياته المختبئة بالهجوم و بوغتت قوات الحرس الامبراطورى تماما بالهجوم المضاد و تداعت صفوفهم و اصابها الخلل و الفوضى و بدأوا فى الانسحاب و عندما رأت قوات نابوليون ان افضل قوات الجيش الفرنسى تنسحب من ميدان القتال بلا نظام انسحبت هى الاخرى معها و اندفعت كتائب نابوليون الاحتياطية الى الخلف و حاول نابوليون بلا فائدة اعادة تجميع قواته المبعثرة و على الرغم من هزيمة القوات الفرنسية الا انهم رفضوا التسليم و عندما عرض البريطانيون التسليم على احد ضباط الحرس رد بقوله ، " افراد الحرس يموتون و لكنهم لا يستسلمون ابدا " و كانت خسائر الفرنسيين فى ذلك اليوم فادحة فقد قتل منهم او جرح ستة و عشرون الفا بينما تم اسر تسعة آلاف و على الرغم من ان خسائر البريطانيين كانت مشابهة الا ان خسارة الفرنسيين كانت اكبر بكثير من مجرد عدة آلاف من الجنود ماتوا فى ميدان القتال ففى الثانى و العشرين من يوليو وافق نابوليون مرة اخرى على التنازل عن العرش و بعد ذلك باسبوعين عاد الملك لويس الثامن عشر الى عرش فرنسا و فى هذه المرة لم يغامر البريطانيون فقاموا بنفى نابوليون بونابرت الى جزيرة سانت هيلانة و وضعوه هناك تحت حراسة مشددة حيث مات بعد المعركة بستة اعوام ، كانت الاعوام التى قضاها نابوليون فى حكم فرنسا هى قمة ما وصلت اليه فرنسا من قوة بين الامم فلم تكن ابدا فرنسا من الدول العظمى قبل نابوليون و بعده لم تستعد تلك المكانة ابدا .



لوحة من القرن التاسع عشر تصور التحام الفرنسيين و البريطانيين فى معركة واترلو



الهجوم على وسط الحلفاء وشق الجيش إلى نصفين

تم بحمد الله

قائمة المراجع

مراجع باللغة العربية

مذكرات حرب اكتوبر للفريق سعد الدين الشاذلى

الحرب العالمية الأولى - دار النافذة

فن الحرب لسون تزو - دار النافذة

فى فن الحرب لنيكولو ماكيافيللى - دار مشارق

الحرب عبر التاريخ - الفيلد مارشال فيكونت مونتجومرى

بونابرت فى مصر - كريستوفر هيرولد

قصف العقول - د. فيليب تايلور - عالم المعرفة

مراجع باللغة الإنجليزية

Khalid bin Al-Waleed The Sword of Allah ، His Life and Campaigns

The Logistics of War, a historical perspective

Osprey - New Vanguard series 076 - Napoleon's Guns 1792-1815 Heavy and Siege Artillery

De Bello Galico, Julius Caesar

Warfare-in-the-Ancient-World from the Bronze Age to the Fall of Rome, Stefan G Chrissanthos

The Warrior Pharoah - Rameses II and the Battle of Qadesh - Mark Healy

Soldiers and Ghosts, A History of Battle in Classical

Antiquity, J.E. Lendon

Weapons & Equipment of the Napoleonic Wars, Philip J. Haythornthwaite

Hattin 1187 Saladain's Greatest Victory - David Nicole

Austerlitz 1805 Battle of the Three Emperors, David Chandler

Waterloo 1815, The Birth of New Europe - Osprey Publishing

The Battle of Marengo 1800

Napoleon's Scouts of the Imperial Guard

Osprey Fortress - The Maginot Line 1928 - 45

At Aboukir and Acre - George Alfred Henty

Osprey Men at Arms - The Greek and Persian Wars - Jack Cassin Scott

Verdun 1916 - William Martin

Yarmuk AD 636, The Muslim Conquest of Syria - David Nicole

باللغة الفرنسية

Maximes de guerre, Napoléon Bonaparte

باللغة الألمانية

Vom Kriege Carl von Clasewitz

مواقع على شبكة الانترنت

www.wikipedia.org

المحتويات

مبادئ الحرب

تأليف: نابليون بونابرت

أول كتاب مترجم لنابليون باللغة العربية



مكتبة النافذة